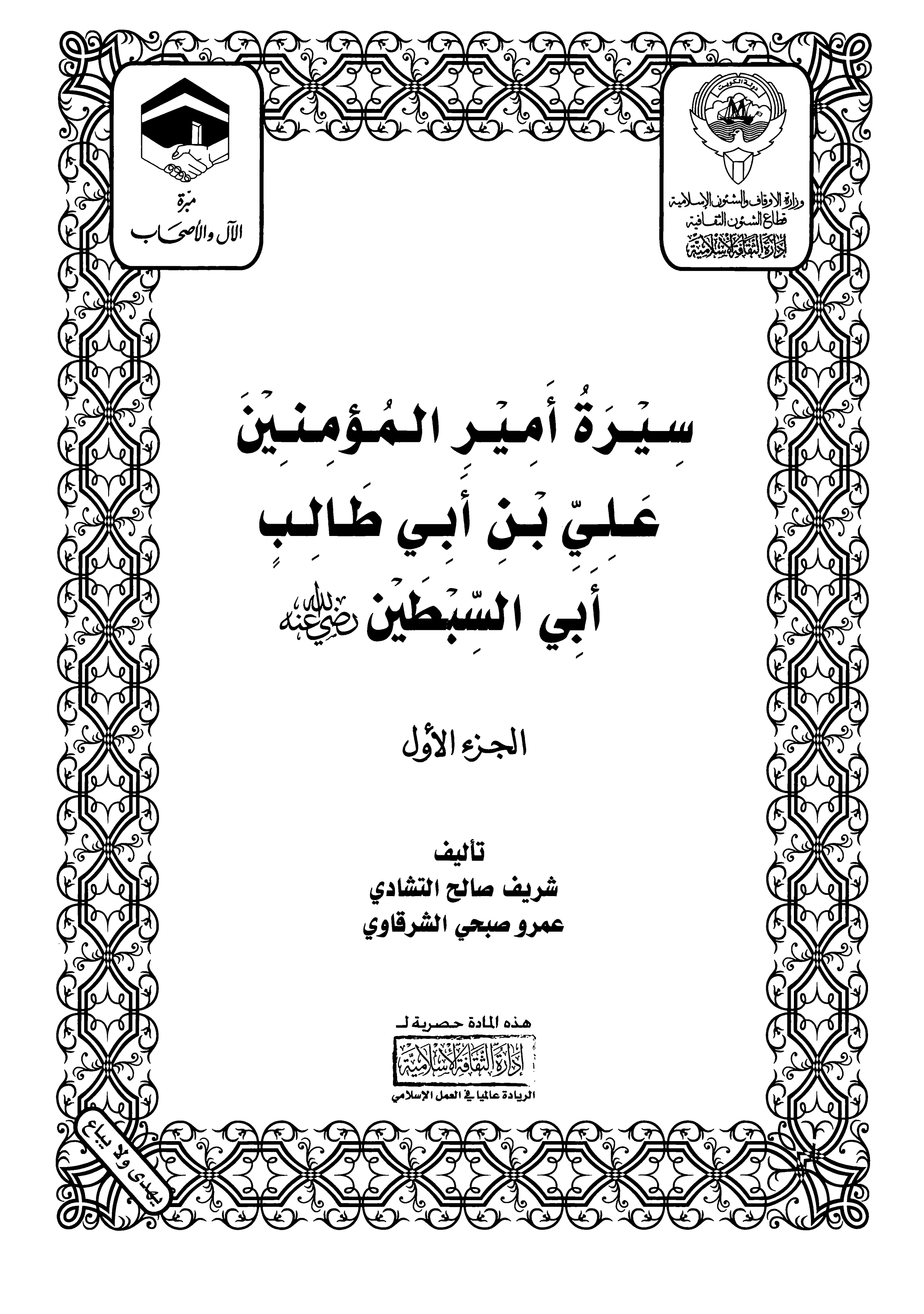


سِيرَةُ أَمِيرِ المُؤمِنِينَ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَبِي السِّبْطَيْنِ رضي الله عنه

الجزء الأول

تأليف
شريف صالح التشادي
عمرو صبحي الشرقاوي

هذه المادة حصرية لـ
إدارة الثقافة الإسلامية
الريادة عالميا في العمل الإسلامي



سِيرَةُ أَمِيرِ المُؤمِنِينَ
عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ
أَبِي السِّبْطَيْنِ رضي الله عنه

الجزء الأول

تأليف
شريف صالح التشادي
عمرو صبحي الشرقاوي

هذه المادة حصرية لـ
إدارة الثقافة الإسلامية
الريادة عالميا في العمل الإسلامي

الطبعة الأولى - دولة الكويت

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الثقافة الإسلامية

الموقع الإلكتروني: www.islam.gov.kw\thaqafa

تم الحفظ والإيداع بمركز المعلومات بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

رقم الإيداع: ١٣٥/ ٢٠١٧

سِيْرَةُ أَمِيْرِ المُؤمِنِيْنَ
عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَبِي السِّبْطَيْن رضي الله عنه

تصدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين!.

وبعد،

غيرُ خافٍ على أحَدٍ مدى العلاقة التي كانت لعليٍّ بن أبي طالب ﷺ بالنَّبي ﷺ قبل البعثة وبعدها، تلك العلاقة التي تَجَلَّتْ آثارها في شخصية عليٍّ عبر مسيرة حياته الحافلة بالعِبَرِ والدروس.

ولعل المتأمّل في سيرة الإمام عَلِيٍّ وما ارتبط بعصره من ظروفٍ سياسية قد ألقت بِظلالها على الروايات التي تناولت هذه السيرة، إذْ اختلط بهذه الروايات الصحيح بالضعيف، والمنكر بالمدسوس والمُفْتَرى... الأمر الذي أثار بعض التشوش وعدم الدقة في نقل الحقيقة التاريخية حول حياة أمير المؤمنين صهر رسول الله ﷺ وأبي السبطين الحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين.

ولقد كثَّفَتْ الدراسة التي بين أيدينا الأضواء العلمية النقدية لغالبية ما ورد من أخبارٍ حول سيرة أمير المؤمنين الإمام عليٍّ بن أبي طالبٍ رضي الله تعالى عنه، معتنيةً عبر أبوابها الأربعة الأولى بما صحَّ من سيرته كرَّمَ الله وجهه، منتهية في بابها الخامس إلى بيان المرويات الضعيفة والمنكرة التي نقلتها كتب الأخبار في السياق العام لسيرة الإمام عليٍّ ﷺ.

وقد وُفِّقَ المؤلِّفان الأستاذ: أبو أدريس شريف صالح التشادي، والأستاذ: عمرو صبحي الشرقاوي، إذْ استطاعا حَسْمَ كثير من الإشكالات المثارة حول سيرة الإمام عليٍّ وما تخللها من فتن ونزاعات كان سلوكه الراشد إزاءها هو فيصل الحق والخير فيها.

ويسر إدارة الثقافة الإسلامية بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت أن تقدم هذا الجهد العلمي المبارك إلى جمهور القراء الكرام، آملة أن يتحقق النفع به، داعية المولى عز وجل أن ينفع به، ويجزي عنه مؤلِّفَيْهِ خير الجزاء!..



المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

وبعد:

فعَنْ عِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الْفَجْرَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ لَهَا الْأَعْيُنُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، قُلْنَا أَوْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَأَوْصِنَا. قَالَ: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى بَعْدِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ[1].

١- حديث صحيح: أخرجه الإمام أحمد في ((مسنده)) (مُسْنَدُ الشَّامِيِّينَ) (حَدِيثُ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ) (رقم: ١٧١٤٤)، وأبو داود في ((سننه)) (كِتَاب السُّنَّة) (باب في لزوم السُّنَّة) (رقم: ٤٦٠٧)، والترمذي في ((جامعه)) (أَبْوَابُ الْعِلْمِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) (بَابُ مَا جَاءَ فِي الأَخْذِ بِالسُّنَّةِ وَاجْتِنَابِ الْبِدَعِ) (رقم: ٢٦٧٦)، وقال: ((هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ)).

بهذا الحديث الشريف يدرك المرء القيمة العظمى لحقبة الخلافة الراشدة، وأهمية دراستها، إن هذا العصر الشريف يعد امتدادًا لعصر النبوة، حيث انعكست تعاليم النبوة على هذا الجيل الفريد الذي عاش في حقبة الخلافة الراشدة، كما أنه كان ولازال أقرب نقطة معيارية إنسانية يقيس الناس بها مدى التزامهم بأصول الشرع.

وإن أكثر أهل الإسلام لينظرون إلى هذا العصر باعتباره أميز العصور، وأن تميزه جاء من عدة أسباب:

١- أن الحكم قد تولاه أفضل الصحابة بعد رسول الله ﷺ.

٢- أنهم يمثلون المُثُل العليا لمن جاء بعدهم من قادة الرأي والحكم والسياسة.

٣- أن هذه الفترة شهدت نقل القرآن والسنة؛ لذا فإن دراسة هذه الفترة مهمة جدًا في تثبيت دعائم الدين.

٤- ما ظهر في هذا العصر من أحداث ومحن مرت بها الأمة، وتعامل معها الخلفاء، كحركات الانشقاق في أول عهد أبي بكر، ثم توسع الفتوحات، ثم الحروب الداخلية، مما جعل الناس ينقسمون إلى فريقين:

- فريق أنصف، واتخذ سبيل العدل والعلم.

- **وفريق اتخذ خلاف ذلك، وادعى أمورًا كان من العدل أن تنتقد.**

وإن الاختلاف العقدي الذي ذر قرنه أثناء الخلافات التي وقعت في تلك الحقبة المباركة أدى إلى تدخل الأهواء والأغراض في قراءة وتفسير ما جرى في حقبة الخلافة كما أدى أيضًا إلى محاولة البعض تأييد تفسيراته وتحليلاته هذه بالكذب في الرواية.

فكان لا بد من ظهور منهج نقدي يقوم على أسس رشيدة لتزييف الزائف، وإحقاق الحق .

لهذه الأسباب وغيرها، كان لا بد من دراسة حقبة الخلافة الراشدة، وبيان ما لحقها من زيوف وأباطيل، ونقد ما ورد في التراث للخروج بصورة صحيحة عن ذلك العصر .

وإن من أجل أصحاب النبي ﷺ، وأحد من تتوجه إليهم الدراسة، شخصية علي بن أبي طالب ﷺ، ولقد كتبت عدة كتب عن علي بن أبي طالب ﷺ، وفي بعضها خير، وفي بعضها دخن.

ولما أسند إلينا هذا البحث، قمنا بعمل خطة للبحث لئلا يكون تكرارًا للجهود، وتضييعًا للأوقات، وقد قمنا بالتالي:

١- جمع أصحَّ ما ثبت من سيرة علي ﷺ من خلال مرويات الإمام الطبري في تاريخه باعتباره أجمع كتاب مسند حوى بين دفتيه المرويات الخاصة بخلافة علي ﷺ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى هو أكثر الكتب التي اعتمد عليها أصحاب الأهواء لما تمسكوا به من مرويات تدل على باطلهم يعلم الإمام الطبري نفسه بطلانها قبل غيره، فكان لا بد من اتخاذه أصلًا لذلك.

٢- تعضيد، أو تكميل النقص الحاصل في تاريخ الطبري، بما صح في خارجه ككتب السنن والمسانيد والتواريخ وغير ذلك.

٣- استئنسنا واستشهدنا ببعض المرويات التي لا يصح سندها سواء كانت في تاريخ الطبري أو غيره من المصنفات، وذلك فيما لا يؤثر ولا يضر بالسياق التأريخي كعدد القتلى، وعدد الألوية، أما ما يدل على نكارة، أو تناقض لما صح فذلك قد عقدنا له بابا مستقلا يأتي ذكره.

٤- عدم التدخل في النص إلا بإيضاح مبهم، أو وضع عنوان، أو تعليق بفائدة.

٥- تحاشينا طريقة السرد الوعظي، وكذلك إيراد الفوائد، تركيزًا على السرد التاريخي، وبيانًا لما حصل.

٦- اعتمدنا في طريقة تخريج الأحاديث والآثار طريقة التخريج الموسَّع -غالبًا-، ذاكرين أحكام النقاد على الحديث أو الأثر ما وجدنا إلى ذلك سبيلًا لا سيما لمن كان من أهل الدراية والتحقيق، مبينين حكم كل رواية أو أثر اعتمدنا عليه واستفدنا منه.

٧- حتى لو كان ذلك الحديث أو الأثر واردًا ضمن كلام أحد الأئمة؛ فإن اعتمادنا على نص كلامه يتضمن -غالبًا- الاعتماد على ما قد استشهد به من أحاديث وآثار.

وقد انتظم البحث في مقدمة، وخمسة أبواب اشتملت على عدة مباحث، وخاتمة بها الكشافات العلمية.

أما المقدمة فقد أشرنا فيها إلى أهمية البحث، والخطة التي سرنا عليها في كتابته وتنظيمه.

وأما الباب الأول فهو عن: نشأة علي بن أبي طالب وصفاته الخلقية والخلقية، وتحته ثلاثة مباحث، وهي:

- **المبحث الأول**: اسمه، وكنيته، ولقبه، ومكان ولادته.

- **المبحث الثاني**: أسرة علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

- **المبحث الثالث:** صفاته، ونشأته، وإسلامه، وهجرته.

وأما الباب الثاني فهو عن: فضائل علي ﷺ، وعلاقته بالرسول والخلفاء، وتحته مبحثان، وهما:

- **المبحث الأول:** فضائل علي ﷺ.

- **المبحث الثاني:** علي مع النبي ﷺ والخلفاء الراشدين.

وأما الباب الثالث فهو عن: خلافة علي بن أبي طالب ووفاته، وتحته خمسة مباحث، وهي:

- **المبحث الأول:** بيعة علي.

- **المبحث الثاني:** معركة الجمل.

- **المبحث الثالث:** معركة صفين.

- **المبحث الرابع:** معركة النهروان.

- **المبحث الخامس:** استشهاد أمير المؤمنين علي.

وأما الباب الرابع فهو عن: مسائل متفرقة عن علي بن أبي طالب ﷺ، وتحته مبحثان، وهما:

- **المبحث الأول:** اختلاف الفِرَقِ في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وموقف أهل السنة منه.

- **المبحث الثاني:** بعض ما كُذب على علي رضي الله عنه.

وأما الباب الخامس فهو عن: مرويات خلافة أَمِير الْمُؤْمِنِينَ عَلِيّ بن أبي طالب رضي الله عنه شديدة الضعف والمنكرة الواردة في تاريخ الطبري وغيره مع ذكره مقدمة لبيان أهمية إدارج هذا الباب، وتحته مبحثان، وهما:

- **المبحث الأول:** مرويات خلافة أَمِير الْمُؤْمِنِينَ عَلِيّ بن أبي طالب رضي الله عنه شديدة الضعف والمنكرة الواردة في تاريخ الطبري مرتبة على الأبواب حسب إيراد الطبري لها.

- **المبحث الثاني:** مرويات خلافة أَمِير الْمُؤْمِنِينَ عَلِيّ بن أبي طالب رضي الله عنه شديدة الضعف والمنكرة الواردة في غير تاريخ الطبري كبعض المصنفات والمعاجم المشهورة مرتبة على الأبواب.

وأما الكشافات العلمية، فقد اشتملت على ما يلي:

- كشاف المصادر والمراجع.

- كشاف الموضوعات.

المؤلِّفان

بسم الله الرحمن الرحيم
منهج العمل في الأبحاث

لا ريب أنَّ نزول ميدانٍ كميدان السِّيرَ والأخبار والمغازي يعجُّ بمئات المرويات، والتي لم تلتئم على بعضها، أو تَأْرِز إلى مكانٍ واحدٍ يجمعها، بل آثرت الفرقة، وعزَّت معظم الروايات المقبولة بنفسها، فضنَّت بما فيها على كل باحثٍ عجول، أو قارئٍ يكتفي بالمشهور، وإنما اختارت أن تبقى بمنأى يحُوج طالبها إلى صبر لاستخراجها، وسعيٍ حثيثٍ للوصول إليها، أضف إلى ذلك كثرة المؤلَّفات في هذا الباب؛ كل هذا لا يجعل المهمة سهلةً ميسورة، إلا بتأنٍّ وتتبُّعٍ، بعد عون الله ﷻ.

وقد حاولنا -قدر الاستطاعة- أن نتخيرَّ خُطة عمل تحُكم الأبحاث، وتخُرجها أقرب ما تكون إلى الدِّقة التي يرجوها كلُّ منصفٍ وباحثٍ عن الحق؛ فاهتدينا إلى ما يلي:

أولاً: جعلنا كتاب: (تاريخ الطبري) أصلاً لمادة هذا البحث، يُضاف إليه ويجُمع عليه ما يحُتاج إليه من تتمآَت وزيادات لإكمال مشهد، أو تفصيل مجُمَل، أو إزالة شُبهة وإشكال.

وسبب اختيارنا له: ما تمتَّع به صاحبه من سيرةٍ حسنةٍ، وعدالةٍ مشتهرةٍ، إضافةً إلى شموليته في كثيرٍ من الأحداث، فقد استوعب كثيراً مما كُتب قبله، فصار عمدةً لكل من جاء بعده(١)، حتى أنَّ **أبا الحسن ابن الأثير** (ت: ٦٣٠هـ) حينما أراد أن يُصنِّف كتابه في التاريخ؛ جعل كتاب الطبري أصلاً لكتابه، بل في بعض الأحداث -كالفتنة التي وقعت بين الصحابة اكتفى بكلام الطبري، ولم يُضف عليه شيئا!

يقول -رحمه الله-: «وقد جمعتُ في كتابي هذا ما لم يجتمع في كتابٍ واحد، ومن تأمَّله علم صحة ذلك.

فابتدأتُ بالتاريخ الكبير الذي صنَّفه الإمام أبو جعفر الطبري، إذ هو الكتاب المعوَّل عند الكافَّة عليه، والمرجوع عند الاختلاف إليه، فأخذتُ ما فيه من جميع تراجمه، لم أخلَّ بترجمةٍ واحدةٍ منها، وقد ذكر هو في أكثر الحوادث رواياتٍ ذواتِ عدد، كل رواية منها مثل التي قبلها، أو أقلّ منها، وربما زاد الشيء اليسير أو نقصه، فقصدتُ أتمَّ الروايات فنقلتها، وأضفتُ إليها من غيرها ما ليس فيها، وأودعتُ كلَّ شيءٍ مكانه، فجاء

---

(١) انظر عن كتاب الطبري ومنهجه فيه وما تميَّز به: موارد تاريخ الطبري للدكتور علي جواد، منهج كتابة التاريخ الإسلامي حتى نهاية القرن الثالث الهجري لمحمد بن صامل السلمي (ص: ٤٤٠- ٤٥١).

جميع ما في تلك الحادثة -على اختلاف طرقها- سياقاً واحداً على ما تراه.

فلما فرغتُ منه: أخذتُ غيره من التواريخ المشهورة فطالعتُها، وأضفتُ منها إلى ما نقلته من تاريخ الطبري ما ليس فيه، ووضعت كلَّ شيء منها موضعه، إلا ما يتعلَّق بما جرى بين أصحاب رسول الله ﷺ فإني لم أُضفْ إلى ما نقله أبو جعفر شيئاً؛ إلاَّ ما فيه زيادة بيانٍ، أو اسم إنسانٍ، أو ما لا يُطعن على أحد منهم في نقله، **وإنما اعتمدتُ عليه من بين المؤرِّخين إذ هو الإمام المُتقنُ حقّاً، الجامعُ علماً وصحةَ اعتقادٍ وصدقاً.**

على أنيِّ لم أنقل إلا من التواريخ المذكورة، والكتب المشهورة، ممن يعلم بصدقهم فيما نقلوه، وصحَّة ما دوَّنوه، ولم أكن كالخابط في ظلماء الليالي، ولا كمن يجمع الحصباء واللآلي»(١).

قُلنا: وقريبٌ من منهج ابن الأثير، اخترنا لهذه الأبحاث أن تسير، فجعلنا كتاب الطبري أصلاً، لكن مع تعديل وتغيير.

فالطبريُّ يورد الأحداث مرتَّبة على السنين، وهذا لم نلتزم به، وإنما وضعنا كُل حادثة في مكانها الذي نراه لائقاً، وفق ترتيب كل بحث.

فبعض الأحداث تُنقل من نسقها عند الطبري لتُوضع في فصل خاص

---

(١) الكامل في التاريخ (١/ ٦- ٧).

بالفضائل، أو الشبهات، أو غير ذلك، بحسب ما نرى الحدث ملائماً لمكانه في ترتيب البحث الذي يختاره الباحث.

أيضاً: اختار الطبريُّ لنفسه أن يُورد الرواياتِ التي يختارها في الحدث بسندها إلى قائلها وناقلها، تاركاً مسألة الحكم على الإسناد للقارئ والباحث من بعده، محُذِّراً أن يحُمِّله أحدٌ نكارة رواية، أو بشاعة نقل؛ فقال: «فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه، أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة، ولا معنى في الحقيقة؛ فليعلم أنه لم يُؤتَ في ذلك من قِبَلِنا، وإنما أُتي من قبل بعض ناقليه إلينا، وإنَّا إنَّما أدَّينا ذلك على نحو ما أُدِّي إلينا»[(١)].

وعلى هذا فروايات الطبري جامعة بين الغثِّ والسَّمين، والصَّحيح والسَّقيم، وهنا يتحتَّم علينا أن نبينِّ الفرق بين هذه المرويَّات، وما يصلح للاحتجاج وما لا يصلح إلا أن يكون في الموضوعات، ولكن لما كان التبيين لصحة كلِّ ما ذُكر، وإظهار علَّة كلِّ خبر، مما يطول به حجم الكتب والأبحاث، ولربما بعث الملل في نفس القارئ والباحث لشبهته عن جواب؛ فقد آثرنا أن نقنِّن الأمر كما يلي في:

---

(١) تاريخ الطبري (١/ ٨).

ثانياً: قمنا باستخراج جميع المرويات التي ورد فيها ذكر الشخصية صاحبة البحث (أبوبكر، عمر، عثمان، علي، معاوية) في الكتاب، سواءٌ في خلافته أم قبلها، وما صحَّ منها أدرجناه في البحث في موطنه اللائق به وفق ترتيب الأحداث -الذي يذكره كل باحث في مُقدِّمة بحثه-، وأمَّا ما لم يصح من هذه المرويات فهو على قسمين:

- **القسم الأول**: احتِيج إليه لاستكمال صورة الأحداث، ووصل الحلقات ببعضها البعض، فمثل هذا لا مفرَّ من إيراده، وهو عين ما فعله الطبريُّ حينما أورد الأخبار الضعيفة في ثنايا كلامه عن بعض الأحداث، وإن كان الطبريُّ أحال القارئ على السَّند؛ فإننا لن نوقعه في ذلك العَنَت، بل سنبينِّ -إن شاء الله- عند كل روايةٍ ضعيفةٍ أوردناها ضعفها، وسبب وهائها، فثقافة النظر في الأسانيد قبل قبول المتن؛ لم تعد منتشرةً بين أبناء هذا الزمان، كما كانت منتشرةً في زمان الطبري، الذي تعامل معهم من هذا المنطلق، فأحالهم على الإسناد.

وهذا القسم يتميز عن لاحقه بأنَّ ضعفه ليس شديداً، ونكارته ليست ظاهرة.

- **القسم الثاني**: لم نجد ثَمَّ احتياجٌ لإيراده، خاصة مع نكارة متنه، بل في بعضها ما يكون ذكره مُحْدِثاً فتنةً لعقول وقلوب بعض القارئين، فمثل هذه الروايات ضربنا صفحاً عن ذكرها، رغبةً في إماتتها، وإخمال نشرها، وهذا الفعل مِنَّا قد سبق إليه الطبريُّ، فمع ما أورد في كتابه من ضعيفٍ وموضوعٍ، ومع أنه أسند كلَّ قولٍ إلى قائله؛ إلاَّ أَنَّه أعرض عن ذكر بعض الأخبار، رغم استحضاره لها، وتمكُّنه من عزوها لقائلها وإسنادها؛ وذلك لأَنَّه رأى أن فيما ذكر كفاية، وأيضاً: حفاظاً على عقول وقلوب العامة.

قال الطبريُّ: «وذكر هشام، عن أبي مخنف، قال: وحدثني يزيد بن ظبيان الهمداني، أن محمد بن أبي بكر كتب إلى معاوية بن أبي سفيان لما ولي، فذكر مكاتبات جرت بينهما **كرهتُ ذكرها لما فيه مما لا يحتمل سماعها العامة**»[(١)].

فانظر كيف أَعْرضَ الطبريُّ عن ذكر بعض الروايات، لما رأى أنها لا تضيف جديداً، وأنَّهَا قد تتسبَّب في فتنة بعض العامة في زمانه، فكيف لو ذُكرت لأهل زماننا؟!

ومن هنا: أعرضنا عن ذكر بعض هذه الروايات لاجتماع الشرَّيْن فيها:

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٥٥٧).

ضعف الإسناد من جهة، ونكارة المتن التي لا تُتحمَّل من جهة أخرى، وإن كان الطبريُّ رأى تحمُّلها في زمانه.

والذي ينبغي أن يطمئنَ إليه القارئ، وهو ما التزمناه -بحمد الله- أثناء هذه الأبحاث؛ أنَّا لا ندع روايةً صحيحةً من كتاب الطبريِّ، وفيها ذكرٌ لصاحب البحث تندُّ عن هذا الكتاب، ونحسب تلك كافيةً للمُنْصِف -إن شاء الله-.

ثالثاً: لم نكتفِ بما ورد في تاريخ الطبري فقط، إذ كان هناك بعض الأحداث تستلزم توسُّعاً للتوضيح والتكميل، فهنا نُضيف ما نراه نافعاً من التواريخ الأخرى وكتب التراجم والطبقات، كتاريخ ابن عساكر، وتاريخ خليفة بن خياط، وتاريخ أبي زرعة الدمشقي، وطبقات ابن سعد، وغير ذلك.

رابعاً: لم نتوسَّع في تخريج الأحاديث والآثار الواردة في الأبحاث، لأن هذا مما يطول به حجم الكتاب، فاقتصرنا على ذكر أهمِّ المصادر، إلا إذا قام داعٍ لغير ذلك.

خامساً: حكمنا على كل إسناد بما نُراه له مستحقّاً، صحةً أو ضعفاً، وإن نزل الحديث أو الأثر عن الصحة؛ بيَّنَّا سبب ذلك، وِفق قواعد أهل

الحديث المبثوثة في كتبهم، والمعلومة من خلال تطبيقاتهم وعملهم.

ولعله من المفيد هنا أن نذكِّر بشيءٍ من منهجهم في التعامل مع هؤلاء الرواة الأخباريين، ونقلة السير والمغازي المشهورين، حتى لا يظنَّ أحدٌ أننا ابتعدنا عن منهجهم، أو تساهلنا في تطبيق قواعدهم.

فنقول: إنَّ الرواة هم عمود الإسناد، وأصله وسلسلته الفقرية التي لا قَوَام له إلا بها، فكلَّما قوي أمرهم؛ قوي الإسنادُ وصار صلباً في ميدان الاحتجاج والاستشهاد، والعكس أيضا.

لكنْ: ثمَّ رواة عُرف عنهم التخصص في باب من الأبواب، مع ضعفهم في غيره، فمثلا: حفص بن سليمان الكوفي المقرئ، يقول عنه الحافظ ابن حجر: «متروك الحديث، مع إمامته في القراءة»[1] فقد انتشرت روايته للقرآن في الآفاق، ولم يقبل منه العلماء حديثاً واحداً، ولم يشفع له إتقانه للقرآن في قبول الحديث، ولم يردَّ ضعفه في الحديث إتقانه للقراءات، وهذا من الإنصاف.

ومن هذا الباب أيضاً: رواة المغازي والأخبار، فكثيرٌ منهم يُحتاج إليه في هذا الفن، مع كونه غيرَ مقبولٍ عند العلماء في نقل الأحاديث، ولا

---

(١) تقريب التهذيب (١٤٠٥).

يعتبرون بأحاديثه!

ويمكننا أن نلحظ بوضوح هذا التفريق والتساهل في تصرُّف أحد المشتغلين بعلوم السنة، وعلامة من علاماتها في زمانه؛ وهو: الحافظ ابن حجر، وذلك من خلال جمعه بين الروايات في كتابه: فتح الباري.

فإنه في الوقت الذي يقرر فيه ردَّ رواية محمد بن إسحاق إذا عنعن ولم يُصرِّح بالتحديث، وردِّ أحاديث الواقدي لأنه متروكٌ عند علماء الجرح والتعديل، فضلاً عن غيرهما من الأخباريين الذين ليس لهم رواية في كتب السنة، كأبي الحسن المدائني وعوانة؛ فإنه يستشهد برواياتهم، ويستدلُّ بها على بعض التفصيلات، ويحاول الجمع بينها وبين الروايات الأخرى التي هي أوثق إسناداً! وهذا دليلٌ على قبوله أخبارهم فيما تخصَّصوا فيه من العناية بالأخبار والسير، وهذا هو المنهج الذي نسير عليه هنا.

وفيما يلي بعض النماذج لرواة تُكلِّم في روايتهم للحديث، ومع ذلك لم تهُدر أقوالهم في باب الأخبار والسير، لعنايتهم وتخصصهم في هذا الباب، ثم نُتبع ذلك ببعض النماذج العملية من تصرفات العلماء مع مروياتهم في أبواب المغازي والسير.

أولاً: من نماذج الرواة:

- محمد بن عمر الواقدي:

اتَّفق علماء الجرح والتعديل على ضعفه، كما نقل ذلك النوويُّ[١]، وقال الذهبيُّ: «استقر الإجماع على وهن الواقدي»[٢]، ومع ذا: نجد ثناء من البعض على علمه بالمغازي والسير خاصة، قال عنه تلميذه محمد بن سعد: «كان عالماً بالمغازي، والسيرة، والفتوح»، وقال عنه الخطيبُ البغداديُّ: «سارتْ الركبان بكتبه في فنون العلم من المغازي، والسير، والطبقات، وأخبار النبي ﷺ والأحداث التي كانت في وقته، وبعد وفاته ﷺ»[٣].

وقال عنه الذهبيُّ: «كان إلى حفظه المنتهى في الأخبار، والسير، والمغازي، والحوادث، وأيام الناس، والفقه، وغير ذلك»[٤].

وقال في موطن آخر: «وقد تقرَّر أنَّ الواقديَّ ضعيفٌ، يحُتاج إليه في الغزوات والتاريخ، ونُورد آثاره من غير احتجاج، أما في الفرائض، فلا ينبغي أن يُذكر»[٥].

---

(١) المجموع شرح المهذب (١/ ١١٤، ٥/ ١٢٩).

(٢) ميزان الاعتدال (٣/ ٦٦٦).

(٣) تهذيب التهذيب (٩/ ٣٦٣- ٣٦٨).

(٤) ميزان الاعتدال (٣/ ٦٦٣).

(٥) سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٦٩).

وقال عنه الحافظ ابن كثير: «الواقدي عنده زياداتٌ حسنةٌ، وتاريخٌ محرَّرٌ غالباً؛ فإنه من أئمة هذا الشأن الكبار، وهو صدوقٌ في نفسه مكثار»[١].

وقد استوعب الكلام على عدالة الواقدي ابنُ سيد الناس، ثم قال في معرض الدفاع عنه: «سعة العلم مظنَّةٌ لكثرة الإغراب، وكثرة الإغراب مظنَّةٌ للتهمة، والواقدي غير مدفوعٍ عن سعة العلم، فكثرت بذلك غرائبه»[٢].

وقال أيضاً: «وقد رُوِّينا عنه من تتبعه آثار مواضع الوقائع، وسؤاله من أبناء الصحابة والشهداء ومواليهم عن أحوال سلفهم؛ ما يقتضي انفراداً برواياتٍ وأخبار لا تدخل تحت الحصر»[٣].

والذي يظهر من مجموع كلام النقَّاد في الواقدي قبول رواياته في الأخبار والسير، ولكن لا يُعارض بها الروايات الصحيحة، والله أعلم[٤].

---

(١) البداية والنهاية (٤/ ٥٨٠).

(٢) عيون الأثر (١/ ٢٤).

(٣) المصدر السابق (١/ ٢٥).

(٤) منهج كتابة التاريخ الإسلامي، لمحمد بن صامل السلمي (ص: ٣٥٦).

- **سيف بن عمر التميمي:**

نقل الحافظ ابن حجر في ترجمته تضعيفَ العلماء له، وتشبيه بعضهم له -كأبي حاتم الرازي- بالواقدي[(١)]، ولما أراد الحافظ أن يُصدر عليه حكماً كلِّياً قال: «ضعيف الحديث، عمدةٌ في التاريخ»[(٢)].

وقد اعتمده الطبريُّ في أخبار الفتوح، وذكر رواياته في الفتنة، وقد أكثر عنه بهذا الإسناد: «كتب إليَّ السري، عن شعيب، عن سيف بن عمر»، أو: «حدثني السري، عن شعيب، عن سيف بن عمر»، ومجموع مروياته في تاريخ الطبري: مئتين وستٍّ وستِّين رواية[(٣)].

- **أبو الحسن علي بن محمد المدائني:**

تُرجم له في كُتب الضعفاء[(٤)]، وقال عنه ابن عدي: «ليس بالقوي في الحديث، وأقلَّ ما له من الروايات المسنَدة»[(٥)]، ومع ذلك: نجد الطبريَّ

---

(١) تهذيب التهذيب (٤/ ٢٩٥).
(٢) تقريب التهذيب (٢٧٢٤).
(٣) منهج كتابة التاريخ الإسلامي (ص: ٤٦٧).
(٤) انظر: الكامل في الضعفاء (٦/ ٣٦٣)، ميزان الاعتدال (٣/ ١٥٣)، ديوان الضعفاء (٢٩٦١)، لسان الميزان (٦/ ١٣).
(٥) الكامل في الضعفاء (٦/ ٣٦٣- ٣٦٤).

يقول عنه: «كان عالماً بأيام الناس، صدوقاً في ذلك»(١). وكذلك أكثر عنه في تاريخه، وغالب رواياته من طريق عمر بن شبة، وبعضها أخذه من كتبه مباشرة.

وقال عنه الخطيب البغدادي: «وكان عالماً بأيام الناس، وأخبار العرب وأنسابهم، عالماً بالفتوح والمغازي ورواية الشعر، صدوقاً في ذلك»(٢).

وقال أبو العباس أَحمد بن يحيى النحوي: «من أراد أخبار الجاهلية فعليه بكتب أَبِي عبيدة، ومن أراد أخبار الإسلام فعليه بكتب المدائني»(٣).

- أبو مخِنف لوط بن يحيى:

ضعَّفه عامة أهل الجرح والتعديل(٤)، وقال عنه الذهبيُّ: «أخباريٌّ تالفٌ، لا يُوثقُ به»(٥)، ثم قال عنه في موطن آخر: «صاحب تصانيف وتواريخ،....، وهو من بابة سيف بن عمر التميمي صاحب «الردَّة»، وعبد الله بن عياش المنتوف، وعوانة بن الحكم»(٦).

(١) لسان الميزان (٦/ ١٣).
(٢) تاريخ بغداد (١٢/ ٥٥).
(٣) المصدر السابق.
(٤) الضعفاء والمتروكون للدارقطني (٤٤٩)، لسان الميزان (٦/ ٤٣٠).
(٥) ميزان الاعتدال (٣/ ٤١٩).
(٦) سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٠٢).

- **محمد بن إسحاق بن يسار المدني:**

قال عنه الدارقطني: «لا يُحتجُّ به، وإنما يُعتبر به»[١].

وقال عنه الذهبي: «كان في العلم بحراً عجَّاجاً، لكنه ليس بالمجوِّد كما ينبغي»[٢]، وقال: «قد أمسك عن الاحتجاج بروايات ابن إسحاق غير واحدٍ من العلماء»[٣].

ومع هذا فهو يثني عليه في علم المغازي والسير؛ فيقول: «قد كان في المغازي علاَّمةً»[٤].

وقال أيضاً عنه: «له ارتفاعٌ بحسبه، ولا سيَّما في السير، وأما في أحاديث الأحكام: فينحطُّ حديثه فيها عن رتبة الصحة إلى رتبة الحسن، إلا فيما شذَّ فيه، فإنه يُعدُّ مُنكَراً، هذا الذي عندي في حاله، والله أعلم»[٥].

وقد سبقه إلى ذلك: الإمام أحمد، حيث قال -وذكر محمد بن إسحاق-: «أما في المغازي وأشباهه: فيكتب، وأما في الحلال والحرام: فيحتاج إلى

(١) سؤالات البرقاني (٤٢٢).
(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٥).
(٣) المصدر السابق (٧/ ٣٩).
(٤) المصدر السابق (٧/ ٣٧).
(٥) المصدر السابق (٧/ ٤١).

مثل هذا، ومدَّ يده وضم أصابعه»[١].

وقال العباس بن محمد: سمعتُ أحمد بن حنبل، وقيل، له: ما تقول في موسى بن عبيدة؟ وفي محمد بن إسحاق؟ فقال: «أما محمد بن إسحاق: فهو رجل يكتب هذه الأحاديث، كأنه يعني المغازي وما أشبهها، أما موسى بن عُبيدة: فلم يكن به بأس»[٢].

وقال الشافعيُّ: «من أراد أن يتبحَّر في المغازي؛ فهو عيال على محمد بن إسحاق»[٣].

إذن بعد هذا: كيف يُتعامل مع هذا الصنف من الرواة؟

لا شكَّ أن انفرادهم برواية حديث، أو واقعة يُستفاد منها تشريعٌ، أو حُكمٌ عقديٌّ، أو تحمل طعناً في أحدٍ ممن ثبتت عدالتهم بيقين؛ لا يقبله من لديه مسحةٌ من علم بأصول القبول والرد، هذا لا يُنازَعُ فيه.

أمَّا ما نقلوه من أخبارٍ، تحمل بعض التفاصيل التي لا تتعرَّضُ لشيءٍ مما ذُكر، وإنما يكون فيها زيادةٌ لا تضر، وتفاصيل قد تساعد على تصوُّرٍ أقرب لما كانت عليه الأحداث؛ فهذا لا بأس بإيراده، وعلى هذا يُحمل

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٧/ ١٩٣).
(٢) الضعفاء الكبير للعقيلي (٤/ ٢٣).
(٣) سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٦).

قول من قَبِل كلامهم من العلماء في أبواب المغازي والسير.

ولذا فإذا ما مرَّ بك عزيزي القارئ أثرٌ، ووجدت الحكم بضعف الإسناد مُصدَّراً عليه، وسبب ذلك وجود أحد هؤلاء؛ فتذكَّرْ تلك القاعدة التي تقدَّمت، وهي: أنَّ حالهم في نقل هذه الأخبار، مما لا يترتب عليه شيء من أحكام العقائد والتشريعات؛ مما يُتساهل فيه.

وهذه قاعدةٌ وضعها أحدُ أئمَّة الحديث في زمانه، عبدُ الرحمن بن مهدي، حينما قال: «إذا رُويِّنا عن النبي ﷺ في الحلال والحرام، والأحكام؛ شدَّدنا في الأسانيد، وانتقدنا الرجال، وإذا رُوِّينا في فضائل الأعمال، والثواب والعقاب، والمباحات والدعوات؛ تساهلنا في الأسانيد»([1]).

فاجعل هذا الأمر منك على ذكر.

وفيما يلي بعض النماذج العمليَّة من تصرفات العلماء مع مرويَّاتهم في هذا الباب:

- صنيع **البخاريِّ** في صحيحه مع راوٍ كمحمد بن إسحاق، حيث لم يعتمده كرجلٍ من رجاله في الأحاديث، لكنه علَّق عنه في أبواب المغازي

(١) إسناده صحيح: أخرجه الحاكم (١/ ٦٦٦)، وفي المدخل إلى الإكليل (ص: ٢٩)، والخطيب في الجامع (١٢٦٧).

كثيراً، من ذلك قوله: «قال ابن إسحاق: أول ما غزا النبي ﷺ: الأبواء، ثم بُواط، ثم العُشيرة»[(١)].

وقوله: «قال ابن إسحاق: سمعت وهب بن كيسان، سمعت جابراً، خرج النبي ﷺ إلى ذات الرقاع من نخل، فلقي جمعاً من غطفان، فلم يكن قتالٌ، وأخاف الناس بعضهم بعضاً، فصلى النبي ﷺ ركعتي الخوف»[(٢)].

وقوله: «باب غزوة بني المصطلق، من خزاعة، وهي غزوة المريسيع، قال ابن إسحاق: وذلك سنة ست»[(٣)].

- ونجد **الطبريَّ** في كتابه التاريخ أكثر عن مثل هؤلاء الأخباريين المذكورين، بينما في كتابٍ له كتهذيب الآثـار، عُني فيه بالأحاديث والاحتجاج بها؛ لا نجدُ ذكراً لهم!

- كذلك **الحافظ ابن حجر** اعتبر بروايات هؤلاء الأخباريين في شرحه لصحيح البخاري، ومن ذلك:

---

(١) صحيح البخاري (٥/ ٧١).

(٢) صحيح البخاري (٤١٢٧).

(٣) المصدر السابق (٥/ ١١٥).

أنَّه في أول كتاب المغازي[١] ذكر عدد غزوات الرسول ﷺ، وعدد بعوثه وسراياه، وعدد الغزوات التي وقع فيها قتال، فاستشهد بأقوال أهل السير؛ مثل: محمد بن إسحاق، والواقدي، ومحمد بن سعد، وذَكَر خلافهم، وجمع بين أقوالهم وأقوال من هم أوثق منهم من رواة الصحيح، وفعل مثل هذا عند حديثه عن عدد أهل بدر[٢].

وفي قصة مقتل أبي جهل يوم بدر، جعل الحافظ رواية ابن إسحاق جامعة بين الروايات، رغم مخالفتها لما في الصحيح[٣]!

كذلك في قصة بني النضير ومتى كان حصارُهم، ذكر ابنُ إسحاق أنها كانت بعد أحدٍ، وبعد استشهاد القرَّاء في بئر معونة، بينما نجد البخاري ينقل في الصحيح عن عروة أنها كانت على رأس ستة أشهر من وقعة بدر، أي: قبل أحد، وقد مال الحافظ ابن حجر إلى ترجيح رواية ابن إسحاق رغم إيراده سبباً للغزوة غير ما ذكر ابن إسحاق[٤]!

---

(١) فتح الباري (٧/ ٢٧٩).
(٢) المصدر السابق (٧/ ٢٩١).
(٣) المصدر السابق (٧/ ٢٩٦).
(٤) المصدر السابق (٧/ ٣٣١).

وكل هذا الصنيع منهم، ومن غيرهم، يؤكِّد لنا على صحَّة ما قدَّمناه، من التفريق بين روايتهم للأحاديث المرفوعة، وكذلك ما يُستفادُ منه حكمٌ شرعيٌ، أو تأصيلٌ عقديٌّ، أو طعنٌ فيمن ثبتت عدالتهم، وبين الأخبار العامة، وتفاصيل السير المجملة، التي لا تمسُّ شيئاً مما سبق. والله أعلم.



الباب الأول

نشأة علي بن أبي طالب
وصفاته الخَلقية والخُلقية

تمهيد :

لا شك أن آل بيت رسول الله لهم من الحقوق ما يجب رعايتها؛ فإن الله جعل لهم حقاً في الخمس والفيء، وأمر بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسول الله فقال لنا: قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

وآل محمد هم الذين حرمت عليهم الصدقة هكذا قال الشافعي وأحمد بن حنبل، وغيرهما من العلماء رحمهم الله؛ فإن النبي ﷺ قال: إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد، وقد قال الله تعالى في كتابه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وحرم الله عليهم الصدقة لأنها أوساخ الناس[1].

وعلي رضي الله عنه ولا ريب من آل بيت النبي ﷺ.

ولا ريب أن علياً رضي الله عنه كان من شجعان الصحابة، وممن نصر الله الإسلام بجهاده، ومن كبار السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ومن سادات من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله، وممن قتل بسيفه عددا من الكفار[2].

١- ((مجموع الفتاوى)) (٣/ ٤٠٧).

٢- ((مجموع الفتاوى)) (٨/ ٧٦).

ولهذه الأسباب وغيرها، كان من الجيد الاستجابة إلى الاستكتاب عن علي ﷺ ومعرفة جوانب من حياته وما حصل في عصره من أحداث .

ومن الأولى أن نبدأ بحياته ﷺ قبل إسلامه، ونشأته، وأسرته التي نشأ في أحضانها، وأثر هذه التنشئة عليه ﷺ .

المبحث الأول : اسمه، وكنيته، ولقبه، ومكان ولادته

اسمُهُ ونَسَبُه[1]

هو علي بن أبي طالب [2] بن عبدالمطلب [3] بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن

١- يمكن التوسع في مصادر الترجمة عن النشأة، ومنها: ((الطبقات الكبرى)) لابن سعد (٢/ ٣٣٧- ٣٤٠)، و((تاريخ الطبري)) (٤/ ٤٢٧- ٥٧٦، ٥/ ١- ١٥٧)، و((السيرة النبوية وأخبار الخلفاء)) لابن حبان (٢/ ٥٢١- ٥٥٢)، و((الاستيعاب)) لابن عبد البر (٣/ ١٠٨٩- ١١٣٣)، و((صفة الصفوة)) لابن الجوزي (١/ ١١٥- ١٢٥)، و((أسد الغابة في معرفة الصحابة)) لابن الأثير (٤/ ٨٧- ١١٧)، و((الرياض النضرة في مناقب العشرة)) لمحب الدين الطبري (٣/ ١٠٤- ٢٤١)، و((تهذيب الأسماء واللغات)) للنووي (١/ ٣٤٤- ٣٤٩)، ((تاريخ الإسلام)) للذهبي (٣/ ٦٢١- ٦٥٢)، و((البداية والنهاية)) لابن كثير (١٠/ ٤١١- ٦٨٦، ١١/ ١- ١٣٠)، و((الإصابة في تمييز الصحابة)) لابن حجر (٧/ ٢٧٥- ٢٨٢)، ((تاريخ الخلفاء)) للسيوطي (ص: ١٣٠- ١٤٦)، و((أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب)) للصلَّابي، وغير ذلك من المصادر.

٢- قال ابن عبد البر في ((الاستيعاب)) (٣/ ١٠٨٩): واسم أبِي طالب: عبد مناف، وقيل: اسمه كنيته. والأول أصح. ا. هـ

٣- قال ابن عبد البر في ((الاستيعاب)) (٣/ ١٠٨٩): وكان يُقال لعبدالمطلب: شيبة الحمد. ا. هـ

خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

فهو ابن عم رسول الله ﷺ، ويلتقي معه في جده الأول عبد المطلب بن هاشم، ووالده أبو طالب شقيق عبدالله والد النبي ﷺ.

وأُمُّه هي: فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، ﵂، أول هاشمية ولدت هاشميا، وقد أسلمت وهاجرت، وهي التي سمَّت عليا: أَسَدَاً عند مولده، وسمته بذلك لاسم أبيها أسد بن هاشم.

ويدل على ذلك ارتجازه يوم خيبر، حيث قال:

أنا الذي سمَّتني أُمِّي حَيْدَرَة[1] كَلَيْثِ غابات كَرِيهِ المَنْظَرَه[2]

وكان أبو طالب غائبًا فلما عاد، كره هذا الاسم، وسمَّاه عليًا[3].

كُنْيتُه :

له كنيتان مشهورتان :

الأولى : أبو الحسن، نسبة لابنه الأكبر: الحسن بن علي، وهو ابنه من فاطمة ﵄.

والثانية : أبو تراب، وتسميته بها من قِبَل النبي ﷺ، ولها قصة:

١- حيدرة: من أسماء الأسد.

٢- هذا البيت ثابت الإسناد عن علي ﵁، وقد جاء ضمن حديث أخرجه مسلم في ((صحيحه)) (كتاب الجهاد والسير) (باب غزوة ذي قرد وغيرها) (رقم: ١٨٠٧) من حديث سلمة بن الأكوع.

٣- ((الرياض النضرة)) (٣/ ١٠٧).

يقول سهل بن سعد: «ما كان لعليٍّ اسم أحب إليه من أبي التراب، وإن كان ليفرح إذا دُعِيَ بها»، فقيل لسهل: أخبرنا عن قصته، لم سُمِّيَ أبا تراب؟ قال: «جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة، فلم يجد عليا في البيت، فقال: «أين ابن عمك؟» فقالت: كان بيني وبينه شيء، فغاضبني فخرج، فلم يَقِلْ[1] عندي، فقال رسول الله ﷺ لإنسان «انظر، أين هو؟» فجاء فقال: يا رسول الله هو في المسجد راقد، فجاءه رسول الله ﷺ وهو مضطجع، قد سقط رداؤه عن شقه، فأصابه تراب، فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه ويقول «قم أبا التراب، قم أبا التراب»[2].

ويُقال له أيضا: أبو السِّبْطَيْن الحسن والحسين[3].

مولده، وهل كان وليد الكعبة ؟!

وقع خلاف بين الروايات في تحديد وقت مولده، ففي بعضها: أنه وُلِد قبل البعثة بخمس عشرة أو ست عشرة سنة[4]، وفي أخرى: أنه قبل البعثة

١- من القيلولة، وهي النوم في نصف النهار.

٢- حديث صحيح: أخرجه الإمام البخاري في ((صحيحه)) (كتاب الصلاة) (باب نوم الرجال في المسجد) (رقم: ٤٤١)، و(كتاب المناقب) (باب مناقب علي بن أبي طالب) (رقم: ٣٧٠٣)، والإمام مسلم في ((صحيحه)) (كتاب فضائل الصحابة) (باب من فضائل علي بن أبي طالب) (رقم: ٢٤٠٩) من حديث أسامة بن زيد.

٣- ((أسد الغابة في معرفة الصحابة)) (٤/ ٨٧)، ((تهذيب الأسماء واللغات)) (١/ ٣٤٤)، ((تاريخ الخلفاء)) (ص: ١٣٠).

٤- ((المعجم الكبير)) للطبراني (١/ رقم ١٦٣).

بثماني سنين[١]، وفي ثالثة: أنه قبل البعثة بعشر سنين، وهذا الأخير هو ما ذكره ابن إسحاق[٢]، ورجَّحه الحافظ ابن حجر[٣].

وأمَّا عن مكان مولده؛ فذهب الفاكهي وتبعه الحاكم أنه ولد في جوف الكعبة، وأغرب الحاكم: «إن الأخبار تواترت بأن عليًا وُلِد في جوف الكعبة»[٤].

ولعل الصحيح خلاف ذلك، وقد نُقل عن بعض أهل العلم خلاف هذا القول[٥]، وقد قال النووي رحمه الله: «ولم يصح أن غيره - أي: حكيم بن حزام - ولد في الكعبة»[٦].

المبحث الثاني: أسرة علي بن أبي طالب ﷺ

أولًا: قريش، وبنو هاشم

عَنْ أَبِي عَمَّارٍ شَدَّادٍ، أَنَّهُ سَمِعَ وَاثِلَةَ بْنَ الْأَسْقَعِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»[٧].

١- المصدر السابق (١/ رقم ١٦٢)، ((الاستيعاب)) (٣/ ١٠٩٢).

٢- ((السيرة النبوية)) لابن إسحاق (ص: ١٣٧).

٣- ((فتح الباري)) (٧/ ١٧٤).

٤- ((المستدرك)) (٣/ ٥٥٠) هكذا ساقه بلا إسناد، وقال الفاكهي في ((أخبار مكة)) (٣/ ١٩٨): وأول من وُلِد في الكعبة من بني هاشم من المهاجرين: علي بن أبي طالب ﷺ. ا. هـ

٥- انظرها في: ((الكوكب الدري في سيرة أبي السبطين علي)) (٢١ - ٢٣).

٦- ((المجموع)) للنووي (٢/ ٦٦).

٧- حديث صحيح: أخرجه الإمام مسلم في ((صحيحه)) (كتاب الْفَضَائِلِ) (بَابُ فَضْلِ نَسَبِ النَّبِيِّ ﷺ، وَتَسْلِيمِ الْحَجَرِ عَلَيْهِ قَبْلَ النُّبُوَّةِ) (رقم: ٢٢٧٦).

لا يشك أحد في فضل قريش على سائر قبائل العرب، وعلى علو قدرهم، وعظيم شرفهم، بل كانت لقريش من الصفات الحسنة، والسجايا الكريمة، ما ليس لأحد من العرب، أما بنو هاشم فكانوا من أفضل بيوت قريش، وكانوا من أكثر الناس تضحية وبذلًا وجودًا وكرمًا[1].

ثانيًا: أبو طالب والد علي

كان أبو طالب رجلًا كثير العيال قليل المال، وقد تربى النبي ﷺ تحت كنفه ورعايته، ولما صدع بدعوة الحق آزره، ووقف بجانبه، وصمم على مناصرته وعدم خذلانه، بل كان أبو طالب يدافع عنه بكل ما أوتي، حتى إنه لما خشي أبو طالب دهماء العرب أن يركبوه مع قومه، قال قصيدته التي تعوذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها، وتودد فيها أشراف قومه، وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في ذلك من شعره أنه غير مسلم رسول الله ﷺ، ولا تاركه لشيء أبدا حتى يهلك دونه، فقال شعرًا حسنًا كان مما جاء فيه:

كذبتم وبيت الله نبزى محمدا ... ولما نطاعن دونه ونناضل[2]

ونسلمه حتى نصرع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل[3]

١- ((بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب)) (١/ ٢٤٣).

٢- نبزى محمدا: أي نسلبه ونغلب عليه. ورواية اللسان والنهاية: يبزى محمد أي يقهر ويغلب، أراد «لا يبزى» فحذف «لا» من جواب القسم وهي مرادة. ونناضل: نرامى بالسهام.

٣- الحلائل: الزوجات، واحدتها: حليلة.

ويـنهض قـوم في الحـديـد إلـيكـم نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل[١]

إلى أن قال:

وأبيـض يستـسقى الغـمام بوجهـه ثـمال اليتامـى عصمـة للأرامـل[٢]

يلـوذ بـه الهـلاف مـن آل هاشـم فهـم عنـده في رحمـة وفواضـل[٣]

ومـات أبـو طالـب في السـنة العـاشرة من البعثـة النبويـة، ولم يسـلم[٤].

١- الروايا: الإبل التي تحمل الماء والأسقية، واحدتها: راوية. وأصل هذا الجمع: رواوى، ثم يصير في القياس روائى، مثل حوائل جمع حائل. ولكنهم قلبوا الكسرة فتحة بعد ما قدموا الياء قبلها، وصار وزنه فوالع. وإنما قلبوه كراهية اجتماع واوين: واو فواعل والواو التي هي عين الفعل. ووجه آخر:
وهو أن الواو الثانية قياسها أن تنقلب همزة في الجمع لوقوع الألف بين واوين، فلما انقلبت همزة قلبوها ياء كما فعلوا في خطايا وبابه، مما الهمزة فيه معترضة في الجمع. والصلاصل: المزادات لها صلصلة بالماء.

٢- ثمال اليتامى: الذي يثملهم ويقوم بهم، يقال: هو ثمال مال: أي يقوم به.

٣- انظر: ((سيرة ابن هشام)) ت: السقا (١/ ٢٧٢)، وما بعدها .

٤- انظر: ((بلـوغ الأرب في معرفـة أحـوال العـرب)) (١/ ٣٢٤)، أخـرج البخـاري في ((صحيحـه)) (رقـم: ٣٨٨٤)، عَـن ابْـن المُسَـيِّب، عَـنْ أَبِيـه، أَنَّ أَبَـا طَالِـب لَمَّـا حَضَرَتْـهُ الوَفَـاةُ، دَخَـلَ عَلَيْـه النَّبـيُّ ﷺ وَعِنْـدَهُ أَبُـو جَهْـل، فَقَـالَ: «أَيْ عَـمِّ، قُـلْ لاَ إلَـهَ إلَّا اللهُ، كَلمَـةً أُحَـاجُّ لَـكَ بِهَـا عنْـدَ الله» فَقَـالَ أَبُو جَهْـل وَعَبْـدُ الله بْـنُ أَبي أُمَيَّةَ: يَـا أَبَـا طَالِـب، تَرْغَـبُ عَـنْ ملَّـة عَبْـد المُطَّلِـب، فَلَـمْ يَـزَالاَ يُكَلِّمَانـه، حَتَّـى قَـالَ آخرَ شَيْءٍ كَلَّمَهُـمْ بِـه: عَـلَى ملَّـة عَبْـد المُطَّلِـب، فَقَـالَ النَّبِـيُّ ﷺ: «لأَسْـتَغْفرَنَّ لَـكَ، مَـا لَمْ أُنْـهَ عَنْـهُ» فَنَزَلَـتْ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [التوبـة: ١١٣]. وَنَزَلَتْ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص: ٥٦] .

ثالثًا: أم علي بن أبي طالب رضي الله عنه

أمه هي السيدة الصحابية والجليلة فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، فهي هاشمية، وهي أول هاشمية ولدت هاشميًا، وحرصت على رعاية النبي صلى الله عليه وسلم حين كفله أبو طالب، وأسلمت رضي الله عنها[١].

رابعًا: البيت العلوي المبارك

تعددت زيجات علي رضي الله عنه، غير أنه لم يجمع مع فاطمة رضي الله عنها زوجة أخرى، فكل أزواجه تزوجهن بعد وفاتها.

وأما زوجاته، فهن:

١- فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهي أفضل نسائه، بل أفضل نساء الأمة بعد أمها خديجة رضي الله تعالى عنهما، وهي أحد أربعة نساء حزن شرف الكمال البشري في النساء.

وسنتعرض لهذه الزيجة بشيء من الصحيح الثابت في أمر الزواج والمعيشة بين علي وفاطمة رضي الله تعالى عنهما.

زواج علي من فاطمة

تزوج من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي أولى زوجاته، ولم يتزوج عليها حتى ماتت، رضي الله عنها، ووُلِد له منها: الحسن، والحسين، وزينب الكبرى، وأم كلثوم الكبرى[٢].

١- انظر: ((فضائل الصحابة)) (٢/ ٦٨٥).

٢- قال الطبري في ((التاريخ)) (٥/ ١٥٣): ويُذكر أنه كان لها منه ابن آخر يسمى محسنا،=

- مهرها وجهازها :

عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ عَلِيًّا، قَالَ: تَزَوَّجْتُ فَاطِمَةَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ابْنِ لِي، قَالَ: «أَعْطِهَا شَيْئًا» قَالَ: مَا عِنْدِي شَيْءٌ، قَالَ: «فَأَيْنَ دِرْعُكَ الْحُطَمِيَّةُ؟» قُلْتُ: عِنْدِي، قَالَ: «فَأَعْطِهَا إِيَّاهُ»(١).

- وليمة العرس :

عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ نَفَرًا مِنَ الْأَنْصَارِ قَالُوا لِعَلِيٍّ: عِنْدَكَ فَاطِمَةُ، فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ: «مَا حَاجَةُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ؟» قَالَ: ذُكِرَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَرْحَبًا وَأَهْلًا» لَمْ يَزِدْهُ عَلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَى الرَّهْطِ مِنَ الْأَنْصَارِ يَنْتَظِرُونَهُ، فَقَالُوا: مَا وَرَاءَكَ؟ قَالَ: مَا أَدْرِي غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ لِي: «مَرْحَبًا وَأَهْلًا» قَالُوا: يَكْفِيكَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِحْدَاهُمَا، قَدْ أَعْطَاكَ الْأَهْلَ، وَأَعْطَاكَ الرَّحْبَ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ بَعْدَمَا زَوَّجَهُ قَالَ: «يَا عَلِيُّ، إِنَّهُ لَا بُدَّ لِلْعُرْسِ مِنْ وَلِيمَةٍ». قَالَ سَعْدٌ: عِنْدِي كَبْشٌ، وَجَمَعَ لَهُ رَهْطٌ مِنَ الْأَنْصَارِ آصُعًا مِنْ ذُرَةٍ، فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةُ الْبِنَاءِ قَالَ: «يَا عَلِيُّ، لَا تُحْدِثْ شَيْئًا حَتَّى تَلْقَانِي» فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهُ، ثُمَّ أَفْرَغَهُ عَلَى عَلِيٍّ

= توفي صغيرا. ا. هـ

١- حديث صحيح: أخرجه الإمام أحمد في ((مسنده)) (مُسْنَدُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ) (مُسْنَدُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﵁) (رقم: ٦٠٣) (٢/ ٤١)، وأبو داود في ((سننه)) (كِتَابُ النِّكَاحِ) (بَابٌ فِي الرَّجُلِ يَدْخُلُ بِامْرَأَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَنْقُدَهَا شَيْئًا) (٢/ ٢٤٠) (رقم: ٢١٢٥)، وابن حبان في ((صحيحه)) (كِتَابُ إِخْبَارِهِ ﷺ عَنْ مناقب الصحابة ﵃ أجمعين) (ذِكْرُ مَا أَعْطَى عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي صَدَاقِ فَاطِمَةَ) (١٥/ ٣٩٦) (رقم: ٦٩٤٥)، وغيرهم.

فَقَالَ: «اللهُمَّ بَارِكْ فِيهِمَا، وَبَارِكْ عَلَيْهِمَا، وَبَارِكْ لَهُمَا فِي شِبْلِهِمَا»(١).

- معيشة علي وفاطمة:

عَنِ الْحَكَمِ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي لَيْلَى، حَدَّثَنَا عَلِيٌّ، أَنَّ فَاطِمَةَ، اشْتَكَتْ مَا تَلْقَى مِنَ الرَّحَى فِي يَدِهَا، وَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ سَبْيٌ، فَانْطَلَقَتْ، فَلَمْ تَجِدْهُ وَلَقِيَتْ عَائِشَةَ، فَأَخْبَرَتْهَا فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ إِلَيْهَا، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْنَا، وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْنَا نَقُومُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَى مَكَانِكُمَا» فَقَعَدَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمِهِ عَلَى صَدْرِي، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا

١- حديث ضعيف: أخرجه النسائي في ((السنن الكبرى)) (كِتَابُ عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ) (مَا يَقُولُ إِذَا خَطَبَ امْرَأَةً، وَمَا يُقَالُ لَهُ) (رقم: ١٠٠١٦)، وابن سعد في ((الطبقات الكبرى)) (٨/ ١٧) (رقم: ١٧)، والبزار في ((مسنده)) (مُسْنَدُ بُرَيدة بْنِ الْحُصَيْبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) (رقم: ٤٤٧١)، والدولابي في ((الذرية الطاهرة النبوية)) (رقم: ٩٤)، والروياني في ((مسنده)) (مُسْنَدُ بُرَيْدَةَ بْنِ الْحَصِيبِ) (ابْنُ بُرَيْدَةَ عَنْ بُرَيْدَةَ) (رقم: ٣٥)، والطحاوي في ((شرح مشكل الآثار)) (بَابُ بَيَانِ مُشْكِلِ مَا رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ في ((مَرْحَبًا وَأَهْلًا)) مَا الْمُرَادُ بِهِمَا؟) (رقم: ٥٩٤٧)، والطبراني في ((المعجم الكبير)) (٢/ ٢٠) (رقم: ١١٥٣)، و((الدعاء)) له (بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ الرَّجُلِ لِأَخِيهِ مَرْحَبًا) (رقم: ١٩٥٠)، وابن السني في ((عمل اليوم والليلة)) (بَابُ مَا يَقُولُ الرَّجُلُ لِمَنْ يَخْطُبُ إِلَيْهِ) (رقم: ٦٠٥)، وابن المغازلي في ((مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ)) (تزويج فاطمة بعلي) (رقم: ٣٩٨) جميعهم من طريق عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ سَلِيطٍ، عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ.

وعَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ سَلِيطٍ الذي تدور عليه الأسانيد مجهول لا تعرف حاله. انظر ترجمته في: ((تاريخ ابن معين -رواية عثمان الدارمي)) (رقم: ٥٦٢)، و((التاريخ الكبير)) للبخاري (٦/ ٩٢)، و((الجرح والتعديل)) (٦/ ٦٠، ٦١)، و((تاريخ دمشق)) (٣٦/ ٤٣٧، ٤٣٨).

أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَا، إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا، أَنْ تُكَبِّرَا اللهَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، وَتُسَبِّحَاهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدَاهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَهْوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ»(١).

وفيما سبق بيان لبركة هذا البيت الذي أسسه علي ﷺ، ولا عجب حينئذ أن يخرج من هذا البيت الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.

باقي زوجاته ﷺ

٢- وتزوج من **خولة بنت جعفر بن قيس بن مسلمة**، ووُلِد له منها: محمد الأكبر، وهو محمد بن الحنفية.

٣- وتزوج من **ليلى بنت مسعود بن خالد من بنى تميم**، ووُلِد له منها: عبيد الله، وأبو بكر.

٣- وتزوج من **أم البنين بنت حزام بن خالد بن جعفر بن ربيعة**، ووُلِد له منها: العباس الأكبر، وعثمان، وجعفر الأكبر، وعبدالله.

٤- وتزوج من **أسماء بنت عميس الخثعمية**، ووُلِد له منها: يحيى وعون.

٥- وتزوج من **الصهباء أم حبيب بنت ربيعة بن بجير**، ووُلِد له منها: عمر الأكبر، ورقية.

٦- وتزوج من **أمامة بنت العاص بن الربيع**، ووُلِد له منها: محمد الأوسط.

٧- وتزوج من **أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفي**، ووُلِد له منها: أم الحسن، ورملة الكبرى.

١- حديث صحيح: أخرجه الإمام البخاري في ((صحيحه)) (كتاب أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ) (بَابُ مَنَاقِبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ القُرَشِيِّ الهَاشِمِيِّ أَبِي الحَسَنِ ﷺ) (رقم: ٣٧٠٥)، والإمام مسلم في ((صحيحه)) (كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالاِسْتِغْفَارِ) (بَابُ التَّسْبِيحِ أَوَّلَ النَّهَارِ وَعِنْدَ النَّوْمِ) (رقم: ٢٧٢٧).

٨- وتزوج من محياة بنت امرئ القيس، ووُلِد له منها: ابنة هلكت وهي جارية.

ووُلِد له من أمهات الأولاد: محمد الأصغر، وأم هانئ، وميمونة، وزينب الصغرى، ورملة الصغرى، وأم كلثوم الصغرى، وفاطمة، وأمامة، وخديجة، وأم الكرام، وأم سلمة، وأم جعفر، جمانة ونفيسة.

قال ابن سعد: «فجميع ولد علي بن أبي طالب لصلبه أربعة عشر ذكرا، وتسع عشرة امرأة، وكان النسل من ولده لخمسة: الحسن، والحسين، ومحمد وابن الحنفية، والعباس ابن الكلابية، وعمر ابن التغلبية. ولم يصح لنا من ولد علي رضي الله عنه غير هؤلاء»[1].

المبحث الثالث: صفاته، ونشأته، وإسلامه، وهجرته

أولًا: صفاته الخلْقِية

كان عليٌّ رضي الله عنه: شيخًا سمينًا، عظيم البطن، أصلعاً، كثير الشعر، آدم[2] شديد الأدمة، ثقيل العينين عظيمها، أقرب إلى القصر من الطول، عظيم اللحية جدًّا، قد ملأت ما بين منكبيه، أبيض الرأس واللحية، لم يصفه أحد بالخضاب إلا سوادة بن حنظلة؛ فإنه قال: «رأيت علياً أصفر اللحية[3]»،

١- ((طبقات ابن سعد)) (٣/ ١٩- ٢٠)، وانظر: ((المنتظم في تاريخ الملوك والأمم)) لابن الجوزي (٥/ ٦٩).
٢- أي: أسمر اللون.
٣- إسناده حسن: أخرجه ابن أبي شيبة في ((مصنفه)) (كِتَابُ اللِّبَاسِ وَالزِّينَةِ) (فِي تَصْفِيرِ =

ويشبه أن يكون قد خضب مرة ثم ترك[١].

ثانيًا: إسلامه

يقول مجاهد بن جبر: «كان من نعمة الله على علي بن أبي طالب، ومما صنع الله له، وأراده به من الخير، أن قريشا أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله ﷺ للعباس عمه، وكان من أيسر بني هاشم،: «يا عباس: إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه، فلنخفف عنه من عياله، آخذ من بنيه رجلا، وتأخذ أنت رجلا، فنكلهما عنه». فقال العباس: نعم. فانطلقا حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عقيلا فاصنعا ما شئتما.

فأخذ رسول الله ﷺ عليا، فضمه إليه، وأخذ العباس جعفرا فضمه إليه، فلم يزل علي مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبيا، فاتبعه علي رضي الله عنه، وآمن به وصدَّقه، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه»[٢].

= للِّحْيَةِ) (رقم: ٢٥٠٣٦)، والإمام أحمد في ((فضائل الصحابة)) (رقم: ٩٣٦)، وابن سعد في ((الطبقات الكبرى)) (٣/ ٢٦).

١- ((تاريخ الطبري)) (٥/ ١٥٣)، ((الاستيعاب)) (٣/ ١١١١)، ((صفة الصفوة)) (١/ ١١٦)، ((تاريخ الخلفاء)) (ص: ١٣٠).

٢- إسناده صحيح إلى مجاهد: أخرجه الحاكم في ((المستدرك على الصحيحين)) (٣/ ٦٦٦) (رقم: ٦٤٦٣)، والبيهقي في كتابه ((دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة)) (بَابُ مَنْ تَقَدَّمَ إِسْلَامُهُ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ) (٢/ ١٦١، ١٦٢). وأخرجه بإسناد ضعيف الطبري في ((تاريخه)) (٢/ ٣١٣). وانظر: ((سيرة ابن=

ولهذه المكانة لعلي في بيت النبوة: كان أول من أسلم من الصبيان، واختُلف في أول من أسلم من الرجال عامة: هل هو أبو بكر الصديق أم علي؟ فقال ابن عبد البر: «الصحيح في أمر أبي بكر أنه أول من أظهر إسلامه، كذلك قال مجاهد وغيره، قالوا: ومنعه قومه. وقال ابن شهاب، وعبدالله بن محمد بن عقيل، وقتادة، وأبو إسحاق: أول من أسلم من الرجال علي. واتفقوا على أن خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدَّقه فيما جاء به، ثم علي بعدها».

=هشام)) (١/ ٢٤٦).

وتضعيف د. محمد بن عبدالله العوشن له في كتابه ((ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية)) (ص: ٢١) بعنعنة ابن أبي نجيح غير سديد، فإن ابن أبي نجيح من المكثرين عن مجاهد، بالإضافة إلى أن تدليسه عنه خاص بروايته التفسير، وفيه نزاع شهير بين القبول والرد. انظر كتاب ((معجم المدلسين)) (ص: ٢٨١فما بعدها) لأخينا وصاحبنا الشيخ محمد طلعت رحمه الله تعالى.

وأما تضعيفه له بالإرسال فهو صحيح من جهة أن مجاهدًا لم يدرك القصة، لكنه لم يرو شيئًا مرفوعًا للنبي ﷺ هذا من جهة، ومن جهة أخرى إذا وضعت في الاعتبار أن مجاهدًا من المكثرين جدًّا عن ابن عباس والملازمين له، وأن تلك القصة خاصة بالعباس فلا يبعد حينها أن يكون مصدر تلقيه لها هو ابن عباس نفسه.

وأما ما ذكره د. العوشن حول المتن فكله كلام محتمل لا يدل عليه دليل، فقد قال: ((ويبعد أن يكون سيد قريش وكبيرها -في حينه- أبو طالب عاجزًا عن إعالة أبنائه، وهم أربعة فقط: علي وجعفر وعقيل وطالب. ولا نعلم عن البنات. وإذا كان علي وجعفر صغيرين، فإن الآخران قادران على التكسب، فقد ذكر المؤرخون أن جعفرًا كان أكبر من علي بعشر سنين، وعقيل أكبر من جعفر بعشر سنين، وطالب أكبر من عقيل بعشر سنين.

والقول بأن عليًا ﷺ بادر إلى الإسلام لكونه كان في حجر النبي ﷺ، لا يلزم منه تصحيح هذه القصة، كما أن جعفرًا ﷺ كان من السابقين، ومن المهاجرين إلى الحبشة، ولم يتوقف إسلامه على إسلام العباس ﷺ الذي تأخر إلى ما بعد الهجرة بسنوات)). انتهى

ثم أسند ابن عبد البر إلى محمد بن كعب القرظي أنه سُئِل عن أول من أسلم: عليٌّ أو أبو بكر ﷺ؟ فقال: «سبحان الله! عليٌّ أولهما إسلاما، وإنما شُبِّه على الناس لأن عليًا أخفى إسلامه من أبي طالب، وأسلم أبو بكر فأظهر إسلامه، ولا شك أن عليًا عندنا أولهما إسلاما»[1].

وأيا كان الراجح في هذه المسألة، فهي تدل على فضيلة ظاهرة لعلي ﷺ، في سبقه للإسلام.

- بين علي ﷺ وأبي طالب :

كان ﷺ يخرج متخفيا لعبادة الله مع علي في شعاب مكة، لا يعلم أحد عنهما شيئا إلا الله تعالى، وذات يوم عثر عليهما أبو طالب، وهما يصليان.

فقال أبو طالب لرسول الله ﷺ: يا ابن أخي! ما هذا الدين الذي أراك تدين به؟ قال: «أي عم، هذا دين الله، ودين ملائكته، ودين رسله، ودين أبينا إبراهيم عليه السلام، بعثني الله به رسولا إلى العباد، وأنت أي عم، أحق من بذلت له النصيحة، ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابني إليه، وأعانني عليه».

فقال أبو طالب: أي ابن أخي، إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه، ولكن والله لا يخلص إليك بشيء تكرهه ما بقيت.

١- ((الاستيعاب)) (٣/ ١٠٩٢)، ورجَّح الحاكم في ((المستدرك)) (٣/ ١٤٧) أن أبا بكر الصديق ﷺ كان أول الرجال البالغين إسلاما، وعلي بن أبي طالب تقدم إسلامه قبل البلوغ.

وذكروا أنه قال لعلي: أي بني، ما هذا الدين الذي أنت عليه؟

فقال علي رضي الله عنه: يا أبتِ، آمنت بالله وبرسوله الله، وصدقته بما جاء به، وصليت معه لله، واتبعته.

فذكروا أنه قال له: أما إنه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه[1].

إيذاء الكافرين له رضي الله عنه، وبطولته:

منذ اللحظات الأولى التي أعلن عليٌّ إسلامه فيها، وهو يعلم أن منزلة رسول الله ﷺ لا يدانيها منزلة أحد من البشر، وأنه لا ينبغي لأحد من المسلمين أن يتردد في أن يفدي رسول الله ﷺ بنفسه. وكذلك علم أن عليه واجبا تجاه دينه ينبغي أن يؤديه، وقد أثبتت الأيام صدق ما رسخ في نفسه في هذا الوقت.

ففي حادث الهجرة: عندما تمالأ كفار قريش على قتل رسول الله ﷺ، واجتمعوا حول بيته لتنفيذ جريمتهم؛ أراد رسول الله ﷺ أن يترك أحدا مكانه في فراشه، وهي مهمة خطرة بلا شك، قد يدفع من يقوم بها حياتَه ثمنا لها، فانتدب النبي ﷺ عليًا لها، وقال له: «نَمْ على فراشي، وتَسَجَّ[2] ببردي هذا

١- ((السيرة النبوية)) لابن هشام: (١/ ٢٤٧)، و((عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير)) (١/ ١١٢).

٢- تسجَّى بالثوب: غطَّى به جسده ووجهه.

الحضرمي الأخضر، فنَمْ فيه، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم»(١).

قال ابن عباس: «شَرَى عليٌّ نفسه، فلبس ثوب النبي ﷺ، ثم نام في مكانه»(٢).

ولم يتوقف جهاده في سبيل الله، مع رسول الله ﷺ عند حادث الهجرة، بل ترك وطنه وأهله ولحق عليٌّ بنبيه بعد هجرته، وظلَّ يتنقل معه من غزوة لأخرى، ومن مشهد لآخر، فمن بَدْرٍ لأُحُد، ثم الأحزاب، فبيعة الرضوان وصلح الحديبية، ثم خيبر، ثم فتح مكة، وحنين، والطائف، مرورا بالسرايا والمهمات الخاصة التي كان النبي ﷺ ينتدبه لها.

يقول النووي: «وأجمع أهل التواريخ على شهوده بدرًا وسائر المشاهد غير تبوك. قالوا: وأعطاه النبى ﷺ اللواء في مواطن كثيرة. وقال سعيد بن المسيب: أصابت عليًا يوم أُحُد ستةُ عشر ضربة. وثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ أعطاه الراية يوم خيبر، وأخبر أن الفتح يكون على يديه (٣)، وأحواله في الشجاعة وآثاره في الحروب مشهورة»(٤).

١- هذه القصة مما تتابع على نقلها أهل السير، ولم أقف لها على إسناد صحيح للآن!.
انظر: ((سيرة ابن هشام)) (١/ ٤٨٢- ٤٨٣)، ((طبقات ابن سعد)) (١/ ٢٢٨)، ((دلائل النبوة)) للبيهقي (٢/ ٤٦٥- ٤٧٠)، ((البداية والنهاية)) (٤/ ٤٤١).
٢- إسناده حسن: أخرجه الحاكم في ((المستدرك)) (كِتَابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) (قِصَّةُ اعْتِزَالِ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ الْأَنْصَارِيِّ عَنِ الْبَيْعَةِ) (رقم: ٤٦٥٢) ضمن حديث طويل لابن عباس.
٣- حديث الرايةَ وفتح خيبر: يأَتي تخريجه.
٤- تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٤٥).

فلم يتخلَّف علي عن غزوة من الغزوات، إلا ما كان منه في غزوة تبوك، حينما استخلفه النبي ﷺ على المدينة، فقال له علي: «أتخلفني في الصبيان والنساء؟» فقال له النبي ﷺ: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون، من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟»[١].

وقيل أن بعض المنافقين طعن فيه، وقال إنما خلفه- في غزوة تبوك - لأنه يبغضه؛ فبين له النبي ﷺ: أني إنما استخلفتك لأمانتك عندي، وأن الاستخلاف ليس بنقص ولا غض؛ فإن موسى استخلف هارون على قومه فكيف يكون نقصاً وموسى ليفعله بهارون فطيب بذلك قلب علي، وبين أن جنس الاستخلاف يقتضي كرامة المستخلف وأمانته؛ لا يقتضي إهانته ولا تخوينه[٢].

ولم تقتصر خدمة عليٍّ لدين الله، ونشره له ؛ على ميدان القتال والسيف فحسب، بل نَشَرَه كذلك بلسانه، فحمل إلى الأمة حديثا كثيرا عن رسول الله ﷺ. فروى عن رسول الله ﷺ خمسمائة حديث وستة وثمانين حديثًا، اتفق البخاري ومسلم منها على عشرين، وانفرد البخاري بتسعة، ومسلم بخمسة عشر[٣]، هذا بخلاف فتاويه وتعليمه للناس.

١- يأتي تخريجه.
٢- ((منهاج السنة)) (٧/ ٣٢٩).
٣- ((تهذيب الأسماء واللغات)) (١/ ٣٤٥).

يقول النووي: «وأما علمه، فكان من العلوم بالمحل العالي»[1].

علي عون للوافدين إلى مكة للبحث عن الإسلام

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ ﷺ بِمَكَّةَ قَالَ لِأَخِيهِ: ارْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي، فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ، فَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ ائْتِنِي، فَانْطَلَقَ الْآخَرُ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ: رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَكَلَامًا مَا هُوَ بِالشِّعْرِ، فَقَالَ: مَا شَفَيْتَنِي فِيمَا أَرَدْتُ فَتَزَوَّدَ وَحَمَلَ شَنَّةً لَهُ، فِيهَا مَاءٌ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، فَأَتَى الْمَسْجِدَ فَالْتَمَسَ النَّبِيَّ ﷺ وَلَا يَعْرِفُهُ، وَكَرِهَ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ، حَتَّى أَدْرَكَهُ - يَعْنِي اللَّيْلَ - فَاضْطَجَعَ، فَرَآهُ عَلِيٌّ فَعَرَفَ أَنَّهُ غَرِيبٌ، فَلَمَّا رَآهُ تَبِعَهُ، فَلَمْ يَسْأَلْ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ، حَتَّى أَصْبَحَ، ثُمَّ احْتَمَلَ قِرْبَتَهُ وَزَادَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَظَلَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَلَا يَرَى النَّبِيَّ ﷺ، حَتَّى أَمْسَى، فَعَادَ إِلَى مَضْجَعِهِ، فَمَرَّ بِهِ عَلِيٌّ، فَقَالَ: مَا آنَ لِلرَّجُلِ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَهُ؟ فَأَقَامَهُ، فَذَهَبَ بِهِ مَعَهُ، وَلَا يَسْأَلُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الثَّالِثِ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَأَقَامَهُ عَلِيٌّ مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَلَا تُحَدِّثُنِي؟ مَا الَّذِي أَقْدَمَكَ هَذَا الْبَلَدَ؟ قَالَ: إِنْ أَعْطَيْتَنِي عَهْدًا وَمِيثَاقًا لَتُرْشِدَنِّي، فَعَلْتُ، فَفَعَلَ. فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: فَإِنَّهُ حَقٌّ وَهُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَاتَّبِعْنِي، فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ شَيْئًا أَخَافُ عَلَيْكَ، قُمْتُ كَأَنِّي أُرِيقُ الْمَاءَ،

١- المصدر السابق.

فَإِنْ مَضَيْتُ فَاتَّبِعْنِي حَتَّى تَدْخُلَ مَدْخَلِي، فَفَعَلَ، فَانْطَلَقَ يَقْفُوهُ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَدَخَلَ مَعَهُ، فَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي» فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَثَارَ الْقَوْمُ فَضَرَبُوهُ حَتَّى أَضْجَعُوهُ، فَأَتَى الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ: وَيْلَكُمْ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ غِفَارٍ، وَأَنَّ طَرِيقَ تُجَّارِكُمْ إِلَى الشَّامِ عَلَيْهِمْ، فَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ، ثُمَّ عَادَ مِنَ الْغَدِ بِمِثْلِهَا، وَثَارُوا إِلَيْهِ فَضَرَبُوهُ، فَأَكَبَّ عَلَيْهِ الْعَبَّاسُ فَأَنْقَذَهُ(١).

ثالثًا: هجرته:

لما أصبح على، رضي الله عنه، قام عن فراشه، فعرفه القوم وتأكدوا من نجاة رسول الله ﷺ، فقالوا لعلى: أين صاحبك؟ قال: لا أدري، أو رقيبًا كنت عليه؟ أمرتموه بالخروج فخرج. وضاق القوم بتلك الإجابة الجريئة وغاظهم خروج رسول الله من بين أظهرهم، وقد عموا عنه فلم يروه، فانتهروا عليًا وضربوه، وأخذوه إلى المسجد فحبسوه هناك ساعة، ثم تركوه(٢)، وتحمل علي ما نزل به في سبيل الله، وكان فرحه بنجاة رسول

١- حديث صحيح: أخرجه الإمام البخاري في ((صحيحه)) (كتاب مَنَاقِبِ الأَنْصَارِ) (بَابُ إِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ الغِفَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) (رقم: ٣٨٦١)، والإمام مسلم في ((صحيحه)) (كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ) (بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه) (رقم: ٢٤٧٤).

٢- إسناده ضعيف: أخرجه الطبري في ((تاريخه)) (٢/ ٣٧٤) في سياق طويل.

الله أعظم عنده من كل أذى نزل به، ولم يضعف ولم يخبر عن مكان رسول الله ﷺ ، وانطلق على في مكة يجوب شوارعها باحثًا عن أصحاب الودائع التي خلفه رسول الله من أجلها، وردها إلى أصحابها، وظل يرد هذه الأمانات حتى برئت منها ذمة رسول الله ﷺ ، وهناك تأهب للخروج ليلحق برسول الله ﷺ بعد ثلاث ليال قضاهن في مكة[1].

وكان علي في أثناء هجرته يكمن بالنهار فإذا جن عليه الليل سار حتى قدم المدينة، وقد تفطرت قدماه[2]، وهكذا يكون على ﷺ، قد لاقى في هجرته من الشدة ما لاقى، فلم تكن له راحلة يمتطيها، ولم يستطع السير في النهار لشدة حرارة الشمس وفي مشي الليل ما فيه من الظلمة المفجعة والوحدة المفزعة، ولو أضفنا إلى ذلك أنه ﷺ قد قطع الطريق على قدميه دون أن يكون معه رفيق يؤنسه، لعلمنا مقدار ما تحمله من قسوة الطريق ووعثاء السفر ابتغاء مرضاة الله -عز وجل- وأنه في نهاية المطاف سيلحق برسول الله ﷺ ، ويستمتع بجواره أمنًا مطمئنًا في المدينة، ولم يكد عليّ يقطع الطريق ويصل إلى المدينة حتى نزل في بنى عمرو بن عوف على كلثوم بن الهدم، حيث كان ينزل رسول الله ﷺ [3]، وهكذا كانت هجرة أمير

١- ((تاريخ الطبري)) (٢/ ٣٨٢)، ((البداية والنهاية)) (٧/ ٣٣٥)، ((جولة تاريخية)) (ص: ٤٢٤).

٢- ((الكامل)) (٢/ ١٠٦).

٣- ((الطبقات الكبرى)) (٣/ ٢٢)، ((سيرة ابن هشام)) (٢/ ١٢٩)، ذكره ابن إسحاق بدون إسناده، ((جولة تاريخية)) (٤٢٥).

المؤمنين على بن أبى طالب ﷺ تضحية وفداء وتحملاً وشجاعة وإقدامًا.

وقد لاحظ سيدنا على مدة إقامته بقباء امرأة مسلمة لا زوج لها، ورأى إنسانًا يأتيها من جوف الليل، فيضرب عليها بابها، فتخرج إليه، فيعطيها شيئًا معه، فتأخذه، ولنستمع إليه ﷺ وهو يحدثنا بالقصة حيث قال: فاستربت بشأنه، فقلت لها: يا أمة الله، من هذا الذي يضرب عليك بابك كل ليلة فتخرجين إليه، فيعطيك شيئًا لا أدري ما هو؟ وأنت امرأة مسلمة، لا زوج لك؟ قالت: هذا سهل بن حنيف بن وهب، قد عرف أني امرأة لا أحد لي، فإذا أمسى عدا على أوثان قومه فكسرها، ثم جاءني بها فقال: احتطبي بهذا، فكان على رضي الله يؤثر ذلك من أمر سهل بن حنيف حتى هلك عنده بالعراق[1]. ونلاحظ صفة النباهة واليقظة التي لابد للمسلم أن يتحلى بها ولا يكون غافلاً عما يدور حوله[2].

١- ((محمد رسول الله)) صادق عرجون (٢/ ٤٢١).

٢- من ((أسمى المطالب)) للصلابي (١/ ٥٥).

علي ﷺ بعد الهجرة

- المؤاخاة :

وقال ابن سعد: قَالُوا: قَالُوا: آخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بين سهل بْن حُنَيْف، وعليّ بْن أبي طَالِب[١].

قال الإمام ابن كثير: وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ السِّيَرِ وَالْمَغَازِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، آخَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ. وَلَا يَصِحُّ، وَقَدْ وَرَدَ فِي ذَلِكَ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ لَا يَصِحُّ شَيْءٌ مِنْهَا ; لِضَعْفِ أَسَانِيدِهَا، وَرَكَّةِ بَعْضِ مُتُونِهَا، فَإِنَّ فِي بَعْضِهَا: «أَنْتَ أَخِي وَوَارِثِي وَخَلِيفَتِي وَخَيْرُ مَنْ أُمِّرَ بَعْدِي». وَهَذَا الْحَدِيثُ مَوْضُوعٌ مُخَالِفٌ لِمَا ثَبَتَ فِي «الصِّحَاحِ» وَغَيْرِهِمَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ[٢].

رابعًا : بعض صفاته الخُلُقية :

كان لعلي رضي الله من الصفات أحسنها وأقومها، ولا ينبغي أن يغيب عنا أن الذي ربى عليًا هو رسول الله ﷺ، ومن تلك الصفات:

1- العلم والفقه في الدين

كان عليًا ﷺ عالمًا فقيهًا، وكان من المكثرين من الفتيا في أصحاب رسول الله ﷺ .

١- ((الطبقات الكبرى)) (٣/ ٤٧١)، و((تاريخ الإسلام)) (٢/ ٣٣٧).

٢- ((البداية والنهاية)) (١٠/ ٤١٤).

يقول ابن القيم: «والذين حفظت عنهم الفتوى من أصحاب رسول الله ﷺ مائة ونيف وثلاثون نفسا، ما بين رجل وامرأة، وكان المكثرون منهم سبعة: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وعائشة أم المؤمنين، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر.

وقال أبو محمد بن حزم: ويمكن أن يجمع من فتوى كل واحد منهم سفر ضخم»[١].

وعن ابن عباس قَالَ: كُنَّا إِذَا أَتَانَا الثَّبْتُ عَنْ عَلِيٍّ لَمْ نَعْدِلْ بِهِ[٢].

2- الزهد

عن حسن بن صالح قال: تذاكروا الزهاد عند عمر بن عبد العزيز، فقال قائلون: فلان، وقال قائلون: فلان، فقال عمر بن عبد العزيز: أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب[٣].

عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ: جُعْتُ مَرَّةً بِالْمَدِينَةِ جُوعًا شَدِيدًا، فَخَرَجْتُ أَطْلُبُ الْعَمَلَ فِي عَوَالِي الْمَدِينَةِ، فَإِذَا أَنَا بِامْرَأَةٍ قَدْ جَمَعَتْ مَدَرًا، فَظَنَنْتُهَا تُرِيدُ

١- ((إعلام الموقعين)) لابن القيم (١/ ١٠).

٢- إسناده حسن: أخرجه ابن عبد البر في ((جامع بيان العلم وفضله)) (بَابُ اجْتِهَادِ الرَّأْيِ عَلَى الْأُصُولِ عِنْدَ عَدَمِ النُّصُوصِ فِي حِينِ نُزُولِ النَّازِلَةِ) (رقم: ١٦٠٣)، وانظر: ((الاستيعاب)) (٣/ ١١٠٤)، و((تهذيب الكمال)) (٢٠/ ٤٨٦)، و((الإصابة في تمييز الصحابة)) (٤/ ٤٦٧).

٣- ((تاريخ دمشق)) (٤٢/ ٤٨٩)، و((سير أعلام النبلاء – راشدون)) (٢٤٥).

بَلَّهُ فَأَتَيْتُهَا، فَقَاطَعْتُهَا كُلَّ ذَنُوبٍ عَلَى تَمْرَةٍ، فَمَدَدْتُ سِتَّةَ عَشَرَ ذَنُوبًا حَتَّى مَجَلَتْ يَدَايَ، ثُمَّ أَتَيْتُ الْمَاءَ فَأَصَبْتُ مِنْهُ، ثُمَّ أَتَيْتُهَا فَقُلْتُ: بِكَفَّيَّ هَكَذَا بَيْنَ يَدَيْهَا - وَبَسَطَ إِسْمَاعِيلُ يَدَيْهِ وَجَمَعَهُمَا - فَعَدَّتْ لِي سِتَّ عَشْرَةَ تَمْرَةً فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَأَكَلَ مَعِي مِنْهَا "[١].

3- الكرم والجود

وروى الحافظ ابن عساكر من طريق أبي زكريا الرملي، ثنا يزيد بن هارون، عن نوح بن قيس، عن سلامة الكندي، عن الأصبغ بن نباتة، عن علي أنه جاءه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، إن لي إليك حاجة قد رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك، فإن أنت قضيتها حمدت الله وشكرتك، وإن أنت لم تقضها حمدت الله وعذرتك. فقال علي: اكتب على الأرض ; فإني أكره أن أرى ذل السؤال في وجهك. فكتب: إني محتاج. فقال علي: علي بحلة. فأتى بها، فأخذها الرجل فلبسها، ثم أنشأ يقول:

كسوتني حلة تبلى محاسنها ... فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا
إن نلت حسن ثنائي نلت مكرمة ... ولست تبغي بما قد قلته بدلا
إن الثناء ليحيي ذكر صاحبه ... كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا

١- إسناده ضعيف لانقطاعه بين مجاهد وعلي ﷺ: أخرجه أحمد في ((مسنده)) (٢/ ٣٥١) (رقم: ١١٣٥)، و((فضائل الصحابة)) له (رقم: ١٢٢٩)، وابن أبي الدنيا في ((الجوع)) (رقم: ١٧)، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء وطبقات الأصفياء)) (١/ ٧٠).

لا تـزهد الدهـر في خير تواقعه فكـل عـبد سيجزى بالـذي عمـلا

فقال علي: علي بالدنانير. فأتي بمائة دينار، فدفعها إليه. قال الأصبغ: فقلت: يا أمير المؤمنين، حلة ومائة دينار؟! قال: نعم. «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنزلوا الناس منازلهم». وهذه منزلة هذا الرجل عندي[1].

4- شدة عبوديته وصبره وإخلاصه لله تعالى

عَنْ أَبِي صَالِحٍ، قَالَ: دَخَلَ ضِرَارُ بْنُ حَمْزَةَ الْكِنَانِيُّ عَلَى مُعَاوِيَةَ ﷺ، فَقَالَ: صِفْ لِي عَلِيًّا، فَقَالَ: أَوَ تَعْفِينِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: لَا أَعْفِيكَ، قَالَ: قَدْ كَانَ وَاللَّهِ بَعِيدَ الْمَدَى شَدِيدَ الْقُوَى، يَقُولُ فَصْلًا وَيَحْكُمُ عَدْلًا، يَتَفَجَّرُ الْعِلْمُ مِنْ جَوَانِبِهِ، وَتَنْطِقُ الْحِكْمَةُ مِنْ نَوَاحِيهِ، يَسْتَوْحِشُ مِنَ الدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا، وَيَسْتَأْنِسُ بِاللَّيْلِ وَظُلْمَتِهِ.

كَانَ وَاللَّهِ غَزِيرَ الْعَبْرَةِ، طَوِيلَ الْفِكْرَةِ، يُقَلِّبُ كَفَّهُ وَيُخَاطِبُ نَفْسَهُ، يُعْجِبُهُ مِنَ اللِّبَاسِ مَا قَصُرَ.

وَمِنَ الطَّعَامِ مَا جَشَبَ، كَانَ وَاللَّهِ كَأَحَدِنَا يُدْنِينَا إِذَا أَتَيْنَاهُ، وَيُجِيبُنَا إِذَا سَأَلْنَاهُ وَكَانَ مَعَ تَقَرُّبِهِ إِلَيْنَا وَقُرْبِهِ مِنَّا لَا نُكَلِّمُهُ هَيْبَةً لَهُ، فَإِنْ يَبْتَسِمُ فَعَنْ مِثْلِ اللُّؤْلُؤِ الْمَنْظُومِ، وَيُعَظِّمُ أَهْلَ الدِّينِ وَيُحِبُّ الْمَسَاكِينَ، لَا يَطْمَعُ الْقَوِيُّ فِي بَاطِلِهِ، وَلَا يَيْأَسُ الضَّعِيفُ مِنْ عَدْلِهِ، فَأَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي مَوَاقِفِهِ، وَقَدْ أَرْخَى اللَّيْلُ سُدُولَهُ، وَغَارَتْ نُجُومُهُ يَتَمَيَّلُ فِي مِحْرَابِهِ قَابِضًا

---

١ - إسناده ضعيف: أخرجه الرافعي في ((التدوين في أخبار قزوين)) (٢/ ٣٥٣، ٣٥٤)، وابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (٤٢/ ٥٢٣). وانظر: ((البداية والنهاية)) (١١/ ١١٨).

عَلَى لِحْيَتِهِ يَتَمَلْمَلُ تَمَلْمُلَ السَّلِيمِ، وَيَبْكِي بُكَاءَ الْحَزِينِ، وَكَأَنِّي أَسْمَعُهُ الْآنَ وَهُوَ يَقُولُ: يَا رَبَّنَا يَا رَبَّنَا، يَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ لِلدُّنْيَا: أَنَّى تَشَوَّفْتِ لِي، أَنَّى تَعَرَّضْتِ لِي، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، غُرِّي غَيْرِي قَدْ بَتَتُّكِ ثَلَاثًا لَا رَجْعَةَ لِي فِيكِ، ثُمَّ قَالَ: فَعُمْرُكِ قَصِيرٌ، وَمَجْلِسُكِ حَقِيرٌ، وَخَطَرُكِ كَثِيرٌ، آهٍ آهٍ مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ، وَبُعْدِ السَّفَرِ، وَوَحْشَةِ الطَّرِيقِ، فَوَكَفَتْ دُمُوعُ مُعَاوِيَةَ ﷺ عَلَى لِحْيَتِهِ مَا يَمْلِكُهَا وَجَعَلَ يُنَشِّفُهَا بِكُمِّهِ، فَقَالَ: كَذَا كَانَ أَبُو الْحَسَنِ، رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)].

5- هيبته ﷺ

ومن ذلك ما جاء في توقير أبي أيوب الأنصاري ﷺ له، وقوله له: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَوْلَايَ، فعَنْ رِيَاحِ بن الْحَارِثِ، قَالَ: بَيْنَا عَلِيٌّ ﷺ جَالِسٌ فِي الرَّحَبَةِ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ وَعَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَوْلَايَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا ؟ قَالَ: أَبُو أَيُّوبَ الأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: أَبُو أَيُّوبَ سَمِعْت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ[(٢)].

وعَنْ رِيَاحِ بن الْحَارِثِ النَّخَعِيِّ، قَالَ: كُنَّا قُعُودًا مَعَ عَلِيٍّ ﷺ، فَجَاءَ رَكْبٌ مِنَ الأَنْصَارِ عَلَيْهِمُ الْعَمَائِمُ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَوْلَانَا، فَقَالَ عَلِيٌّ ﷺ أَنَا مَوْلَاكُمْ وَأَنْتُمْ قَوْمٌ عَرَبٌ ؟ قَالُوا: نَعَمْ سَمِعْنَا النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: مَنْ كُنْتُ

١- إسناده ضعيف: أخرجه القالي في ((الأمالي)) (٢/ ١٤٧)، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء وطبقات الأصفياء)) (١/ ٨٤)، وابن عبد البر في ((الاستيعاب في معرفة الأصحاب)) (٣/ ١١٠٨)، والشجري في ((ترتيب الأمالي الخميسية)) (١/ ١٨٦، ١٨٧) (رقم: ٧٠٠)، وابن الجوزي في ((التبصرة)) (ص: ٤٥٠)، وابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (٢٤/ ٤٠١).

٢- إسناده جيِّد: أخرجه الطبراني في ((المعجم الكبير)) (رقم: ٤٠٥٢) (٤/ ١٧٣).

مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَهَذَا أَبُو أَيُّوبَ فِينَا، فَحَسَرَ أَبُو أَيُّوبَ الْعِمَامَةَ عَنْ وَجْهِهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ[١].

6- شجاعته رضي الله عنه

عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ، قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ قَدْ تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِي خَيْبَرَ وَكَانَ رَمِدًا، فَقَالَ: أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَخَرَجَ عَلِيٌّ فَلَحِقَ بِالنَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا كَانَ مَسَاءُ اللَّيْلَةِ الَّتِي فَتَحَهَا اللهُ فِي صَبَاحِهَا. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ، أَوْ لَيَأْخُذَنَّ بِالرَّايَةِ غَدًا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، أَوْ قَالَ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللهُ عَلَيْهِ» فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ، وَمَا نَرْجُوهُ. فَقَالُوا: هَذَا عَلِيٌّ، فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرَّايَةَ. فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ[٢].

قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا خَيْبَرَ، قَالَ: خَرَجَ مَلِكُهُمْ مَرْحَبٌ يَخْطِرُ بِسَيْفِهِ، وَيَقُولُ:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ ... شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ

إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ،

قَالَ: وَبَرَزَ لَهُ عَمِّي عَامِرٌ، فَقَالَ:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي عَامِرُ ... شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُغَامِرُ

١- أخرجه الطبراني في ((المعجم الكبير)) (رقم: ٤٠٥٣) (٤/ ١٧٤)، بإسناد ضعيف جدًّا، به يَحْيَى الْحِمَّاني، اتهموه بسرقة الحديث.

٢- حديث صحيح: أخرجه الإمام البخاري في ((صحيحه)) (كِتَابُ المَغَازِي) (بَابُ غَزْوَةِ خَيْبَرَ) (رقم: ٤٢٠٩)، والإمام مسلم في ((صحيحه)) (كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ) (بَابُ مِنْ فَضَائِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه) (رقم: ٢٤٠٧).

قَالَ: فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ، فَوَقَعَ سَيْفُ مَرْحَبٍ فِي تُرْسِ عَامِرٍ، وَذَهَبَ عَامِرٌ يَسْفُلُ لَهُ، فَرَجَعَ سَيْفُهُ عَلَى نَفْسِهِ، فَقَطَعَ أَكْحَلَهُ، فَكَانَتْ فِيهَا نَفْسُهُ، قَالَ سَلَمَةُ: فَخَرَجْتُ، فَإِذَا نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، يَقُولُونَ: بَطَلَ عَمَلُ عَامِرٍ، قَتَلَ نَفْسَهُ، قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، بَطَلَ عَمَلُ عَامِرٍ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ ذَلِكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِكَ، قَالَ: «كَذَبَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ، بَلْ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ»، ثُمَّ أَرْسَلَنِي إِلَى عَلِيٍّ وَهُوَ أَرْمَدُ، فَقَالَ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ» - أَوْ «يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ» -، قَالَ: فَأَتَيْتُ عَلِيًّا، فَجِئْتُ بِهِ أَقُودُهُ وَهُوَ أَرْمَدُ، حَتَّى أَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَبَسَقَ فِي عَيْنَيْهِ فَبَرَأَ وَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، وَخَرَجَ مَرْحَبٌ، فَقَالَ:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ   شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ
إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

فَقَالَ عَلِيٌّ:

أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَهْ   كَلَيْثِ غَابَاتٍ كَرِيهِ الْمَنْظَرَهْ
أُوفِيهِمُ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ

قَالَ: فَضَرَبَ رَأْسَ مَرْحَبٍ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ كَانَ الْفَتْحُ عَلَى يَدَيْهِ[1].

١- حديث صحيح: أخرجه الإمام مسلم في ((صحيحه)) (كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ) (بَابُ غَزْوَةِ ذِي قَرَدٍ وَغَيْرِهَا) (رقم: ١٨٠٧).



الباب الثاني

فضائل علي رضي الله عنه وعلاقته بالرسول والخلفاء

تمهيد

لا يكاد أحدٌ يكتب في مناقب هذا الصحابي الكبير، إلا ويتذكر قول إمام أهل السنة: أحمد بن حنبل، حين قال: «ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل ما جاء لعلي بن أبي طالب ﷺ»[١]. فهذا القول من إمام عارف بالحديث وأخباره، يدلُّ على كثرة الأحاديث الواردة في فضل عليٍّ، لكنه مع ذلك لا يدل على صحة هذه الأحاديث!

نعم، قد رُويت هذه العبارة عن الإمام أحمد بلفظ آخر، وهو: «ما لأحد من الصحابة من الفضائل بالأسانيد الصحاح مثل ما لعلي رضى الله عنه»[٢]، لكنَّ إسنادها لا يصح، وكذلك متنها أيضا. فهناك فارق بين الكلام عن ورود الأحاديث وروايتها، والكلام عن ثبوتها وصحتها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأحمد بن حنبل لم يقل إنه صح لعلي من الفضائل ما لم يصح لغيره، بل أحمد أجل من أن يقول مثل هذا الكذب، بل نُقل عنه أنه قال: روي له ما لم يُروَ لغيره، مع أن في نقل هذا عن أحمد كلاما ليس هذا موضعه»[٣].

١- إسناده صحيح: أخرجه الحاكم في ((المستدرك)) (كتاب معرفة الصحابة) (باب ومن مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) (رقم: ٤٥٧٢)، وابن أبي يعلى في ((طبقات الحنابلة)) (١/ ٣١٧).

٢- أخرجها عنه ابن الجوزي في ((مناقب الإمام أحمد)) (ص: ٢١٩- ٢٢٠).

٣- ((منهاج السنة)) (٧/ ٣٧٤).

وقال في موطن آخر: «وقول من قال: صح لعلي من الفضائل ما لم يصح لغيره؛ كذب، لا يقوله أحمد ولا غيره من أئمة الحديث؛ لكن قد يقال: روي له ما لم يرو لغيره، لكن أكثر ذلك من نَقْلِ من عُلِمَ كذبُه أو خطؤُه؛ ودليل واحد صحيح المُقدِّمات سليم عن المعارضة خيرٌ من عشرين دليلا مُقدِّماتها ضعيفة، بل باطلة، وهي معارضة بأصح منها يدل على نقيضها» (١).

وقال الخليلي: «قال بعض الحفاظ: تأملت ما وضعه أهل الكوفة في فضائل علي وأهل بيته، فزاد على ثلاثمائة ألف» (٢).

وقال الإمام الذهبي: «لم يُروَ لأحد من الصحابة في الفضائل أكثر مما رُوِيَ لعليٍّ - عليه السلام - لكنها ثلاثة أقسام: قسم صحاح وحسان، وقسم ضعاف وواهيات، وفيها كثرة، وقسم أباطيل وموضوعات، وهي كثيرة للغاية، لعلَّ بعضها ضلال وزندقة، قاتل الله من افتراها، ....، وعلي ﷺ سيد كبير الشأن، قد أغناه الله تعالى أن تثبت مناقبه بالأكاذيب،....» إلى آخر كلامه (٣).

١- المصدر السابق (٨/ ٤٢١).

٢- ((الإرشاد في معرفة علماء الحديث)) (١/ ٤٢٠).

٣- ((تلخيص كتاب الموضوعات)) لابن الجوزي (ص: ١٤١).

ولم يكتف الأفَّاكون بوضع الأحاديث في مناقب عليٍّ فقط، بل راحوا ينسبون إليه ولأهل بيته ما لم يصح عنهم.

فقد أخرج البغوي في ((الجعديات)) (رقم: ٢٥٥٦) والبيهقي في ((المدخل إلى السنن الكبرى)) (٨٠) – بسند صحيح – عن الإمام الشعبي أنه قال: «ما كُذِب على أحد في هذه الأمة ما كُذِب على عليٍّ ﷺ».

والأمر كما قال الذهبي – رحمه الله –، فقد ثبت لأمير المؤمنين عليٍّ ﷺ من المناقب ما يُغني عن هذه الأحاديث الضعيفة والباطلة والمكذوبة، ولن أتكلم عن هذه الأحاديث الثابتة هنا، ففي ثنايا أحاديث المُستَدرَك التي تمَّ تحقيقها، والتي تأتي في الباب الثاني من هذا البحث؛ ما فيه الكفاية، فلتُنظر هناك، وليُنظر كلام العلماء عليها، وبالله التوفيق (١).

لكن مما ينبغي أن يُشار إليه هنا : أنه لكثرة هذه الأحاديث المروية في فضائل علي ﷺ ، الثابتة وغير الثابتة، اهتم العلماء بإفراد مُصنَّفاتٍ لها، ومن هذه المُصنَّفات - على سبيل المثال - ما يلي :

1- «خصائص علي» للإمام النَّسائي.

قال الحافظ ابن حجر: «وأوعب من جمع مناقبه – أي: مناقب عليٍّ من الأحاديث الجياد: النسائي في كتاب الخصائص»(٢).

وقال شيخ الإسلام في ((مجموع الفتاوى)) (١٣/ ٢٤٤): ولكن ينبغي أن يعرف أنه قد كُذِب على عليٍّ وأهل بيته؛ لا سيما على جعفر الصادق، ما لم يُكذَب على غيره من الصحابة.ا.هـ

وقال في موطن آخر (٢١/ ٣٧٣): والكذب على عليٍّ كثير مشهور، أكثر منه على غيره.ا.هـ

١- بلغ عدد أحاديث مناقب علي بن أبي طالب ﷺ في ((المستدرك))، والتي تم استخراجها وتحقيقها في هذا البحث: اثنين وسبعين حديثا، فانظر – على سبيل المثال – من هذه الأحاديث الثابتة في فضله: ما جاء في مُسنَد بريدة بن الحُصيب برقم (٢٥٨٩،٤٥٧٨)، وفي مُسنَد زيد بن أرقم برقم (٤٥٧٦)، وفي مُسنَد سعد بن أبي وقَّاص برقم (٤٥٧٥) وفي مُسنَد سلمان الفارسي برقم (٤٦٤٨).

٢- ((فتح الباري)) (٧/ ٤٧).

2- «مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب»، لابن المغازلي، أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن الطيب بن أبي يعلى بن الجلابي.

3- «مناقب الأسد الغالب، مُمزق الكتائب ومُظهر العجائب، ليث بن غالب، أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب» لشمس الدين ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف[١].

4- «مناقب علي بن أبي طالب» لأبي المؤيَّد موفَّق بن أحمد الخوارزمي.

5- «مناقب علي بن أبي طالب» لأبي المعالي الفقيه، المالكي.

6- «مناقب علي بن أبي طالب» لحافظ الدين محمد بن أحمد العجمي[٢].

7- «كفاية الطالب، في مناقب علي بن أبي طالب» للشيخ الحافظ: أبي عبدالله محمد بن يوسف بن محمد الكنجي، الشافعي[٣].

وقال في الإصابة (٧/ ٢٧٦) في ترجمة علي بن أبي طالب: وقد ولَّد له الغلاة مناقب موضوعة، هو غنى عنها، وتتبع النسائي ما خُصَّ به من دون الصحابة فجمع من ذلك شيئا كثيرا بأسانيد أكثرها جياد. ا. هـ بتصرف يسير.

١- وهذه الكتب الثلاثة السابق ذكرها: مطبوعة ومنشورة.

٢- ذكر هذه المُصنَّفات الثلاثة الأخيرة: حاجي خليفة، في كشف الظنون (٢/ ١٨٤٤).

٣- المصدر السابق (٢/ ١٤٩٧).

المبحث الأول: فضائل علي ﷺ:

لقد ثبت لعلي ﷺ عدد من الفضائل، واستقصاء هذه الفضائل يطول، وسننتقي أصح ما ورد من فضائله ﷺ، كدلالة على سائر فضائله، ومنها:

حبه إيمان، وبغضه نفاق:

عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ زِرٍّ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ: وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﷺ إِلَيَّ: «أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ»[١].

يموت شهيدًا:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، كَانَ عَلَى حِرَاءٍ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، فَتَحَرَّكَتِ الصَّخْرَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اهْدَأْ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ، أَوْ شَهِيدٌ»[٢].

من أهل الجنة:

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ

١- حديث صحيح: أخرجه الإمام مسلم في ((صحيحه)) (كِتَابُ الْإِيمَانَ) (بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ حُبَّ الْأَنْصَارِ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ وَعَلَامَاتِهِ، وَبُغْضِهِمْ مِنْ عَلَامَاتِ النِّفَاقِ) (رقم: ٧٨).

٢- حديث صحيح: أخرجه الإمام مسلم في ((صحيحه)) (كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ) (بَابُ مِنْ فَضَائِلِ طَلْحَةَ، وَالزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا) (رقم: ٢٤١٧).

فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ»(١).

منزلته من رسول الله :

عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى تَبُوكَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا، فَقَالَ: أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ؟ قَالَ: «أَلاَ تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ، مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي»(٢).

يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله

عَنْ أَبِي حَازِمٍ، أَخْبَرَنِي سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ» قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، قَالَ فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالُوا: هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ، فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ، حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا،

١- حديث صحيح: أخرجه الإمام أحمد في ((مسنده)) (كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ) (بَابُ مِنْ فَضَائِلِ طَلْحَةَ، وَالزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا) (رقم: ٢٤١٧)، والحميدي في ((مسنده)) (رقم: ٨٤)، وابن أبي شيبة في ((مصنفه)) (كِتَابُ الْفَضَائِلِ) (مَا ذُكِرَ فِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) (٦/ ٣٥١) (رقم: ٣١٩٥٣).

٢- حديث صحيح: أخرجه الإمام البخاري في ((صحيحه)) (كِتَابُ المَغَازِي) (بَابُ غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهِيَ غَزْوَةُ العُسْرَةِ) (رقم: ٤٤١٦)، والإمام مسلم في ((صحيحه)) (كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ) (بَابُ مِنْ فَضَائِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ) (رقم: ٢٤٠٤).

فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»[١].

المبحث الثاني: علي مع النبي ﷺ والخلفاء الراشدين

أولًا: حياة علي مع النبي ﷺ

كانت لتربية النبي ﷺ لعلي ﷺ أكبر الأثر على حياته، ومن المعلوم أن المتعلم - لا سيما إذا كان فطنًا ذكيًا - يأخذ من خلق معلمه وسمته وهديه، فكيف إذا كان المعلم هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد سبق لنا بعض الجوانب في علاقة علي برسول الله ﷺ، كتربية علي وهو نوع من أنواع التخفيف عن عمه، ووفاءًا بحقه.

وإصلاحه بين علي وابنته فاطمة زوجته.

واستخلافه على المدينة في غزوة تبوك.

وأصدق ما يمكن ان يصف تلك العلاقة هو قول الرسول ﷺ: «أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ، مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي»[٢].

١- حديث صحيح: أخرجه الإمام البخاري في ((صحيحه)) (كِتَابُ الْمَغَازِي) (بَابُ غَزْوَةِ خَيْبَرَ) (رقم: ٤٢١٠)، والإمام مسلم في ((صحيحه)) (كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ) (بَابُ مِنْ فَضَائِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ) (رقم: ٢٤٠٦).

٢- حديث صحيح: تقدم تخريجه.

جهاده وغزواته ﷺ مع النبي ﷺ :

1- غزوة بدر الكبرى ودور علي بن أبي طالب فيها :

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَجْثُو بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ لِلْخُصُومَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ» وَقَالَ قَيْسُ بْنُ عُبَادٍ: وَفِيهِمْ أُنْزِلَتْ: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩] قَالَ: «هُمُ الَّذِينَ تَبَارَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ: حَمْزَةُ، وَعَلِيٌّ، وَعُبَيْدَةُ، أَوْ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الحَارِثِ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَعُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَالوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ»[١].

ولما خرج عتبة بن ربيعة، بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة، حتى إذا فصل من الصف دعا إلى المبارزة، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة، وهم: عوف، ومعوذ، ابنا الحارث- وأمهما عفراء- ورجل آخر، يقال: هو عبد الله بن رواحة، فقالوا: من أنتم؟ فقالوا: رهط من الأنصار، قالوا: ما لنا بكم من حاجة. ثم نادى مناديهم: يا محمد، أخرج إلينا أكفاءنا عن قومنا، فقال رسول الله ﷺ: قم يا عبيدة بن الحارث، وقم يا حمزة، وقم يا علي، فلما قاموا ودنوا منهم، قالوا: من أنتم؟ قال عبيدة: عبيدة، وقال حمزة: حمزة، وقال علي: علي، قالوا: نعم، أكفاء كرام. فبارز عبيدة، وكان أسن القوم، عتبة بن ربيعة، وبارز حمزة شيبة بن ربيعة، وبارز علي الوليد

١- حديث صحيح: أخرجه الإمام البخاري في ((صحيحه)) (كِتَابُ المَغَازِي) (بَابُ قَتْلِ أَبِي جَهْلٍ) (رقم: ٣٩٦٥).

بن عتبة. فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين، كلاهما أثبت صاحبه، وكر حمزة وعلي بأسيافهما على عتبة فذففا[1] عليه، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه[2]. وهذا مما يبين شجاعته ﷺ.

2- علي ﷺ في غزوة أحد:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَاتَلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى قُتِلَ، وَكَانَ الَّذِي قَتَلَهُ ابْنُ قَمِئَةَ اللَّيْثِيُّ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَرَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ فَقَالَ: قَتَلْتُ مُحَمَّدًا. فَلَمَّا قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اللِّوَاءَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَقَاتَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَرِجَالٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَحَدَّثَنِي مَسْلَمَةُ بْنُ عَلْقَمَةَ الْمَازِنِيُّ، قَالَ: لَمَّا اشْتَدَّ الْقِتَالُ يَوْمَ أُحُدٍ، جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ رَايَةِ الْأَنْصَارِ، وَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ: أَنْ قَدِّمِ الرَّايَةَ. فَتَقَدَّمَ عَلِيٌّ، فَقَالَ: أَنَا أَبُو الْفُصَمِ، وَيُقَالُ: أَبُو الْقُصَمِ، فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ- فَنَادَاهُ أَبُو سَعْدِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، وَهُوَ صَاحِبُ لِوَاءِ الْمُشْرِكِينَ: أَنْ هَلْ لَكَ يَا أَبَا الْقُصَمِ فِي الْبِرَازِ مِنْ حَاجَةٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَبَرَزَا بَيْنَ الصَّفَّيْنِ، فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ[3].

وعن عكرمة، قال: قال علي: لَمَّا انْجَلَى النَّاسُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ نَظَرْتُ فِي الْقَتْلَى فَلَمْ أَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ وَاللَّهِ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ

١- ذففا عليه: أسرعا قتله.

٢- ((سيرة ابن هشام)) (١/ ٦٢٥)، ((البداية والنهاية)) (٥/ ٩٦).

٣- ((سيرة ابن هشام)) (٢/ ٧٤)، ((البداية والنهاية)) (٥/ ٣٦٨).

ﷺ لِيَفِرَّ وَمَا أَرَاهُ فِي الْقَتْلَى وَلَكِنْ أَرَى اللَّهَ ﷻ غَضِبَ فَرَفَعَ نَبِيَّهُ فَمَا لِي خَيْرٌ مِنْ أَنْ أُقَاتِلَ حَتَّى أُقْتَلَ فَكَسَرْتُ جفْنَ سَيْفِي ثُمَّ حَمَلْتُ عَلَى الْقَوْمِ فَأَفْرَجُوا لِي فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ[١].

وقد بعث رسول الله ﷺ على بن أبي طالب فقال: اخرج في إثر القوم فانظر ماذا يصنعون، وماذا يريدون، فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الابل فإنهم يريدون مكة، وان ركبوا الخيل وساقوا الابل فإنهم يريدون المدينة، والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها، ثم لأناجزنهم، قال علي رحمه الله عليه: فخرجت في إثرهم أنظر ماذا يصنعون، فلما جنبوا الخيل، وامتطوا الابل، ووجهوا إلى مكة، أقبلت أصيح ما أستطيع أن أكتم ما أمرني به رسول الله ﷺ لما بي من الفرح إذ رأيتهم انصرفوا عن المدينة[٢].

3- علي ﷺ في غزوة بني النضير:

وفي ليلة من الليالي - في هذه الغزوة - فقد علي بن أبي طالب عليه السلام حين قرب العشاء، فقال الناس: ما نرى عليا يا رسول الله. قال رسول الله ﷺ: دعوه، فإنه في بعض شأنكم!

فلم يلبث أن جاء برأس عزوك، فطرحه بين يدي رسول الله ﷺ فقال: يا

١- إسناده منقطع، أخرجه أبو يعلى في ((مسنده)) (١/ ٤١٥) (رقم: ٥٤٦) ومن طريقه الضياء في ((الأحاديث المختارة)) (٢/ ٢٩٤).

٢- ((سيرة ابن إسحاق)) (١/ ٣٣٤)، ((البداية والنهاية)) (٥/ ٤٢١).

رسول الله، إني كمنت لهذا الخبيث فرأيت رجلا شجاعا، فقلت: ما أجرأه أن يخرج إذا أمسينا يطلب منا غرة. فأقبل مصلتا سيفه في نفر من اليهود، فشددت عليه فقتلته، وأجلى أصحابه ولم يبرحوا قريبا، فإن بعثت معي نفرا رجوت أن أظفر بهم. فبعث معه أبا دجانة، وسهل بن حنيف في عشرة من أصحابه، فأدركوهم قبل أن يدخلوا حصنهم، فقتلوهم وأتوا برءوسهم، فأمر رسول الله ﷺ برءوسهم فطرحت في بعض بئار بني خطمة[1].

4- علي رضي الله عنه في غزوة الأحزاب:

قال ابن إسحاق: ثم تيمموا مكانا ضيقا من الخندق، فضربوا خيلهم فاقتحمت منه، فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع، وخرج علي بن أبي طالب عليه السلام في نفر معه من المسلمين، حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم، وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة، فلم يشهد يوم أحد، فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليري مكانه. فلما وقف هو وخيله، قال: من يبارز؟ فبرز له علي بن أبي طالب فقال له: يا عمرو، إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه، قال له: أجل، قال له علي: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله، وإلى الإسلام، قال: لا حاجة لي بذلك، قال: فإني أدعوك إلى النزال، فقال له: لم يا بن أخي؟ فو

١- ((مغازي الواقدي)) (١/ ٧٣٢)، و((سبل الهدى والرشاد)) (٤/ ٣٢٢).

الله ما أحب أن أقتلك، قال له علي: لكني والله أحب أن أقتلك، فحمى عمرو عند ذلك، فاقتحم عن فرسه، فعقره، وضرب وجهه، ثم أقبل على علي، فتنازلا وتجاولا، فقتله علي رضي الله عنه[١].

5- علي رضي الله عنه في غزوة بني قريظة:

قال ابن هشام: حدثني بعض من أثق به من أهل العلم: أن علي بن أبي طالب صاح وهم محاصرو بني قريظة: يا كتيبة الإيمان، وتقدم هو والزبير بن العوام، وقال: والله لأذوقن ما ذاق حمزة أو لأفتحن حصنهم، فقالوا: يا محمد، ننزل على حكم سعد بن معاذ[٢].

6- علي في صلح الحديبية:

عنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، بِالرَّحَبَةِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْحُدَيْبِيَةِ خَرَجَ إِلَيْنَا نَاسٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِيهِمْ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَأُنَاسٌ مِنْ رُؤَسَاءِ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ خَرَجَ إِلَيْكَ نَاسٌ مِنْ أَبْنَائِنَا وَإِخْوَانِنَا وَأَرِقَّائِنَا وَلَيْسَ لَهُمْ فِقْهٌ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا خَرَجُوا فِرَارًا مِنْ أَمْوَالِنَا وَضِيَاعِنَا فَارْدُدْهُمْ إِلَيْنَا. فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِقْهٌ فِي الدِّينِ سَنُفَقِّهُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ لَتَنْتَهُنَّ أَوْ لَيَبْعَثَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مَنْ يَضْرِبُ رِقَابَكُمْ بِالسَّيْفِ عَلَى الدِّينِ، قَدْ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ». قَالُوا: مَنْ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: مَنْ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ وَقَالَ عُمَرُ: مَنْ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «هُوَ خَاصِفُ النَّعْلِ»، وَكَانَ

١- ((سيرة ابن هشام)) (٢/ ٢٢٥)، ((البداية والنهاية)) (٦/ ٤٦)، وانظر: ((مرويات غزوة الخندق)) (٢٩٣).

٢- ((سيرة ابن هشام)) (٢/ ٢٤٠).

أَعْطَى عَلِيًّا نَعْلَهُ يَخْصِفُهَا، قَالَ: ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْنَا عَلِيٌّ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[١].

عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ البَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا صَالَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَهْلَ الحُدَيْبِيَةِ، كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بَيْنَهُمْ كِتَابًا، فَكَتَبَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ المُشْرِكُونَ: لاَ تَكْتُبْ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، لَوْ كُنْتَ رَسُولاً لَمْ نُقَاتِلْكَ، فَقَالَ لِعَلِيٍّ: «امْحُهُ»، فَقَالَ عَلِيٌّ: مَا أَنَا بِالَّذِي أَمْحَاهُ، فَمَحَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ، وَصَالَحَهُمْ عَلَى أَنْ يَدْخُلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، وَلاَ يَدْخُلُوهَا إِلَّا بِجُلُبَّانِ السِّلاَحِ، فَسَأَلُوهُ مَا جُلُبَّانُ السِّلاَحِ؟ فَقَالَ: القِرَابُ بِمَا فِيهِ[٢].

وسيكون لهذا الموقف أثر على علي ﷺ نعرفه فيما بعد.

7- علي في غزوة خيبر:

عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ، قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ قَدْ تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِي خَيْبَرَ وَكَانَ رَمِدًا، فَقَالَ: أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَخَرَجَ عَلِيٌّ فَلَحِقَ بِالنَّبِيِّ ﷺ

١- حديث حسن: أخرجه الترمذي في ((جامعه)) (رقم: ٣٧١٥) وقال: ((هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ رِبْعِيٍّ عَنْ عَلِيٍّ))، والحاكم في ((المستدرك)) (رقم: ٢٦١٤).

٢- حديث صحيح: أخرجه الإمام البخاري في ((صحيحه)) (كِتَابُ الصُّلْحِ) (بَابٌ: كَيْفَ يُكْتَبُ هَذَا: مَا صَالَحَ فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ، وَفُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ، وَإِنْ لَمْ يَنْسُبْهُ إِلَى قَبِيلَتِهِ أَوْ نَسَبِهِ) (رقم: ٢٦٩٨)، والإمام مسلم في ((صحيحه)) (كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ) (بَابُ صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ فِي الحُدَيْبِيَةِ) (رقم: ٢٧٢٧).

فَلَمَّا كَانَ مَسَاءُ اللَّيْلَةِ الَّتِي فَتَحَهَا اللهُ فِي صَبَاحِهَا. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ، أَوْ لَيَأْخُذَنَّ بِالرَّايَةِ غَدًا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، أَوْ قَالَ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللهُ عَلَيْهِ» فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ، وَمَا نَرْجُوهُ. فَقَالُوا: هَذَا عَلِيٌّ، فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرَّايَةَ. فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ[1].

قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا خَيْبَرَ، قَالَ: خَرَجَ مَلِكُهُمْ مَرْحَبٌ يَخْطِرُ بِسَيْفِهِ، وَيَقُولُ:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ
إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

قَالَ: وَبَرَزَ لَهُ عَمِّي عَامِرٌ، فَقَالَ:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي عَامِرُ شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُغَامِرُ،

قَالَ: فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ، فَوَقَعَ سَيْفُ مَرْحَبٍ فِي تُرْسِ عَامِرٍ، وَذَهَبَ عَامِرٌ يَسْفُلُ لَهُ، فَرَجَعَ سَيْفُهُ عَلَى نَفْسِهِ، فَقَطَعَ أَكْحَلَهُ، فَكَانَتْ فِيهَا نَفْسُهُ، قَالَ سَلَمَةُ: فَخَرَجْتُ، فَإِذَا نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، يَقُولُونَ: بَطَلَ عَمَلُ عَامِرٍ، قَتَلَ نَفْسَهُ، قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، بَطَلَ عَمَلُ عَامِرٍ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ ذَلِكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِكَ، قَالَ: «كَذَبَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ، بَلْ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ»، ثُمَّ أَرْسَلَنِي إِلَى عَلِيٍّ وَهُوَ أَرْمَدُ، فَقَالَ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ» - أَوْ «يُحِبُّهُ

---

١ - حديث صحيح: تقدم تخريجه.

اللهُ وَرَسُولُهُ» -، قَالَ: فَأَتَيْتُ عَلِيًّا، فَجِئْتُ بِهِ أَقُودُهُ وَهُوَ أَرْمَدُ، حَتَّى أَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَبَسَقَ فِي عَيْنَيْهِ فَبَرَأَ وَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، وَخَرَجَ مَرْحَبٌ، فَقَالَ:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ ... شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ

إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

فَقَالَ عَلِيٌّ:

أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَهْ ... كَلَيْثِ غَابَاتٍ كَرِيهِ الْمَنْظَرَهْ

أُوفِيهِمُ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ

قَالَ: فَضَرَبَ رَأْسَ مَرْحَبٍ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ كَانَ الْفَتْحُ عَلَى يَدَيْهِ[1].

8- علي وفتح مكة :

عُبَيْدُ اللهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ، وَهُوَ كَاتِبُ عَلِيٍّ، قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا ﷺ، وَهُوَ يَقُولُ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ فَقَالَ: «ائْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ، فَخُذُوهُ مِنْهَا» فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا، فَإِذَا نَحْنُ بِالْمَرْأَةِ، فَقُلْنَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا مَعِي كِتَابٌ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَتُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ

١- حديث صحيح: أخرجه الإمام مسلم في ((صحيحه)) (كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ) (بَابُ غَزْوَةِ ذِي قَرَدٍ وَغَيْرِهَا) (رقم: ١٨٠٧).

رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟» قَالَ: لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ - قَالَ سُفْيَانُ: كَانَ حَلِيفًا لَهُمْ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا - وَكَانَ مِمَّنْ كَانَ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ فِيهِمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَلَمْ أَفْعَلْهُ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي، وَلَا رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ» فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي، يَا رَسُولَ اللهِ أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ: " إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ " فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١][1].

9- استخـلاف النبي ﷺ لعلي على المدينة في غزوة تبوك:

عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى تَبُوكَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا، فَقَالَ: أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ؟ قَالَ: «أَلَا تَرْضَى أَنْ

١- حديث صحيح: أخرجه الإمام البخاري في ((صحيحه)) (كِتَابُ المَغَازِي) (بَابُ غَزْوَةِ الفَتْحِ) (رقم: ٤٢٧٤)، والإمام مسلم في ((صحيحه)) (كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ) (بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَهْلِ بَدْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَقِصَّةِ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ) (رقم: ٢٤٩٤).

تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ، مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي»[١].

لم يقتصر دور علي ﷺ على الحرب وفقط، بل استعان به النبي ﷺ في عدة مهام، واستشاره كذلك في عدة قضايا مهمة، ومن ذلك:

1- علي ودوره في حجة أبي بكر بالناس:

لم يحج الرسول ﷺ عام فتح مكة، بل اعتمر ورجع إلى المدينة، وقد حج المشركون والمسلمون معا في عام ٨ هـ، فلما كان العام التاسع، أمر أبا بكر على الحج، فخرج في ذي الحجة إلى مكة، وقد انفرد الواقدي بذكر عدد من حج معه فقال: إنهم ثلثمائة من الصحابة ومعهم عشرون بدنة .

ولما خرج أبو بكر بالناس من المدينة نزلت سورة براءة، فأرسل النبي ﷺ علي بن أبي طالب بصدر سور براءة ليعلنها على الناس في موسم الحج يوم النحر وهو العاشر من ذي الحجة وقال النبي لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي ولما رأى أبو بكر علياً سأله: أأمير أم مأمور؟ قال: بل مأمور، فمضيا؛ أبو بكر أمير على الحج وعلي يبلغ صدر سورة براءة، ويساعده عدد من الصحابة في النداء بها منهم أبو هريرة. والطفيل بن عمرو الدوسي، وقد ذكر علي بن أبي طالب أنه بعث بأربع: لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يحج بعد العام مشرك، ومن

١- حديث صحيح: تقدم تخريجه.

كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فعهده إلى مدته[١].

2- علي داعيًا وقاضيًا في اليمن 10هـ:

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى الْيَمَنِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، فَكُنْتُ فِيمَنْ سَارَ مَعَهُ، فَأَقَامَ عَلَيْهِمْ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ لَا يُجِيبُونَهُ إِلَى شَيْءٍ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فِي أَثَرِهِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَقْفِلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَمَنْ مَعَهُ، فَإِنْ أَرَادَ أَحَدٌ مِمَّنْ كَانَ مَعَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ أَنْ يُعَقِّبَ مَعَهُ تَرَكَهُ، قَالَ الْبَرَاءُ: فَكُنْتُ مِمَّنْ عَقَّبَ مَعَ عَلِيٍّ إِلَى أَوَائِلِ أَهْلِ الْيَمَنِ، فَجَمَعُوا لَهُ، قَالَ: فَصَلَّى بِنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الْفَجْرَ، فَلَمَّا فَرَغَ صَفَّنَا صَفًّا وَاحِدًا ثُمَّ تَقَدَّمَ بَيْنَ أَيْدِينَا، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَسْلَمَتْ هَمْدَانُ كُلُّهَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، فَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا قَرَأَ كِتَابَهُ كَبَّرَ جَالِسًا، ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَى هَمْدَانَ» ثَلَاثًا فَتَتَابَعَ أَهْلُ الْيَمَنِ عَلَى الإِسْلَامِ[٢].

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: أُتِيَ عَلِيٌّ ﷺ بِثَلَاثَةٍ، وَهُوَ بِالْيَمَنِ وَقَعُوا عَلَى امْرَأَةٍ فِي طُهْرٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلَ اثْنَيْنِ: أَتُقِرَّانِ لِهَذَا بِالْوَلَدِ؟ قَالَا: لَا، حَتَّى سَأَلَهُمْ جَمِيعًا، فَجَعَلَ كُلَّمَا سَأَلَ اثْنَيْنِ، قَالَا: لَا، فَأَقْرَعَ بَيْنَهُمْ فَأَلْحَقَ الْوَلَدَ بِالَّذِي

١- ((السيرة النبوية الصحيحة)) لأكرم العمري: (٢/ ٥٤٦).

٢- إسناده صحيح: أخرجه الطبري في ((تاريخه)) (٣/ ١٣١، ١٣٢)، والروياني في ((مسنده)) (رقم: ٣٠٤)، والبيهقي في ((السنن الكبرى)) (٢/ ٣٦٩) (رقم: ٤١٠٢)، والرافعي في ((التدوين في أخبار قزوين)) (٢/ ٣٥٣، ٣٥٤).

صَارَتْ عَلَيْهِ الْقُرْعَةُ، وَجَعَلَ عَلَيْهِ ثُلُثَي الدِّيَةِ، قَالَ: «فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ»[1].

3- علي في حجة الوداع :

ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمَنْحَرِ، فَنَحَرَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ بِيَدِهِ، ثُمَّ أَعْطَى عَلِيًّا، فَنَحَرَ مَا غَبَرَ، وَأَشْرَكَهُ فِي هَدْيِهِ، ثُمَّ أَمَرَ مِنْ كُلِّ بَدَنَةٍ بِبَضْعَةٍ، فَجُعِلَتْ فِي قِدْرٍ، فَطُبِخَتْ، فَأَكَلَا مِنْ لَحْمِهَا وَشَرِبَا مِنْ مَرَقِهَا[2].

عَنْ عَمْرِو بْنِ سُلَيْمٍ عَنْ أُمِّهِ، قَالَتْ: بَيْنَمَا نَحْنُ بِمِنًى إِذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: " إِنَّ هَذِهِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ، فَلا يَصُومُهَا أَحَدٌ " وَاتَّبَعَ النَّاسَ عَلَى جَمَلِهِ يَصْرُخُ بِذَلِكَ[3].

4- علي وموقفه من حادثة الإفك، واستشارة النبي ﷺ إياه :

تقول عائشة ﷺ: وَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ

١- إسناده صحيح: رواه أحمد في ((مسنده)) (رقم: ١٩٣٢٩)، وأبو داود في ((سننه)) (كِتَاب الطَّلَاقِ) (بَابُ مَنْ قَالَ بِالْقُرْعَةِ إِذَا تَنَازَعُوا فِي الْوَلَدِ) (رقم: ٢٢٧٠)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (كِتَابُ الطَّلَاقِ) (الْقُرْعَةُ إِذَا تَنَازَعُوا فِي الْوَلَدِ وَذِكْرِ الِاخْتِلَافِ عَلَى الشَّعْبِيِّ فِي حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ فِيهِ) (رقم: ٥٦٥٢).

٢- حديث صحيح: أخرجه الإمام مسلم في ((صحيحه)) (كِتَابُ الْحَجِّ) (بَابُ حَجَّةِ النَّبِيِّ ﷺ) (رقم: ١٢١٨) في سياق طويل.

٣- حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد في ((مسنده)) (مُسْنَدُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ) (٢/ ١١) (رقم: ٥٦٧).

زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ، يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، قَالَتْ فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ لَهُمْ مِنَ الْوُدِّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هُمْ أَهْلُكَ وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: لَمْ يُضَيِّقِ اللهُ عَلَيْكَ وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَإِنْ تَسْأَلِ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ، قَالَتْ: فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بَرِيرَةَ فَقَالَ: «أَيْ بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ مِنْ عَائِشَةَ؟» قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا، أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ، قَالَتْ: فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي»[1].

قال ابن حجر: وهذا الكلام الذي قاله علي حمله عليه ترجيح جانب النبي ﷺ لما رأى عنده من القلق بسبب القول الذي قيل، وكان ﷺ شديد الغيرة، فرأى علي أنه إذا فارقها سكن ما عنده من القلق بسببها إلى أن يتحقق براءتها، فيمكن رجعتها .

١- حديث صحيح: أخرجه الإمام البخاري في ((صحيحه)) (كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ) (بَابُ ﴿لَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥]) (رقم: ٤٧٥٠)، والإمام مسلم في ((صحيحه)) (كِتَابُ التَّوْبَةِ) (بَابٌ فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ وَقَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاذِفِ) (رقم: ٢٧٧٠).

ويستفاد منه ارتكاب أخف الضررين لذهاب أشدهما .

وقال النووي: رأى ذلك هو المصلحة في حق النبي ﷺ، واعتقد ذلك لما رأى من انزعاجه، فبذل جهده في النصيحة لإرادة راحة خاطره ﷺ.

وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: لم يجزم علي بالإشارة بفراقها لأنه عقب ذلك بقوله وسل الجارية تصدقك، ففوض الأمر في ذلك إلى نظر النبي ﷺ، فكأنه قال: إن أردت تعجيل الراحة ففارقها، وإن أردت خلاف ذلك فابحث عن حقيقة الأمر، إلى أن تطلع على براءتها؛ لأنه كان يتحقق أن بريرة لا تخبره إلا بما علمته، وهي لم تعلم من عائشة إلا البراءة المحضة .

والعلة في اختصاص علي بالمشاورة أن عليا كان عنده كالولد لأنه رباه من حال صغره ثم لم يفارقه، بل وازداد اتصاله بتزويج فاطمة، فلذلك كان مخصوصا بالمشاورة فيما يتعلق بأهله لمزيد اطلاعه على أحواله أكثر من غيره.

وكان أهل مشورته فيما يتعلق بالأمور العامة أكابر الصحابة كأبي بكر وعمر[1].

علي يتشرف بغسل النبي ﷺ ودفنه :

وفي ختام هذه الحياة الحافلة مع رسول الله ﷺ، تشرف علي بتغسيل النبي ﷺ، ودفنه.

فعَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، قَالَ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ:

---

١ - ((فتح الباري)) (٨/ ٤٦٩)، ((شرح النووي على مسلم)) (١٧/ ١٠٩).

«غَسَّلْتُ رَسُولَ اللَّهِ فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ مَا يَكُونُ مِنَ الْمَيِّتِ فَلَمْ أَرَ شَيْئًا، وَكَانَ طَيِّبًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَلِيَ دَفْنَهُ، وَإِجْنَانَهُ دُونَ النَّاسِ أَرْبَعَةٌ: عَلِيٌّ، وَالْعَبَّاسُ، وَالْفَضْلُ، وَصَالِحٌ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلُحِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَحْدًا، وَنُصِبَ عَلَيْهِ اللَّبِنُ نَصْبًا»[١].

ثانيًا: حياة علي رضي الله عنه مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه

بعد وفاة النبي ﷺ، تولى الصديق رضي الله عنه الخلافة، وكان لعلي عدة مواقف مع الصديق نجملها في التالي:

1- مبايعة علي لأبي بكر رضي الله عنه بالخلافة:

وردت عِدَّةُ أخبار في شأن تأخر علي عن مبايعة أبي بكر الصديق، وجُلُّ هذه الأخبار ليست صحيحة، وفي المقابل جاءت روايات صحيحة السند تفيد بأن عليًا بايع الصديق في أول الأمر، ومن ذلك: ما جاء عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: «لما تُوفِّي رسولُ الله ﷺ قام خطباء الأنصار....، فذكر بيعة السقيفة، ثم قال: فلما قعد أبو بكر على المنبر نظر في وجوه القوم فلم ير عليًا، فسأل عنه، فقام أناس من الأنصار، فأتوا به، فقال أبو بكر: ابن عم رسول الله ﷺ وختنه، أردت أن تشق عصا المسلمين؟ فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ، فبايعه»[٢].

١- حديث صحيح: أخرجه الحاكم في ((المستدرك)) (١٣٣٩)، وقال: ((هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَا مِنْهُ غَيْرَ اللَّحْدِ)).

٢- إسناده صحيح: أخرجه الحاكم في ((المستدرك)) (كتاب معرفة الصحابة) (باب من فضائل أبي بكر) (رقم: ٤٤٥٧)، والبيهقي في ((السنن الكبرى)) (كتاب قتال أهل

قال الحافظ ابن كثير: «هذا إسناد صحيح محفوظ، وفيه فائدة جليلة، وهي مبايعة علي بن أبي طالب، إما في أول يوم، أو في الثاني من الوفاة، وهذان حق، فإن علي بن أبي طالب لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات، ولم ينقطع عن صلاة من الصلوات خلفه»[(١)].

فقد بايع علي ﷺ أول الأمر مبايعة عامة، ثم بايع ﷺ بعد ذلك مبايعة خاصة، وذلك ما ورد في الصحيحين عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ، أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَرْسَلَتْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ تَسْأَلُهُ مِيرَاثَهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْهِ بِالْمَدِينَةِ، وَفَدَكٍ، وَمَا بَقِيَ مِنْ خُمْسِ خَيْبَرَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ، إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي هَذَا الْمَالِ»، وَإِنِّي وَاللهِ لَا أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْ صَدَقَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَنْ حَالِهَا الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَأَعْمَلَنَّ فِيهَا بِمَا عَمِلَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَبَى أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَدْفَعَ إِلَى فَاطِمَةَ شَيْئًا، فَوَجَدَتْ فَاطِمَةُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ فِي ذَلِكَ، قَالَ: فَهَجَرَتْهُ، فَلَمْ تُكَلِّمْهُ

البغي) (باب الأئمة من قريش) (٨/ ١٤٣)، وصحّح إسناده الحافظ ابن كثير، كما سيأتي لاحقا.

ومما يدل على أهمية هذا الحديث وصحته، ما أسنده البيهقي عقبه، من أن الإمام مسلم بن الحجاج - صاحب الجامع الصحيح - ذهب إلى محمد بن إسحاق بن خزيمة - صاحب صحيح ابن خزيمة- فسأله عن هذا الحديث، فكتب له ابن خزيمة الحديث، وقرأه عليه، فقال مسلم لابن خزيمة: هذا الحديث يساوي بدنة، فقال ابن خزيمة: هذا الحديث يساوي بدنة ؟! إنه يساوي بدرة.ا.هـ وإسناد هذه القصة صحيح.

والبدنة: هي الناقة أو البقرة التي تنحر بمكة، وسمِّيت بدنة لعظمها وضخامتها.

والبدرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف دينار، والمعنى: أنه كنز ثمين.

١- ((البداية والنهاية)) (٨/ ٩٢).

حَتَّى تُوُفِّيَتْ، وَعَاشَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، فَلَمَّا تُوُفِّيَتْ دَفَنَهَا زَوْجُهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ لَيْلًا، وَلَمْ يُؤْذِنْ بِهَا أَبَا بَكْرٍ، وَصَلَّى عَلَيْهَا عَلِيٌّ، وَكَانَ لِعَلِيٍّ مِنَ النَّاسِ وِجْهَةٌ حَيَاةَ فَاطِمَةَ، فَلَمَّا تُوُفِّيَتِ اسْتَنْكَرَ عَلِيٌّ وُجُوهَ النَّاسِ، فَالْتَمَسَ مُصَالَحَةَ أَبِي بَكْرٍ وَمُبَايَعَتَهُ، وَلَمْ يَكُنْ بَايَعَ تِلْكَ الْأَشْهُرَ، فَأَرْسَلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ أَنِ ائْتِنَا وَلَا يَأْتِنَا مَعَكَ أَحَدٌ، كَرَاهِيَةَ مَحْضَرِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ: وَاللهِ، لَا تَدْخُلْ عَلَيْهِمْ وَحْدَكَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا عَسَاهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا بِي؟ إِنِّي وَاللهِ لَآتِيَنَّهُمْ، فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ، فَتَشَهَّدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّا قَدْ عَرَفْنَا يَا أَبَا بَكْرٍ فَضِيلَتَكَ، وَمَا أَعْطَاكَ اللهُ، وَلَمْ نَنْفَسْ عَلَيْكَ خَيْرًا سَاقَهُ اللهُ إِلَيْكَ، وَلَكِنَّكَ اسْتَبْدَدْتَ عَلَيْنَا بِالْأَمْرِ، وَكُنَّا نَحْنُ نَرَى لَنَا حَقًّا لِقَرَابَتِنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمْ يَزَلْ يُكَلِّمُ أَبَا بَكْرٍ حَتَّى فَاضَتْ عَيْنَا أَبِي بَكْرٍ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي، وَأَمَّا الَّذِي شَجَرَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَمْوَالِ، فَإِنِّي لَمْ آلُ فِيهَا عَنِ الْحَقِّ، وَلَمْ أَتْرُكْ أَمْرًا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَصْنَعُهُ فِيهَا إِلَّا صَنَعْتُهُ، فَقَالَ عَلِيٌّ لِأَبِي بَكْرٍ: مَوْعِدُكَ الْعَشِيَّةُ لِلْبَيْعَةِ، فَلَمَّا صَلَّى أَبُو بَكْرٍ صَلَاةَ الظُّهْرِ، رَقِيَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَتَشَهَّدَ وَذَكَرَ شَأْنَ عَلِيٍّ وَتَخَلُّفَهُ عَنِ الْبَيْعَةِ، وَعُذْرَهُ بِالَّذِي اعْتَذَرَ إِلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ وَتَشَهَّدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَعَظَّمَ حَقَّ أَبِي بَكْرٍ، وَأَنَّهُ لَمْ يَحْمِلْهُ عَلَى الَّذِي صَنَعَ نَفَاسَةً عَلَى أَبِي بَكْرٍ، وَلَا إِنْكَارًا لِلَّذِي فَضَّلَهُ اللهُ بِهِ، وَلَكِنَّا كُنَّا نَرَى لَنَا فِي الْأَمْرِ نَصِيبًا، فَاسْتُبِدَّ عَلَيْنَا بِهِ، فَوَجَدْنَا فِي أَنْفُسِنَا، فَسُرَّ بِذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ، وَقَالُوا:

أَصَبْتَ، فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى عَلِيٍّ قَرِيبًا حِينَ رَاجَعَ الْأَمْرَ الْمَعْرُوفَ[١].

فإن عليًا ﷺ بايع مع الناس البيعة العامة، ثم انقطع إلى فاطمة ﷺ لمعالجتها في مرضها الذي ماتت فيه، ثم لما توفيت أظهر علي بيعته لئلا يتوهم متوهم أن سبب انقطاعه عدم رضاه عن بيعته .

2- علي ومساندته لأبي بكر في حروب الردة :

ووقف عليٌّ بعد ذلك بجوار أبي بكر الخليفة في حروبه ضد المرتدِّين، يساند ويؤازر وينصح، ويتجلَّى نصحه وصدقه يوم أراد الصدِّيق أن يخرج بنفسه لقتال المرتدِّين، فوقف له عليٌّ، وأخذ بزمام فرسه، وقال له: «إلى أين يا خليفة رسول الله ﷺ؟ أقول لك ما قال رسول الله ﷺ يوم أحد: «شم سيفك، ولا تفجعنا بنفسك». وارجع إلى المدينة، فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبدا». فرجع، وأمضى الجيش[٢].

3- تقديم علي لأبي بكر :

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ إِذَا حَدَّثَنِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اسْتَحْلَفْتُهُ، فَإِذَا حَلَفَ صَدَّقْتُهُ، وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ، وَصَدَقَ أَبُو بَكْرٍ، أَنَّهُ ﷺ

١- حديث صحيح: أخرجه الإمام البخاري في ((صحيحه)) (كِتَابُ المَغَازِي) (بَابُ غَزْوَةِ خَيْبَرَ) (رقم: ٤٢٤٠)، والإمام مسلم في ((صحيحه)) (كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ) (بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ») (رقم: ١٧٥٩).

٢- أخرجه الدارقطني من حديث ابن عمر، والساجي من حديث عائشة؛ كما في ((البداية والنهاية)) (٩/ ٤٦٦). وإسناده صحيح.

قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا، فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ، إِلَّا غَفَرَ لَهُ»[١].

4- شهادة حق من علي لأبي بكر:

وكان عليٌّ يعرف لأبي بكر فضله، فيقدِّمه على نفسه، وهذا بصريح قوله لا بقول أحد غيره، ومن ذلك: أن ابنه محمد بن الحنفية قال له يوما: يا أبت، أيُّ الناس خيرٌ بعد رسول الله ﷺ؟ قال: «أبو بكر»، قُلتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «ثُمَّ عمر»، وخشيتُ أن يقول عثمان، قُلتُ: ثُمَّ أنت؟ قال: «ما أنا إلا رجل من المسلمين»[٢].

ولذلك قال ابن تيمية: وهذا يقوله لابنه بينه وبينه، ليس هو مما يجوز أن يقوله تقية ويرويه عن أبيه خاصة، وقاله على المنبر[٣].

وقال: وكيف لا تقدم الشيعة الأولى أبا بكر وعمر، وقد تواتر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر».

١- إسناده حسن: أخرجه الطبراني في ((المعجم الأوسط)) (رقم: ٥٨٤) (١/ ١٨٥)، وقال: ((لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي الْعَبَّاسِ إِلَّا مَرْوَانُ، تَفَرَّدَ بِهِ: عِيسَى بْنُ الْمُسَاوِرِ)).

٢- حديث صحيح: أخرجه الإمام البخاري في ((صحيحه)) (كِتَابُ المناقب) (باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذا خليلا») (رقم: ٣٦٧١).
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في ((منهاج السنة)) (٧/ ٣٨٥) عن هذا الحديث: أنه مما استفاض وتواتر عن عليّ، وتوعَّد عليٌّ بجلد المفتري من يفضله عليه – أي: على أبي بكر – .ا.هـ

٣- ((منهاج السنة)) (٦/ ١٣٧).

وقد روي هذا عنه من طرق كثيرة، قيل: إنها تبلغ ثمانين طريقا[١].

وقال: وهذا يقوله لابنه الذي لا يتقيه، ولخاصته، ويتقدم بعقوبة من يفضله عليهما[٢]، ويراه مفتريا. والمتواضع لا يجوز أن يتقدم بعقوبة من يفضله عليهما، يقول الحق، ولا يسميه مفتريا[٣].

5- المصاهرات بين الصديق وعلي وتسمية بعض أبنائه بأبي بكر:

فقد ولد لعلي من زوجته ليلى بنت مسعود ابناً سماه «أبو بكر»، وقد تزوجها قطعًا بعد خلافة الصديق، إذ لم يجمع على فاطمة أحدًا من النساء، وقد ماتت فاطمة في خلافة أبي بكر.

وفي المقابل: كان أبو بكر يعرف لعلي ولآل البيت فضلهم، فينزلهم منزلتهم، ويقدرهم قدرهم، ومن ذلك: أن أبا بكر ﵁ صلَّى العصر يوما، ثم خرج يمشي، فرأى الحسن يلعب مع الصبيان، فحمله على عاتقه، وقال: «بأبي، شبيه بالنبي، لا شبيه بعلي ». وعلي ﵁ يضحك[٤].

١- المصدر السابق.

٢- أي قول علي: ((لا يبلغني عن أحد أنه فضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته جلد المفتري)). وقد جاء هذا الأثر في كتاب ((فضائل الصحابة)) (١/ ٨٣) (رقم: ٤٩).

٣- ((منهاج السنة)) (٧/ ٥١١).

٤- حديث صحيح: أخرجه الإمام البخاري في ((صحيحه)) (كِتَابُ المناقب) (باب صفة النبي ﷺ) (رقم: ٣٥٤٢)، (باب مناقب الحسن والحسين) (رقم: ٣٧٥٠) من حديث عقبة بن الحارث.

وظلَّت هذه العلاقة من المودة والإخاء، والمحبة والتقدير بينهما حتى لحق الصدِّيق بربه، واستخلف عُمَرَ من بعده.

ومما جاء في ثنائه على الخليفتين أبي بكر وعمر ﵄:

- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ سَأَلْتُ أَبِي، وَخَلَوْتُ بِهِ، قُلْتُ: يَا أَبَةِ، مَنْ خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا؟ عَلِيٍّ قَالَ: «خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ»[1].

- وعن حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، قَالَ: أَتَيْتُ عَبْدَ خَيْرٍ الْهَمْدَانِيَّ وَكَانَ أَمِيرَ شُرْطَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ

١- صحيح: أخرجه الطبراني ((المعجم الكبير)) (رقم: ١٧٧و١٧٨) (١/ ١٠٧)، و((المعجم الأوسط)) (رقم: ٩٩٢) (١/ ٢٩٧، و٢٩٨)، (رقم: ٣٤١٧) (٣/ ٣٦٥)، وقال: ((لَمْ يَرْوِهِ عَنِ الصَّلْتِ بْنِ بَهْرَامَ إِلَّا عُبَيْدُ بْنُ حَسَّابٍ، وَلَا رَوَاهُ عَنْ عُبَيْدٍ إِلَّا سَهْلُ بْنُ عُثْمَانَ))، و(رقم: ٣٦٧٣) (٤/ ٨٤)، وقال: ((لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبْجَرَ، إِلَّا عَمْرُو بْنُ عَبْدِ الْغَفَّارِ، وَابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبْجَرَ، و(رقم: ٦٩٢٦) (٧/ ٨٥)، وقال: ((لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ عُرَيْفِ بْنِ دِرْهَمٍ إِلَّا عِيسَى بْنُ يُونُسَ))، و(رقم: ٢٥٨٦) (٣/ ٩١)، و(رقم: ٥٦٠١) (٥/ ٣٧٤)، وقال: ((لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ إِلَّا مُحَمَّدُ بْنُ جَابِرٍ، وَلَا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَابِرٍ إِلَّا عُمَرُ بْنُ يُونُسَ، تَفَرَّدَ بِهِ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُيَيْنَةَ))، و(رقم: ٧٦٢٢) (٧/ ٣٢٢): ((لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ جَابِرٍ إِلَّا لَيْثٌ، وَلَا عَنْ لَيْثٍ إِلَّا الْمُحَارِبِيُّ، تَفَرَّدَ بِهِ: سَهْلُ بْنُ عُثْمَانَ))، و(رقم: ٣٤٥٨) (٣/ ٣٨١) وقال: ((لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ هَارُونَ بْنِ سَعْدٍ إِلَّا يُونُسُ بْنُ أَرْقَمَ، تَفَرَّدَ بِهِ عَبْدُ الْحَمِيدِ)).

بَعْدَ نَبِيِّهَا؟ أَبُو بَكْرٍ، وَخَيْرُهُمْ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ: عُمَرُ، وَالثَّالِثُ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُسَمِّيَهُ لَسَمَّيْتُهُ»[1].

وعَنْ عَبْدِ خَيْرٍ، عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: «خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ رَجُلٌ، يَعْنِي نَفْسَهُ»[2].

وعَنْ حَكِيمِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قُلْتُ لِعَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ: أَشْهَدُ عَلَى عَبْدِ خَيْرٍ أَنَّهُ حَدَّثَنِي أَنَّهُ، سَمِعَ عَلِيًّا يَقُولُ عَلَى هَذَا الْمِنْبَرِ: «خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، وَقَالَ: لَوْ شِئْتُ لَسَمَّيْتُ ثَالِثًا»، فَضَرَبَ عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ يَدَهُ عَلَى فَخِذِي، وَقَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ حَدَّثَنِي، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِعَلِيٍّ: «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى»[3].

عَن أبي الزعراء أو عن زيد بن وهب أن سويد بن غفلة دخل على علي في إمارته فقال: إني مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر يرون أنك تضمر لهما مثل ذلك منهم عبد الله بن سبأ - وكان عبد الله أول من أظهر ذلك - فقال علي: ما لي ولهذا الخبيث الأسود. ثم قال: معاذ الله أن أضمر لهما إلا الحسن الجميل،

١- إسناده صحيح: أخرجه الطبراني في ((المعجم الأوسط)) (رقم: ٥٤٢١) (٥/ ٣١٨)، وقال: ((لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنِ الْجَهْمِ بْنِ وَاقِدٍ إِلَّا بِشْرُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَأَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ)).

٢- إسناده صحيح: أخرجه الطبراني في ((المعجم الأوسط)) (رقم: ٣٤٢٠) (٣/ ٣٦٧، ٣٦٨)، وقال: ((لَمْ يَرْوِهِ عَنِ الْأَعْمَشِ إِلَّا وَكِيعٌ، وَلَا رَوَاهُ عَنْ وَكِيعٍ إِلَّا أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ)).

٣- إسناده ضعيف: أخرجه الطبراني في ((المعجم الأوسط)) (رقم: ٢٧٢٨) (٣/ ١٣٩، و١٤٠) وقال: ((لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ إِلَّا حَكِيمُ بْنُ جُبَيْرٍ)).

ثم أرسل إلى عبد الله بن سبأ فسيره إلى المدائن وقال: لا يساكنني في بلدة أبدا ثم نهض إلى المنبر حتى اجتمع الناس، فذكر القصة في ثنائه عليهما بطوله وفي آخره ألا، وَلا يبلغني عن أحد يفضلني عليهما إلا جلدته حد المفتري[1].

ثالثًا: حياة علي رضي الله عنه مع عمر رضي الله عنه[2]

على درب الصدق والنصح والإخاء الذي سار عليه مع الصدِّيق، سار عليٌّ مع عمر بن الخطاب. وفي المقابل أيضا: كانت لعلي منزلته العالية عند الفاروق عمر، كما كانت عند أبي بكر.

يقول ابن الجوزي عن عليّ: «كان أبو بكر وعمر يشاورانه ويرجعان إلى رأيه، وكان كل الصحابة مفتقرا إلى علمه، وكان عمر يقول: «أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن»[3].

ولذلك جعله عمر من مجلس مشورته، وتراجع مرات عن رأيه، آخذا برأي علي، حينما تبيَّن له صحته، ومن ذلك: أن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أُتِيَ بامرأة قد زنت، فأمر برجمها، فذهبوا بها ليرجموها، فلقيهم عليٌّ، رضي الله عنه، فقال: «ما هذه؟» قالوا: زنت فأمر عمر برجمها، فانتزعها عليٌّ من أيديهم وردَّهم، فرجعوا إلى عمر، فقال: «ما ردَّكم؟» قالوا: ردَّنا عليٌّ، قال: «ما فعل هذا عليٌّ إلا لشيء قد علمه»، فأرسل إلى عليّ، فجاء وهو شبه المغضب، فقال:

١- عزاه ابن حجر في ((لسان الميزان)) (ترجمة عبد الله بن سبأ) (٤/ ٤٨٥، ٤٨٦) لأبي إسحاق الفزاري، وإسناده صحيح: ولم أقف عليه في المطبوع من كتاب ((السير)) للفزاري.

٢- انظر لمزيد من العلاقة: ((الكوكب الدري)) (١٠٢).

٣- ((المنتظم في تاريخ الملوك والأمم)) (٥/ ٦٨).

«ما لك رددتَ هؤلاء؟» قال: «أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رُفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المبتلى حتى يعقل؟» قال: «بلى»، قال عليٌّ: «فإن هذه مبتلاة بني فلان، فلعله أتاها وهو بها»، فقال عمر: «لا أدري»، قال: «وأنا لا أدري». فلم يرجمها[١].

وفي المقابل: كان عليٌّ يعرف لعمر فضله، ويقدِّمه على نفسه، وقد مر معنا في علاقته بأبي بكر، أنه لما سُئِلَ: أيُّ الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: «أبو بكر»، قِيل له: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «ثُمَّ عمر»[٢].

ولَمَّا طُعن عمر، ﷺ، كان عليٌّ من أشد الناس حزنا عليه، وثناءً عليه، يقول عبدالله بن عباس: «وُضِع عمر بن الخطاب على سريره، فتكنَّفه [٣] الناس يدعون ويُثنون ويُصلُّون عليه، قبل أن يُرفع، وأنا فيهم، قال فلم يرعني إلا برجل قد أخذ بمنكبي من ورائي، فالتفت إليه فإذا هو علي، فترحَّم على عمر، وقال: ما خلَّفتُ أحدا أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك، وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وذاك أني

١- صحيح: أخرجه أحمد في ((مسنده)) (٢/ ٤٤٣، ٤٤٤) (رقم: ١٣٢٨)، و((فضائل الصحابة)) له (رقم: ١٢٠٩)، وأبو داود في ((سننه)) (كِتَاب الْحُدُودِ) (بَابٌ فِي الْمَجْنُونِ يَسْرِقُ أَوْ يُصِيبُ حَدًّا) (رقم: ٤٤٠٢)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (كِتَابُ الرَّجْمِ) (الْمَجْنُونَةُ تُصِيبُ الْحَدَّ) (٧٣٠٤).

٢- تقدَّم تخريجه.

٣- أي: أحاطوا به.

كنت أكثر أسمع رسول الله ﷺ يقول: «جئت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر» فإن كنت لأرجو، أو لأظن، أن يجعلك الله معهما» [١].

وفي مُقابل ذلك: فإن عمر لما طُعن: رشَّح عليا للخلافة مع أهل الشورى، وذلك حينما قِيل له: أوص يا أمير المؤمنين، استخلِفْ. فقال: «ما أجد أحدا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر، أو الرهط، الذين تُوفِّي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض». فسمَّى عليًّا، وعُثمانَ، والزُّبيرَ، وطلحةَ، وسعداً، وعبدالرحمن [٢].

عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: «إِذَا ذُكِرَ الصَّالِحُونَ فَحَيَّ هَلَا بِعُمَرَ، مَا كُنَّا نُبْعِدُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِنَّ السَّكِينَةَ تَنْطِقُ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ» [٣].

١- حديث صحيح: أخرجه الإمام البخاري في ((صحيحه)) (كتاب المناقب) (باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذا خليلا») (رقم: ٣٦٧٧)، والإمام مسلم في ((صحيحه)) (كتاب الفضائل) (باب من فضائل عمر) (رقم: ٢٣٨٩).

٢- حديث صحيح: أخرجه الإمام البخاري في ((صحيحه)) (كتاب الجنائز) (باب ما جاء في قبر النبي ﷺ، وأبي بكر، وعمر) (رقم: ١٣٩٢)، و(كتاب المناقب) (باب قصة البيعة، والاتفاق على عثمان بن عفان وفيه مقتل عمر بن الخطاب) (رقم: ٣٧٠٠) من حديث عمرو بن ميمون الأودي.

٣- إسناده ضعيف: أخرجه الطبراني في ((المعجم الأوسط)) (رقم: ٥٥٤٩) (٥/ ٣٥٩).

رابعاً : حياة علي رضي الله عنه مع عثمان رضي الله عنه

وبعد أن تولى عثمان الخلافة بعد عمر، كانت له مواقف متعددة في تلك الخلافة، ونجل تلك المواقف في النقاط التالية :

1- بيعة علي لعثمان :

بعد مقتل عمر، انعقد مجلس الشورى الذي سمّاه هو قبل رحيله، وتولّى زمام الأمر: عبدالرحمن بن عوف، فعزل نفسه من الاختيار، وطاف على أهل المدينة من المهاجرين والأنصار، واستمع إلى أهل الحل والعقد منهم، حتى رأى استقرار الجميع على عثمان بن عفان، فبايعه، وبايعه الجميع: المهاجرون، والأنصار، وأمراء الأجناد، والمسلمون، ومعهم علي بن أبي طالب[1].

2- علي يقيم الحدود ويستشار في دولة عثمان :

قَالَ حُضَيْنُ بْنُ الْمُنْذِرِ أَبُو سَاسَانَ: شَهِدْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ وَأُتِيَ بِالْوَلِيدِ قَدْ صَلَّى الصُّبْحَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: أَزِيدُكُمْ، فَشَهِدَ عَلَيْهِ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا حُمْرَانُ أَنَّهُ شَرِبَ الْخَمْرَ، وَشَهِدَ آخَرُ أَنَّهُ رَآهُ يَتَقَيَّأُ، فَقَالَ عُثْمَانُ: إِنَّهُ لَمْ يَتَقَيَّأْ حَتَّى شَرِبَهَا، فَقَالَ: يَا عَلِيُّ، قُمْ فَاجْلِدْهُ، فَقَالَ عَلِيٌّ: قُمْ يَا حَسَنُ فَاجْلِدْهُ، فَقَالَ الْحَسَنُ: وَلِّ حَارَّهَا مَنْ تَوَلَّى قَارَّهَا، فَكَأَنَّهُ وَجَدَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ جَعْفَرٍ قُمْ فَاجْلِدْهُ، فَجَلَدَهُ وَعَلِيٌّ يَعُدُّ حَتَّى بَلَغَ أَرْبَعِينَ، فَقَالَ:

١- انظر تفاصيل الخبر في: ((صحيح البخاري)) (كتاب الأحكام) (باب كيف يبايع الإمام الناس) (رقم: ٧٢٠٧)، مع ((فتح الباري)) (١٣/ ١٩٥- ١٩٩).

أَمْسِكْ، ثُمَّ قَالَ: «جَلَدَ النَّبِيُّ ﷺ أَرْبَعِينَ»، وَجَلَدَ أَبُو بَكْرٍ أَرْبَعِينَ، وَعُمَرُ ثَمَانِينَ، " وَكُلٌّ سُنَّةٌ، وَهَذَا أَحَبُّ إِلَيَّ(١).

3- رأي علي في جمع الناس على قراءة واحدة :

وظلَّت لعليّ مكانته في مجلس الخليفة، فكان عثمان يستشيره مع من يستشير، ومن أعظم الأدلة على ذلك: استشارته إياه في شأن جمع الناس على مصحف واحد، وقد كان عليٌّ يدافع عن عثمان في هذا الفعل، ويشيد بدوره فيه.

قَالَ سُوَيْدٌ: وَاللَّهِ لَا أُحَدِّثُكُمْ إِلَّا شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَغْلُوا فِي عُثْمَانَ وَلَا تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا، أَوْ قُولُوا لَهُ خَيْرًا فِي الْمَصَاحِفِ وَإِحْرَاقِ الْمَصَاحِفِ، فَوَاللَّهِ مَا فَعَلَ الَّذِي فَعَلَ فِي الْمَصَاحِفِ إِلَّا عَنْ مَلَأٍ مِنَّا جَمِيعًا، فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي هَذِهِ الْقِرَاءَةِ؟ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ بَعْضَهُمْ يَقُولُ: إِنَّ قِرَاءَتِي خَيْرٌ مِنْ قِرَاءَتِكَ، وَهَذَا يَكَادُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا، قُلْنَا: فَمَا تَرَى؟ قَالَ: نَرَى أَنْ نَجْمَعَ النَّاسَ عَلَى مُصْحَفٍ وَاحِدٍ، فَلَا تَكُونُ فُرْقَةٌ، وَلَا يَكُونُ اخْتِلَافٌ، قُلْنَا: فَنِعْمَ مَا رَأَيْتَ قَالَ: فَقِيلَ: أَيُّ النَّاسِ أَفْصَحُ، وَأَيُّ النَّاسِ أَقْرَأُ؟ قَالُوا: أَفْصَحُ النَّاسِ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ، وَأَقْرَأُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، فَقَالَ: لِيَكْتُبْ أَحَدُهُمَا وَيُمْلِ الْآخَرُ فَفَعَلَا وَجُمِعَ النَّاسُ عَلَى

١- حديث صحيح: أخرجه الإمام مسلم في ((صحيحه)) (كِتَابُ الْحُدُودِ) (بَابُ حَدِّ الْخَمْرِ) (رقم: ١٧٠٧).

مُصْحَفٍ " قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ: وَاللَّهِ لَوْ وُلِّيتُ لَفَعَلْتُ مِثْلَ الَّذِي فَعَلَ[١].

- تنبيه : موقف علي من جمع القرآن :

مَوْقِفُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه مِنَ الْجَمْعِ[٢]

إِنَّمَا أَفْرَدْنَا مَوْقِفَ أَمِيرِ الْـمُؤْمِنِينَ هُنَا؛ لِأَنَّهُ إِذَا ثَبَتَ رِضَاهُ عَنْ عَمَلِيَّةِ الْجَمْعِ = كَانَ فِي ذَلِكَ حُجَّةٌ عَلَى بَعْضِ الْفِرَقِ الْـمُنْتَسِبَةِ لِـمَحَبَّتِهِ الطَّاعِنَةِ فِي الْجَمْعِ الْقُرْآنِيِّ.

ـ فَنَقُولُ: ثَبَتَ عَنْ أَمِيرِ الْـمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه مَا يَدُلُّ عَلَى رِضَاهُ عَنْ عَمَلِيَّةِ الْجَمْعِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي.

ـ أَمَّا رِضَاهُ عَنِ الْجَمْعِ الْأَوَّلِ زَمَنَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه فَيَدُلُّ عَلَيْهِ مَا رَوَاهُ عَبْدِ خَيْرٍ عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: «رَحِمَ اللهُ أَبَا بَكْرٍ! هُوَ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ»[٣].

١- أخرجه ابن أبي داود في ((كتاب المصاحف)) (جَمْعُ عُثْمَانَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ الْمَصَاحِفَ) (رقم: ٧٧) (١/ ٢٠٥، ٢٠٦) بإسناد صحيح. وصحَّح الحافظُ ابنُ حجرٍ إسناده في الفتح (٩/ ١٨).

٢- انظر: ((جمع القرآن)) لأحمد سالم (ص: ٢٥٦).

٣- إسناده صحيح: أخرجه أحمد في ((فضائل الصحابة)) (١/ ٢٣٠، ٣٥٤)، وأبو عبيد في ((فضائل القرآن)) (ص: ٢١٧)، وابن أبي داود في ((المصاحف)) (ص: ١٥)، وابن أبي شيبة في ((مصنفه)) (كتاب فضائل القرآن) (باب أول من جمع القرآن) (رقم: ٣٠٢٢٩). قال ابن كثير: ((هذا إسناد صحيح))، وقال الحافظ ابن حجر: ((إسناده حسن)).

ـ وَفِي رِوَايَةٍ: «أَعْظَمُ النَّاسِ أَجْرًا فِي الْـمَصَاحِفِ أَبُو بَكْرٍ؛ فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ».

ـ وَأَمَّا رِضَاهُ عَنِ الْـجَمْعِ الثَّانِي فَيَدُلُّ عَلَيْهِ مَا رَوَاهُ سُوَيْدُ بْنُ غَفْلَةَ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ: «رَحِمَ اللهُ عُثْمَانَ، لَوْ وُلِّيتُهُ؛ لَفَعَلْتُ مَا فَعَلَ فِي الْـمَصَاحِفِ»(١).

ـ وَقَالَ عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ فِي «تَارِيخِ الْـمَدِينَةِ»: «حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبَانَ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَلْقَمَةُ بْنُ مَرْثَدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْعَيْزَارَ ابْنَ جَرْوَلٍ الْحَضْرَمِيَّ، يَقُولُ: لَـمَّا خَرَجَ الْـمُخْتَارُ كُنَّا هَذَا الْحَيَّ مِنْ حَضْـرَمَوْتَ أَوَّلُ مَنْ مَعَهُ، فَأَتَانَا سُوَيْدُ بْنُ غَفَلَةَ فَقَالَ: إِنَّ لَكُمْ عَلَيْنَا حَقًّا، وَإِنَّ لَكُمْ جِوَارًا، وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَسَرَّعْتُمْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فَوَاللهِ لَا أُحَدِّثُكُمْ إِلَّا بِشَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْهُ: أَقْبَلْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَغَمَزَنِي غَامِزٌ مِنْ خَلْفِي فَالْتَفَتُّ فَإِذَا الْـمُخْتَارُ، فَقَالَ: أَيُّهَا الشَّيْخُ، مَا بَقِيَ فِي قَلْبِكَ مِنْ حُبِّ ذَاكَ الرَّجُلِ ـ يَعْنِي عَلِيًّا ـ قُلْتُ: إِنِّي أُشْهِدُ اللهَ أَنِّي أُحِبُّهُ بِقَلْبِي وَسَمْعِي وَبَصَرِي وَلِسَانِي، قَالَ: وَلَكِنِّي أَشْهَدُ اللهَ أَنِّي أُبْغِضُهُ بِقَلْبِي وَبَصَـرِي وَسَمْعِي ـ وَأَحْسَبُهُ قَالَ وَبِلِسَانِي ـ فَقُلْتُ: أَبَيْتَ وَاللهِ إِلَّا تَثْبِيطًا عَنْ آلِ مُحَمَّدٍ وَتَرْتِيبًا لِنَقْبَلَ حَرَّاقَ ـ أَوْ إِحْرَاقَ ـ الْـمَصَاحِفِ، قَالَ: فَوَاللهِ لَا أُحَدِّثُكُمْ إِلَّا بِشَـيْءٍ

---

١ – إسناده ضعيف: أخرجه أبو عبيد في ((فضائل القرآن)) (ص: ٢٢٠)، وابن أبي داود في ((المصاحف)) (٧٨، ٣٩، ٤٠)، وفيه (رجل) مبهم.

سَمِعْتُهُ مِنْ عَلِيٍّ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «اتَّقُوا اللهَ فِي عُثْمَانَ وَلَا تَغْلُوا فِيهِ، وَلَا تَقُولُوا حَرَّاقَ الْـمَصَاحِفِ، فَوَاللهِ مَا فَعَلَ إِلَّا عَنْ مَلَأٍ مِنَّا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ، دَعَانَا فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي هَذِهِ الْقِرَاءَةِ؟ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ بَعْضَكُمْ يَقُولُ: قِرَاءَتِي خَيْرٌ مِنْ قِرَاءَتِكَ، وَهَذَا يَكَادُ يَكُونُ كُفْرًا، وَإِنَّكُمْ إِنِ اخْتَلَفْتُمُ الْيَوْمَ كَانَ لِـمَنْ بَعْدَكُمْ أَشَدَّ اخْتِلَافًا»، قُلْنَا: فَمَا تَرَى؟ قَالَ: «أَنْ أَجْمَعَ النَّاسَ عَلَى مُصْحَفٍ وَاحِدٍ فَلَا تَكُونُ فُرْقَةٌ وَلَا اخْتِلَافٌ»، قُلْنَا: فَنِعْمَ مَا رَأَيْتَ، قَالَ: «فَأَيُّ النَّاسِ أَقْرَأُ؟»، قَالُوا: زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، قَالَ: «فَأَيُّ النَّاسِ أَفْصَحُ وَأَعْرَبُ؟» قَالُوا: سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ، قَالَ: «فَلْيَكْتُبْ سَعِيدٌ وَلْيُمْلِ زَيْدٌ»، قَالَ: فَكَانَتْ مَصَاحِفُ بَعَثَ بِهَا إِلَى الْأَمْصَارِ، قَالَ عَلِيٌّ: «وَاللهِ لَوْ وُلِّيتُ لَفَعَلْتُ مِثْلَ الَّذِي فَعَلَ»[1].

* قُلْتُ: وَهَذَا نَصٌّ عَالٍ نَفِيسٌ فِي رِضَا أَمِيرِ الْـمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ عَنْ عَمَلِ أَمِيرِ الْـمُؤْمِنِينَ ذِي النُّورَيْنِ عُثْمَانَ بْنِ عفَّانَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ وَدِفَاعِهِ عَنْهُ.

4- موقف علي من فتنة مقتل عثمان:

لَمَّا وقعت الفتنة في نهاية خلافة عثمان، وحوصر من الخوارج، كان عليٌّ من أكثر الناس رغبة في الدفاع عنه، ولما منعه عثمان من ذلك، رغبة في

١- حسن لغيره: أخرجه أبو عبيد في ((فضائل القرآن)) (ص: ١٥٧)، وابن أبي داود في ((المصاحف)) (رقم: ٦٢)، ومن طريقه ابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (٣٩/ ٢٤٥)، وابن شبة في ((تاريخ المدينة)) (٣/ ٩٩٤، ٩٩٥)، والبيهقي في ((السنن الكبرى)) (٢/ ٤٢)، والآجري في ((الشريعة)) (رقم: ١٢١٨).

صيانة دماء المسلمين، أرسل عليٌّ الحسن والحسين مع باقي أبناء الصحابة، كعبدالله بن الزبير، ومحمد بن طلحة، ليدافعوا عن عثمان. ولَمَّا بلغه خبر مقتله قال لابنيه: «كيف قُتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب؟» قالا: لم نعلم، فرفع يده ولطم الحسن، وضرب صدر الحسين، وشتم محمد بن طلحة وعبدالله بن الزبير، ثم خرج وهو غضبان يسترجع [١].

وكان عليٌّ يقول: «والله ما شاركتُ، وما قتلتُ، ولا أمرتُ، ولا رضيتُ» – يعني: قتل عثمان –[٢].

ومما جاء في وهنه ﷺ يَوْمَ قُتِلَ عُثْمَانُ ﷺ، فعَنْ عُمَيْرِ بن زَوْدِيٍّ، قَالَ: خَطَبَهُمْ عَلِيٌّ ﷺ، فَقَطَعُوا عَلَيْهِ خُطْبَتَهُ، فَقَالَ: إِنَّمَا وَهَنْتُ يَوْمَ قُتِلَ عُثْمَانُ ﷺ، وَضَرَبَ لَهُمْ مَثَلا، مَثَلَ ثَلاثَةِ أَثْوَارٍ وَأَسَدٍ اجْتَمَعْنَ فِي أَجَمَةٍ أَسْوَدَ، وَأَحْمَرَ، وَأَبْيَضَ، وَكَانَ الأَسَدُ إِذَا أَرَادَ وَاحِدًا مِنْهُنَّ اجْتَمَعْنَ عَلَيْهِ فَامْتَنَعْنَ عَلَيْهِ، فَقَالَ الأَسَدُ لِلأَسْوَدِ وَالأَحْمَرِ: إِنَّمَا يَفْضَحُنَا فِي أَجَمَتِنَا، وَيُشْهِرُنَا هَذَا الأَبْيَضُ، فَدَعَانِي حَتَّى آكُلَهُ، فَلَوْنُكُمَا عَلَى لَوْنِي، وَلَوْنِي عَلَى لَوْنِكُمَا، فَحَمَلَ عَلَيْهِ الأَسَدُ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ قَتَلَهُ، ثُمَّ قَالَ لِلأَسْوَدِ: إِنَّمَا يَفْضَحُنَا وَيُشْهِرُنَا فِي أَجَمَتِنَا هَذَا الأَحْمَرُ، فَدَعْنِي حَتَّى آكُلَهُ، فَلَوْنِي عَلَى لَوْنِكَ، وَلَوْنُكَ عَلَى لَوْنِي، فَحَمَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ قَالَ لِلأَسْوَدِ: إِنِّي آكُلُكَ، قَالَ: دَعْنِي أُصَوِّتُ ثَلاثَةَ أَصْوَاتٍ،

١- إسناده منكر: أخرجه ابن شبة في ((تاريخ المدينة)) (٢٣٦٣) مُطوَّلا. ثم قال عقبه: ((وهذا حديث كثير التخليط، منكر الإسناد، لا يعرف صاحبه الذي رواه عن ابن أبي ذئب، وأما ابن أبي ذئب ومن فوقه فأقوياء)).

٢- إسناده صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة (كتاب الفتن، باب ما ذُكر في عثمان، رقم ٣٨٦٦٩)، وابن شبة في ((تاريخ المدينة)) (رقم: ٢٢٥٦).

فَقَالَ: أَلا إِنَّمَا أُكِلْتُ يَوْمَ أُكِلَ الأَبْيَضُ، أَلا إِنَّمَا أُكِلْتُ يَوْمَ أُكِلَ الأَبْيَضُ، أَلا إِنَّمَا أُكِلْتُ يَوْمَ أُكِلَ الأَبْيَضُ، أَلا إِنَّمَا وَهَنْتُ يَوْمَ قُتِلَ عُثْمَانُ[١].

ومما ذكر فيما جاء في المطالبة بدم عثمان ﷺ، فعن مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ: مَا عَلِمْتُ أَنَّ عَلِيًّا اتُّهِمَ فِي قَتْلِ عُثْمَانَ حَتَّى بُويِعَ، فَلَمَّا بُويِعَ اتَّهَمَهُ النَّاسُ[٢].

قال شيخ الإسلام في الرد على تهمة علي بقتل عثمان: وكل ذلك كذب على علي ﷺ، وقد حلف ﷺ وهو الصادق بلا يمين أنه لم يقتل عثمان، ولا مالأ على قتله بل؛ ولا رضي بقتله، وكان يلعن قتلة عثمان.

وأهل السنة يعلمون ذلك منه بدون قوله؛ فهو أتقى لله من أن يعين على قتل عثمان أو يرضى بذلك .

فما قالته شيعة علي في عثمان أعظم مما قالته شيعة عثمان في علي؛ فإن كثيراً منهم يكفر عثمان وشيعة عثمان لم تكفر علياً، ومن لم يكفره يسبه ويبغضه أعظم مما كانت شيعة عثمان تبغض علياً.

وأهل السنة يتولون عثمان وعلياً جميعا، ويتبرؤون من التشيع والتفرق

١- إسناده ضعيف: أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في ((الأمثال في الحديث النبوي)) (رقم: ٣٦٧)، والطبراني في ((المعجم الكبير)) (رقم: ١١٣) (١/ ٨١،٨٠).

٢- إسناده صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (كِتَابُ الْأُمَرَاءِ) (مَا ذُكِرَ مِنْ حَدِيثِ الْأُمَرَاءِ وَالدُّخُولِ عَلَيْهِمْ) (٦/ ٢٠٧) (رقم: ٣٠٧١٠)، (كِتَابُ الْفِتَنِ) (مَنْ كَرِهَ الْخُرُوجَ فِي الْفِتْنَةِ وَتَعَوَّذَ عَنْهَا) (٧/ ٥٢٥) (رقم: ٣٧٧١١).

في الدين الذي يوجب موالاة أحدهما ومعاداة الآخر، وقد استقر أمر أهل السنة على أن هؤلاء مشهود لهم بالجنة ولطلحة الزبير وغيرهما ممن شهد له الرسول ﷺ بالجنة كما قد بسط في موضعه، وكان طائفة من السلف يقولون لا نشهد بالجنة إلا لرسول ﷺ خاصة، وهذا قول محمد بن الحنفية والأوزاعي، وطائفة أخرى من أهل الحديث كعلي بن المديني وغيره يقولون هم في الجنة ولا يقولون نشهد لهم بالجنة.

والصواب أنا نشهد لهم بالجنة كما استقر على ذلك مذهب أهل السنة، وقد ناظر أحمد بن حنبل علي بن المديني في هذه المسألة[1].

وقال: وتولى علي على إثر ذلك والفتنة قائمة، وهو عند كثير منهم متلطخ بدم عثمان؛ والله يعلم براءته مما نسبه إليه الكاذبون عليه المبغضون لغيره من الصحابة؛ فإن علياً لم يعن على قتل عثمان، ولا رضي به كما ثبت عنه، وهو الصادق أنه قال ذلك فلم تصف له قلوب كثير منهم، ولا أمكنه هو قهرهم حتى يطيعوه، ولا اقتضى رأيه أن يكف عن القتال حتى ينظر ما يؤول إليه الأمر بل اقتضى رأيه القتال وظن أنه به تحصل الطاعة والجماعة فما زاد الأمر إلا شدة[2].

١- ((منهاج السنة)) (٦٥/ ٢٠٣).

٢- ((منهاج السنة)) (٧/ ٤٥٢).



الباب الثالث

خلافة علي بن أبي طالب

ووفاته

تمهيد[١] :

لقد تَمَّتْ بَيْعَةُ عَلِيٍّ بِالْخِلَافَةِ بِطَرِيقَةِ الاخْتِيَارِ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنِ اسْتُشْهِدَ الْخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ـ ﷺ ـ، فَبَعْدَ أَنْ قَتَلَهُ الْـمَارِقُونَ ظُلْمًا وَزُورًا وَعُدْوَانًا، يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِثَمَانِي عَشْرَةَ لَيْلَةً مَضَتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ[٢]؛ قَامَ كُلُّ مَنْ بَقِيَ بِالْـمَدِينَةِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمُبَايَعَةِ عَلِيٍّ ﷺ بِالْخِلَافَةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَـمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، فَلَمْ يَدَّعِ الْإِمَامَةَ لِنَفْسِهِ أَحَدٌ بَعْدَ عُثْمَانَ ﷺ، وَلَـمْ يَكُنْ أَبُو السِّبْطَيْنِ ﷺ، حَرِيصًا عَلَيْهَا، وَلِذَلِكَ لَـمْ يَقْبَلْهَا إِلَّا بَعْدَ إِلْحَاحٍ شَدِيدٍ مِمَّنْ بَقِيَ مِنَ الصَّحَابَةِ بِالْـمَدِينَةِ، وَخَوْفًا مِن ازْدِيَادِ الْفِتَنِ وَانْتِشَارِهَا، وَمَعَ ذَلِكَ لَـمْ يَسْلَمْ مِنْ نَقْدِ بَعْضِ الْجُهَّالِ إِثْرَ تِلْكَ الْفِتَنِ كَمَوْقِعَةِ الْجَمَلِ وَصِفِّينَ الَّتِي أَوْقَدَ نَارَهَا وَأَنْشَبَهَا الْحَاقِدُونَ عَلَى الْإِسْلَامِ، كَابْنِ سَبَأٍ وَأَتْبَاعِهِ الَّذِينَ اسْتَخَفَّهُمْ فَأَطَاعُوهُ لِفِسْقِهِمْ وَلِزَيْغِ قُلُوبِهِمْ عَنِ الْحَقِّ وَالْهُدَى..

وَقَدْ رَوَى الْكَيْفِيَّةَ الَّتِي تَمَّ بِهَا اخْتِيَارُ عَلِيٍّ ﷺ لِلْخِلَافَةِ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ[٣]، فَقَدْ رَوَى أَبُو بَكْرٍ الْـخَلَّالُ بِإِسْنَادِهِ إِلَى مُحَمَّدِ ابْنِ الْـحَنَفِيَّةِ قَالَ: «كُنْتُ مَعَ عَلِيٍّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ وَعُثْمَانُ مُحَاصَرٌ قَالَ: فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: «إِنَّ

١- انظر: ((جمع القرآن)) أحمد سالم .
٢- ((الطبقات الكبرى)) لابن سعد (٣/ ٣١).
٣- ((عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام)) (٢/ ٦٧٧).

أَمِيرَ الْـمُؤْمِنِينَ مَقْتُولٌ السَّاعَةَ»، قَالَ: فَقَامَ عَلِيٌّ - رَحِمَهُ اللهُ -، قَالَ مُحَمَّدُ: «فَأَخَذْتُ بِوَسَطِهِ تَخَوُّفًا عَلَيْهِ»، فَقَالَ: «خَلِّ لَا أُمَّ لَكَ»، قَالَ: فَأَتَى عَلِيٌّ الدَّارَ، وَقَدْ قُتِلَ الرَّجُلُ - رَحِمَهُ اللهُ -، فَأَتَى دَارَهُ فَدَخَلَهَا فَأَغْلَقَ بَابَهُ، فَأَتَاهُ النَّاسُ فَضَرَبُوا عَلَيْهِ الْبَابَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا: «إِنَّ هَذَا قَدْ قُتِلَ، وَلَابُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ خَلِيفَةٍ، وَلَا نَعْلَمُ أَحَدًا أَحَقَّ بِهَا مِنْكَ!»، فَقَالَ لَهُمْ عَلِيٌّ: «لَا تُرِيدُونِي؛ فَإِنِّي لَكُم وَزِيرًا خَيْرٌ مِنِّي لَكُمْ أَمِيرًا»، فَقَالُوا: «لَا وَاللهِ لَا نَعْلَمُ أَحَدًا أَحَقَّ بِهَا مِنْكَ»، قَالَ: «فَإِنْ أَبَيْتُمْ عَلَيَّ؛ فَإِنَّ بَيْعَتِي لَا تَكُونُ سِرًّا، وَلَكِنْ أَخْرُجُ إِلَى الْـمَسْجِدِ»؛ فَبَايَعَهُ النَّاسُ»[1].

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عَنْ سَالِم ابْنِ أَبِي الْـجَعْدِ، عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ الْـحَنَفِيَّةِ: فَأَتَاهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ، فَقَالُوا: «إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ قُتِلَ، وَلَابُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ إِمَامٍ، وَلَا نَجِدُ أَحَدًا أَحَقَّ بِهَا مِنْكَ أَقْدَمَ مَشَاهِدَ، وَلَا أَقْرَبَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ »، فَقَالَ عَلِيٌّ: «لَا تَفْعَلُوا؛ فَإِنِّي لَكُمْ وَزِيرًا خَيْرٌ مِنِّي أَمِيرًا»، فَقَالُوا: «لَا وَاللهِ مَا نَحْنُ بِفَاعِلِينَ حَتَّى نُبَايِعَكَ»، قَالَ: «فَفِي الْـمَسْجِدِ؛ فَإِنَّهُ

١- صحيح: أخرجه الإمام أحمد في ((فضائل الصحابة)) (رقم: ٩٦٩)، ومن طريقه أبو بكر الخلال في ((السنة)) (تَثْبِيتُ خِلَافَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا حَقًّا) (٢/ ٤٢٥، ٤١٦) (رقم: ٦٢٠) وقال عقبه: ((قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ -يعني أحمد-: مَا سَمِعْتُهُ إِلَّا مِنْهُ، مَا أَعْجَبَهُ مِنْ حَدِيثٍ))، والآجري في ((الشريعة)) (بَابُ ذِكْرِ خِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ) (٤/ ١٧٦٠) (رقم: ٦٢٠)، وقال في سنده: ((حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ الْأَثْرَمُ قَالَ: قَالَ لِي أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: اكْتُبْ هَذَا الْحَدِيثَ، فَإِنَّهُ حَدِيثٌ حَسَنٌ فِي خِلَافَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ...فذكره))، والبلاذري في ((جمل من أنساب الأشراف)) (٢/ ٢١٠).

يَنْبَغِي لِبَيْعَتِي أَلَّا تَكُونَ خُفْيًا، وَلَا تَكُونُ إِلَّا عَنْ رِضَا الْـمُسْلِمِينَ»، قَالَ: فَقَالَ سَالِـمُ بْنُ أَبِي الْجَعْدِ: «فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ: فَلَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَأْتِيَ الْـمَسْجِدَ كَرَاهِيَةَ أَنْ يُشْغَبَ عَلَيْهِ، وَأَبَى هُوَ إِلَّا الْـمَسْجِدَ»، فَلَمَّا دَخَلَ الْـمَسْجِدَ جَاءَ الْـمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ فَبَايَعُوا وَبَايَعَ النَّاسُ»[١].

- وقد قَامَتْ دَوْلَةُ الْإِسْلَامِ فِي عَهْدِ عَلِيٍّ ﷺ عَلَى أُسُسٍ وَمَبَادِئَ شَرْعِيَّةٍ، مِنْهَا:

1-الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ مَرْجِعِيَّةُ الدَّوْلَةِ: يَقُولُ عَلِيٌّ ﷺ: «الْزَمُوا دِينَكُمْ، وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ، وَاتَّبِعُوا سُنَّتَهُ، وَاعْرِضُوا مَا أُشْكِلَ عَلَيْكُمْ عَلَى الْقُرْآنِ، فَمَا عَرَفَهُ الْقُرْآنُ؛ فَالْزَمُوهُ، وَمَا أَنْكَرَهُ؛ فَرُدُّوهُ»[٢].

2-الِاقْتِدَاءُ بِالْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الَّذِينَ سَبَقُوهُ: يَقُولُ عَلِيٌّ ﷺ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: «فَإِنَّهُ لَا يُبْلَغُ مَبْلَغُهُمَا إِلَّا بِاتِّبَاعِ آثَارِهِمَا وَالْحُبِّ لَهُمَا، أَلَا مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيُحِبَّهُمَا، وَمَنْ لَـمْ يُحِبَّهُمَا؛ فَقَدْ أَبْغَضَنِي، وَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ»[٣].

١- صحيح: أخرجه الطبري في ((تاريخه)) (٤/ ٤٢٧)، والخلال في ((السُّنَّة)) (تَثْبِيتُ خِلَافَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا حَقًّا) (رقم: ٦٢٣).

٢- ((البداية والنهاية)) (٧/ ٢٤٦).

٣- إسناده ضعيف جدًّا: أخرجه بحشل في ((تاريخ واسط)) (ص: ١٦٦)، واللالكائي في ((شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة)) (رقم: ٤٤٥٦)، والضياء المقدسي في ((النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب)) (رقم: ١٠)، ومداره على الحسن بن عمارة وهو متروك الحديث.

3-حَقُّ الرَّعِيَّةِ فِي رِقَابَةِ الرَّاعِي : يَقُولُ عَلِيٌّ ﷺ : «إِنَّ هَذَا أَمْرُكُمْ لَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهِ حَقٌّ إِلَّا مَنْ أَمَرْتُمْ، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ لِي أَمْرٌ دُونَكُمْ»[1].

4-الشُّورَى، وَالْعَدْلُ، وَالْمُسَاوَاةُ، وَالْحُرِّيَّاتُ : هَذِهِ كُلُّهَا مَبَادِئُ أَرْسَاهَا عَلِيٌّ إِحْيَاءً لِلشَّرِيعَةِ فِي عَهْدِهِ ﷺ

وبعد هذا الإجمال، إليكم التفصيل :

١- إسناده ضعيف: أخرجه الطبري في ((تاريخه)) (٤/ ٤٣٤- ٤٣٥).

المبحث الأول: بيعة علي

أولًا: بيعة علي:

لَمَّا كان أهل الشورى الذين سمَّاهم عمر قد آل أمر الاختيار بينهم إلى رجلين: عثمان وعليّ، ولَمَّا استقر الأمر على تقديم عثمان، ولَمَّا كان عثمان قد قُتِل غدرا دون أن يستخلف؛ كان الترتيب المنطقي أن تؤول الخلافة إلى علي بن أبي طالب، فقد كان هو أحق الناس بها في ذلك الوقت، ولذا بايعه الصحابة.

قال الزهري: «لما قُتِل عثمان: برز عليٌّ بن أبي طالب للناس ودعاهم إلى البيعة، فبايعه الناس ولم يعدلوا به طلحة ولا غيره، وهذا لأن سائر من بقي من أصحاب الشورى كانوا قد تركوا حقوقهم عند بيعة عثمان، فلم يبق أحد منهم لم يترك حقه إلا علي، وكان قد وفَّى بعهد عثمان حتى قتل، وكان أفضل من بقي من الصحابة، فلم يكن أحد أحقَّ بالخلافة منه، ثم لم يستبد بها مع كونه أحق الناس بها حتى جرت له بيعة، وبايعه مع سائر الناس من بقي من أصحاب الشورى»(1).

وقال أبو عبدالله بن بطة: «كانت بيعةُ عليٍّ بيعةَ اجتماع ورحمة، لم يدعُ إلى نفسه، ولم يجبرهم على بيعته بسيفه، ولم يغلبهم بعشيرته، ولقد شرف الخلافة بنفسه، وزانها بشرفه، وكساها حلة البهاء بعدله، ورفعها بعلو قدره، ولقد أباها فأجبروه وتقاعس عنها فأكرهوه»(2).

1- إسناده حسن إلى الزهري: أخرجه البيهقي في ((الاعتقاد)) (ص: ٣٧٠- ٣٧١).

2- ((لوامع الأنوار البهية)) للسفاريني (٢/ ٣٤٦).

وقال الحافظ ابن حجر: « وكانت بيعة علي بالخلافة عقب قتل عثمان في أوائل ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، فبايعه المهاجرون والأنصار وكل من حضر، وكتب بيعته إلى الآفاق، فأذعنوا كلهم إلا معاوية في أهل الشام، فكان بينهم بعد ما كان»[١].

ولا يُفهم من هذا الكلام أن معاوية بن أبي سفيان وأهل الشام امتنعوا عن مبايعة علي لأنهم يرون معاوية أو غيره أحق بالخلافة، لا، ولكنهم أرادوا الثَّأر أَوَّلاً لدم عثمان قبل مبايعة علي، خاصة معاوية، فهو ابن عم عثمان، ويرى أنه أحق من يطالب بدمه لأنه وليه، ومن هنا نشأ الخلاف، وشبَّت الفتنة بين علي ومعاوية.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «لما طلب علي من معاوية ورعيته أن يبايعوه امتنعوا عن بيعته، ولم يبايعوا معاوية، ولا قال أحد قط: إن معاوية مثل علي، أو إنه أحق من علي بالبيعة، بل الناس كانوا متفقين على أن عليا أفضل وأحق، ولكن طلبوا من علي أن يقيم الحد على قتلة عثمان، وكان علي غير متمكن من ذلك لتفرق الكلمة وانتشار الرعية وقوة المعركة لأولئك، فامتنع هؤلاء عن بيعته، إما لاعتقادهم أنه عاجز عن أخذ حقهم، وإما لتوهمهم محاباة أولئك، فقاتلهم علي لامتناعهم من بيعته، لا لأجل تأمير معاوية»[٢].

١- ((فتح الباري)) (٧/ ٧٢).

٢- ((جامع المسائل)) لابن تيمية (٦/ ٢٦٣- ١٦٤). وانظر كذلك: ((مجموع الفتاوى)) له (٣٥/ ٧٢- ٧٣)، و((الفصل في الملل والأهواء والنحل)) لابن حزم (٤/ ١٢٤)، و((الصواعق المحرقة)) لابن حجر الهيتمي (٢/ ٦٢٢).

وقد مال الناس إلى طلحة ليبايعوه، فلما أبصروا عليًا على المنبر، لم يعدلوا به طلحة ولا غيره، فعَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ قَالَ: قُتِلَ عُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ فِي الْمَسْجِدِ، قَالَ: فَمَالَ النَّاسُ إِلَى طَلْحَةَ، قَالَ: فَانْصَرَفَ عَلِيٌّ يُرِيدُ مَنْزِلَهُ، فَلَقِيَهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ عِنْدَ مَوْضِعِ الْجَنَائِزِ فَقَالَ: انْظُرُوا إِلَى رَجُلٍ قَتَلَ ابْنَ عَمِّهِ، وَسَلَبَ مُلْكَهُ، قَالَ: فَوَلَّى رَاجِعًا فَرَقَى فِي الْمِنْبَرِ فَقِيلَ: ذَاكَ عَلِيٌّ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَمَالَ النَّاسُ عَلَيْهِ فَبَايَعُوهُ وَتَرَكُوا طَلْحَةَ(١).

وعَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ قَالَ: كُنْتُ مَعَ عَلِيٍّ، وَعُثْمَانُ مَحْصُورٌ، قَالَ: فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَقْتُولٌ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَقْتُولٌ السَّاعَةَ، قَالَ: فَقَامَ عَلِيٌّ، قَالَ مُحَمَّدٌ: فَأَخَذْتُ بِوَسَطِهِ تَخَوُّفًا عَلَيْهِ، فَقَالَ: خَلِّ لَا أُمَّ لَكَ، قَالَ: فَأَتَى عَلِيٌّ الدَّارَ، وَقَدْ قُتِلَ الرَّجُلُ، فَأَتَى دَارَهُ فَدَخَلَهَا، وَأَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ، فَأَتَاهُ النَّاسُ فَضَرَبُوا عَلَيْهِ الْبَابَ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ قُتِلَ وَلَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ خَلِيفَةٍ، وَلَا نَعْلَمُ أَحَدًا أَحَقَّ بِهَا مِنْكَ، فَقَالَ لَهُمْ عَلِيٌّ: " لَا تُرِيدُونِي، فَإِنِّي لَكُمْ وَزِيرٌ خَيْرٌ مِنِّي لَكُمْ أَمِيرٌ، فَقَالُوا: لَا وَاللَّهِ مَا نَعْلَمُ أَحَدًا أَحَقَّ بِهَا مِنْكَ، قَالَ: فَإِنْ أَبَيْتُمْ عَلَيَّ فَإِنَّ بَيْعَتِي لَا تَكُونُ سِرًّا، وَلَكِنْ أَخْرُجُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَمَنْ شَاءَ أَنْ يُبَايِعَنِي بَايَعَنِي، قَالَ: فَخَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَبَايَعَهُ النَّاسُ (٢).

١- إسناده صحيح: أخرجه أحمد في ((فضائل الصحابة)) (٢/ ٥٧٣-٥٧٤) (رقم: ٩٧٠).

٢- إسناده صحيح: أخرجه أحمد في ((فضائل الصحابة)) (٢/ ٥٧٣) (رقم: ٩٦٩)، والخلال في ((السنة)) (تَثْبِيتُ خِلَافَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا حَقًّا) (٢/ ٤١٥-٤١٦) (رقم: ٦٢٠)، والبلاذري في ((أنساب الأشراف)) (٢/ ٢١٠) (رقم: ٢٥٩).

وعَنْ قَيْسِ بْنِ عَبَّادٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَوْمَ الْجَمَلِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ، وَلَقَدْ طَاشَ عَقْلِي يَوْمَ قُتِلَ عُثْمَانُ، وَأَنْكَرَتْ نَفْسِي وجَاءُونِي لِلْبَيْعَةِ، فَقُلْتُ: وَاللهِ إِنِّي لَأَسْتَحْيِي مِنَ اللهِ أَنْ أُبَايِعَ قَوْمًا قَتَلُوا رَجُلًا قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا أَسْتَحْيِي مِمَّنْ تَسْتَحْيِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ»، وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي مِنَ اللهِ أَنْ أُبَايِعَ وَعُثْمَانُ قَتِيلٌ عَلَى الْأَرْضِ لَمْ يُدْفَنْ بَعْدُ، فَانْصَرَفُوا، فَلَمَّا دُفِنَ رَجَعَ النَّاسُ فَسَأَلُونِي الْبَيْعَةَ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي مُشْفِقٌ مِمَّا أَقْدَمُ عَلَيْهِ، ثُمَّ جَاءَتْ عَزِيمَةٌ فَبَايَعْتُ فَلَقَدْ قَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَكَأَنَّمَا صُدِعَ قَلْبِي، وَقُلْتُ: اللَّهُمَّ خُذْ مِنِّي لِعُثْمَانَ حَتَّى تَرْضَى[1].

وعَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَنَحْنُ نُرِيدُ الْحَجَّ، قَالَ الْأَحْنَفُ: «فَانْطَلَقْتُ فَأَتَيْتُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ فَقُلْتُ: مَا تَأْمُرَانِنِي بِهِ وَتَرْضَيَانِهِ لِي، فَإِنِّي مَا أَرَى هَذَا إِلَّا مَقْتُولًا» يَعْنِي عُثْمَانَ، قَالَا: نَأْمُرُكَ بِعَلِيٍّ، قُلْتُ: «تَأْمُرَانِنِي بِهِ وَتَرْضَيَانِهِ لِي»، قَالَا: نَعَمْ، «ثُمَّ انْطَلَقْتُ حَاجًّا حَتَّى قَدِمْتُ مَكَّةَ، فَبَيْنَا نَحْنُ بِهَا إِذْ أَتَانَا قَتْلُ عُثْمَانَ، وَبِهَا عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَقِيتُهَا فَقُلْتُ: مَا تَأْمُرِينَنِي بِهِ أَنْ أُبَايِعَ»، قَالَتْ: عَلِيٌّ، قُلْتُ: «أَتَأْمُرِينَ بِهِ

١- إسناده حسن: أخرجه الحاكم في ((المستدرك)) (٣/ ١٠١) (رقم: ٤٥٢٧) وقال: ((هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ)).
وأخرجه الحاكم أيضًا في (٣/ ١١١) (رقم: ٤٥٥٦)، وأبو نعيم في ((الإمامة)) (ص/ ٣٢٩) (رقم: ١٣٨) بإسناد ضعيف من طريق محمد يونس الكديمي، ولكن يشهد له الطريق الأول.

وَتَرْضِينَهُ؟» قَالَتْ: نَعَمْ، «فَمَرَرْتُ عَلَى عَلِيٍّ بِالْمَدِينَةِ فَبَايَعْتُهُ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى الْبَصْرَةِ وَأَنَا أَرَى أَنَّ الأَمْرَ قَدِ اسْتَقَامَ، فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ أَتَانِي آتٍ» فَقَالَ: هَذِهِ عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ قَدْ نَزَلُوا جَانِبَ الْخَرْبِيَّةِ ; قَالَ فَقُلْتُ: «مَا جَاءَ بِهِمْ؟» قَالُوا: أَرْسَلُوا إِلَيْكَ يَسْتَنْصِرُونَكَ عَلَى دَمِ عُثْمَانَ، قُتِلَ مَظْلُومًا، قَالَ: «فَأَتَانِي أَفْظَعُ أَمْرٍ مَا أَتَانِي قَطُّ»، قَالَ: قُلْتُ: «إِنَّ خِذْلَانَ هَؤُلَاءِ وَمَعَهُمْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ وَحَوَارِيُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَشَدِيدٌ، وَإِنَّ قِتَالَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَمَرُّ وَقَدْ أَمَرُونِي لِبَيْعَتِهِ لَشَدِيدٌ»، قَالَ: «فَلَمَّا أَتَيْتُهُمْ» قَالُوا: جِئْنَا نَسْتَنْصِرُكَ عَلَى دَمِ عُثْمَانَ ; قُتِلَ مَظْلُومًا، قَالَ: قُلْتُ: «يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أُنْشِدُكَ بِاللَّهِ، أَقُلْتِ؟: مَا تَأْمُرِينَنِي؟ " فَقَالَتْ: عَلِيٌّ، فَقُلْتُ: «تَأْمُرِينَنِي بِهِ وَتَرْضِينَهُ لِي؟» قَالَتْ: نَعَمْ، وَلَكِنَّهُ بَدَّلَ، فَقُلْتُ: «يَا زُبَيْرُ، يَا حَوَارِيَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَا طَلْحَةُ، نَشَدْتُكُمَا بِاللَّهِ: أَقُلْتُ لَكُمَا: مَنْ تَأْمُرَانِي بِهِ، فَقُلْتُمَا: عَلِيًّا، فَقُلْتُ: تَأْمُرَانِي بِهِ وَتَرْضَيَانِهِ لِي، فَقُلْتُمَا: نَعَمْ»، فَقَالَا: نَعَمْ، وَلَكِنَّهُ بَدَّلَ قَالَ: قُلْتُ: «لَا أُقَاتِلُكُمْ وَمَعَكُمْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ وَحَوَارِيُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا أُقَاتِلُ ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَمَرْتُمُونِي بِبَيْعَتِهِ، اخْتَارُوا مِنِّي ثَلَاثَ خِصَالٍ: إِمَّا أَنْ تَفْتَحُوا لِي بَابَ الْجِسْرِ فَأَلْحَقَ بِأَرْضِ الْأَعَاجِمِ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ مِنْ أَمْرِهِ مَا قَضَى، أَوْ أَلْحَقَ بِمَكَّةَ فَأَكُونَ بِهَا حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ مِنْ أَمْرِهِ مَا قَضَى، أَوْ أَعْتَزِلُ لَكَ فَأَكُونَ قَرِيبًا»، فَقَالُوا: نُرْسِلُ إِلَيْكَ، فَائْتَمَرُوا فَقَالُوا: نَفْتَحُ لَهُ بَابَ الْجِسْرِ فَلْيَلْحَقْ بِهِ الْمُنَافِقُ وَالْخَاذِلُ، أَوْ يَلْحَقُ بِمَكَّةَ فَيَتَعَجَّلُكُمْ

فِي قُرَيْشٍ وَيُخْبِرُهُمْ بِأَخْبَارِكُمْ، لَيْسَ ذَلِكَ بِرَأْيِي، اجْعَلُوهُ هَهُنَا قَرِيبًا حَيْثُ تَطَأُونَ صِمَاخَهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَاعْتَزَلَ بِالْجَلْحَاءِ مِنَ الْبَصْرَةِ وَاعْتَزَلَ مَعَهُ زُهَاءُ سِتَّةِ آلَافٍ، ثُمَّ الْتَقَى الْقَوْمُ، فَكَانَ أَوَّلُ قَتِيلٍ طَلْحَةَ وَكَعْبَ بْنَ سَوْرٍ مَعَهُ الْمُصْحَفُ، يُذَكِّرُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ حَتَّى قُتِلَ مِنْهُمْ مَنْ قُتِلَ، وَبَلَغَ الزُّبَيْرُ صَفْوَانَ مِنَ الْبَصْرَةِ كَمَكَانِ الْقَادِسِيَّةِ مِنْكُمْ، فَلَقِيَهُ النَّضْرُ: رَجُلٌ مِنْ بَنِي مُجَاشِعٍ، فَقَالَ: أَيْنَ تَذْهَبُ يَا حَوَارِيَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِلَيَّ فَأَنْتَ فِي ذِمَّتِي، لَا يُوصَلُ إِلَيْكَ، فَأَقْبَلَ مَعَهُ ; فَأَتَى إِنْسَانٌ الْأَحْنَفَ فَقَالَ: هَذَا الزُّبَيْرُ قَدْ لَحِقَ صَفْوَانَ، قَالَ: " فَمَا جَمَعَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى ضَرَبَ بَعْضُهُمْ حَوَاجِبَ بَعْضٍ بِالسُّيُوفِ، ثُمَّ لَحِقَ بِبَنِيهِ وَأَهْلِهِ، قَالَ: فَسَمِعَهُ عُمَيْرُ بْنُ جُرْمُوزٍ وَغُوَاةٌ مِنْ غُوَاةِ بَنِي تَمِيمٍ وَفُضَالَةُ بْنُ حَابِسٍ وَنُفَيْعٌ فَرَكِبُوا فِي طَلَبِهِ فَلَقُوهُ مَعَ النَّضْرِ، فَأَتَاهُ عُمَيْرُ بْنُ جُرْمُوزٍ مِنْ خَلْفِهِ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ ضَعِيفَةٍ، فَطَعَنَهُ طَعْنَةً خَفِيفَةً، وَحَمَلَ عَلَيْهِ الزُّبَيْرُ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ يُقَالُ لَهُ «ذُو الْخِمَارِ» حَتَّى إِذَا ظَنَّ أَنَّهُ قَاتِلُهُ نَادَى صَاحِبَهُ يَا نُفَيْعُ، يَا فُضَالَةُ، فَحَمَلُوا عَلَيْهِ حَتَّى قَتَلُوهُ[1].

١- إسناده جيِّد: أخرجه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (كِتَابُ الْأُمَرَاءِ) (مَا ذُكِرَ مِنْ حَدِيثِ الْأُمَرَاءِ وَالدُّخُولِ عَلَيْهِمْ) (٦/ ١٩٧) (رقم: ٣٠٦٢٩)، والطبري في ((تاريخه)) (٤/ ٤٩٧-٤٩٩)، وقد صحَّحه ابن حجر في ((فتح الباري)) (١٣/ ٣٤، ٥٧).
وأخرجه ابن أبي شيبة أيضًا في (٣/ ١١١) (رقم: ٤٥٥٦)، وأبو نعيم في ((الإمامة)) (ص/ ٣٢٩) (رقم: ١٣٨) بإسناد ضعيف من طريق محمد يونس الكديمي، ولكن يشهد له الطريق الأول.

- عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: لَمَّا بُويِعَ لِعَلِيٍّ أَتَانِي فَقَالَ: «إِنَّكَ امْرُؤٌ مُحَبَّبٌ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ، وَقَدِ اسْتَعْمَلْتُكَ عَلَيْهِمْ فَسِرْ إِلَيْهِمْ»، قَالَ: فَذَكَرْتُ الْقَرَابَةَ وَذَكَرْتُ النَّهْبَ، فَقُلْتُ: أَمَّا بَعْدُ فَوَاللَّهِ لَا أُبَايِعُكَ، قَالَ: فَتَرَكَنِي وَخَرَجَ؛ فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ جَاءَ ابْنُ عُمَرَ إِلَى أُمِّ كُلْثُومٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهَا وَتَوَجَّهَ إِلَى مَكَّةَ فَأَتَى عَلِيٌّ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ ابْنَ عُمَرَ قَدْ تَوَجَّهَ إِلَى الشَّامِ فَاسْتَنْفَرَ النَّاسَ، قَالَ: «فَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُعَجِّلُ حَتَّى يُلْقِيَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِ بَعِيرِهِ»، قَالَ: وَأَتَيْتُ أُمَّ كُلْثُومٍ فَأَخْبَرْتُ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى أَبِيهَا: مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعُ؟ قَدْ جَاءَنِي الرَّجُلُ وَسَلَّمَ عَلَيَّ وَتَوَجَّهَ إِلَى مَكَّةَ، فَتَرَاجَعَ النَّاسُ[1].

- عَنْ قَيْسِ بْنِ عَبَّادٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ عَلِيٍّ فَكَانَ إِذَا شَهِدَ مَشْهَدًا أَوْ أَشْرَفَ عَلَى أَكَمَةٍ أَوْ هَبَطَ وَادِيًا قَالَ: «صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»، فَقُلْتُ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي يَشْكُرَ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى نَسْأَلَهُ عَنْ قَوْلِهِ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا إِلَيْهِ فَقُلْنَا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، رَأَيْنَاكَ إِذَا شَهِدْتَ مَشْهَدًا، أَوْ هَبَطْتَ وَادِيًا، أَوْ أَشْرَفْتَ عَلَى أَكَمَةٍ، قُلْتَ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَهَلْ عَهِدَ إِلَيْكَ رَسُولُ اللَّهِ شَيْئًا فِي ذَلِكَ؟ قَالَ فَأَعْرَضَ عَنَّا وَأَلْحَفْنَا عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ: «وَاللَّهِ مَا عَهِدَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ عَهْدًا

١- إسناده صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (كِتَابُ الْأُمَرَاءِ) (مَا ذُكِرَ مِنْ حَدِيثِ الْأُمَرَاءِ وَالدُّخُولِ عَلَيْهِمْ) (٦/ ٢٠٢) (رقم: ٣٠٦٧١)، (كِتَابُ الْفِتَنِ) (مَنْ كَرِهَ الْخُرُوجَ فِي الْفِتْنَةِ وَتَعَوَّذَ عَنْهَا) (٧/ ٤٧٢) (رقم: ٣٧٣٢٥)، والطبري في ((تاريخه)) (٤/ ٤٩٧-٤٩٩).

إِلَّا شَيْئًا عَهِدَهُ إِلَى النَّاسِ، وَلَكِنَّ النَّاسَ وَقَعُوا عَلَى عُثْمَانَ فَقَتَلُوهُ، فَكَانَ غَيْرِي فِيهِ أَسْوَأَ حَالًا وَفِعَالًا مِنِّي، ثُمَّ رَأَيْتُ أَنِّي أَحَقُّهُمْ لِهَذَا الْأَمْرِ فَوَثَبْتُ عَلَيْهِ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ أَصَبْنَا أَمْ أَخْطَأْنَا(١).

عَنْ مُحَمَّدِ بن الْحَنَفِيَّةِ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ أَبِي حِينَ قُتِلَ عُثْمَانُ ﷺ، فَقَامَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، فأتاه أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا: إن هذا الرجل قد قتل، ولا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ إِمَامٍ، وَلا نَجِدُ الْيَوْمَ أَحَدًا أَحَقَّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْكَ؛ لا أَقْدَمَ سابقةً، ولا أقرب من رسول الله ﷺ، فَقَالَ: لا تَفْعَلُوا، فَإِنِّي أَكُونُ وَزِيرًا خَيْرٌ من أن أَكُون أَمِيرًا؛ فَقَالُوا: لا، وَاللَّهِ مَا نَحْنُ بِفَاعِلِينَ حَتَّى نُبَايِعَكَ؛ قَالَ: فَفِي الْمَسْجِدِ، فَإِنَّ بَيْعَتِي لا تَكُونُ خَفِيًّا، وَلا تَكُونُ إلا عَنْ رِضَا الْمُسْلِمِينَ.

قَالَ سَالِمُ بْنُ أَبِي الْجَعْدِ: فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ: فَلَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَأْتِيَ الْمَسْجِدَ مَخَافَةَ أَنْ يُشْغَب عَلَيْهِ؛ وَأَبَى هُوَ إِلا الْمَسْجِدَ، فَلَمَّا دَخَلَ دَخَلَ الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارِ فَبَايَعُوهُ، ثُمَّ بَايَعَهُ النَّاسُ(٢).

عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: بايع الناس عَلِيَّ بن أَبِي طَالِبٍ، فأرسل إِلَى الزُّبَيْرِ وَطَلْحَة فدعاهما إِلَى البيعة، فتلكأ طَلْحَةُ، فقام مالك الأشتر وسل سيفه وقال: وَاللَّهِ لتبايعن أو لأضربن بِهِ مَا بين عينيك، فَقَالَ طَلْحَةُ: وأين المهرب عنه!

١- إسناده ضعيف: أخرجه عبد الرزاق في ((المصنف)) (جامع معمر) (بَابُ مَقْتَلِ عُثْمَانَ) (١١/ ٤٤٩) (رقم: ٢٠٩٧١)، فيه علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف الحديث.

٢- صحيح: تقدم تخريجه.

فبايعه، وبايعه الزُّبَيْر والناس وسأل طَلْحَة وَالزُّبَيْر أن يؤمرهما عَلَى الْكُوفَة والبصرة، فَقَالَ: تكونان عندي فأتحمل بكما، فإني وحش لفراقكما قَالَ الزُّهْرِيّ: وَقَدْ بلغنا أنه قَالَ لهما: إن أحببتما أن تبايعا لي وإن أحببتما بايعتكما، فقالا: بل نبايعك، وقالا بعد ذَلِكَ: إنما صنعنا ذَلِكَ خشية عَلَى أنفسنا، وَقَدْ عرفنا أنه لَمْ يَكُنْ ليبايعنا فظهرا إِلَى مكة بعد قتل عُثْمَان بأربعة أشهر[١].

عَنْ مُحَمَّدِ بن الحنفية، قَالَ: كنت أمسي مع أبي حين قتل عُثْمَان ﷺ حَتَّى دخل بيته، فأتاه ناس من أَصْحَاب رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فقالوا: إن هذا الرجل قد قتل، ولا بد من إمام لِلنَّاسِ، قَالَ: أو تكون شورى؟ قَالُوا: أنت لنا رضا، قَالَ: فالمسجد إذا يكون عن رضا مِنَ النَّاسِ، فخرج إِلَى الْمَسْجِدِ فبايعه من بايعه، وبايعت الأنصار عليا إلا نفيرا يسيرا، فقال طلحه: ما لنا من هَذَا الأمر إلا كحسة أنف الكلب[٢].

فهذه الآثار وغيرها أدلة ظاهرة على بيعة علي ﷺ، وفيها أن طلحة والزبير بايعوا عليًا، وإن كان الصحيح أنهما بايعاه مكرهين[٣]، لأجل أنهما لم يرضيا الطريقة التي بويع بها بالخلافة.

١- أخرجه الطبري في ((تاريخه)) (٤/ ٤٢٩) بإسناد ضعيف: لكونه من رواية يونس بن يزيد الأيلي عن الزهري، وهو كثير الخطأ عنه كما في ((تاريخ دمشق)) (٧٤/ ٣٠٧)، بالإضافة إلى الانقطاع الحاصل بين الزهري، وبين علي ﷺ، فهو لم يدرك تلك القصة فلم يشهدها.
٢- أخرجه الطبري في ((تاريخه)) (٤/ ٤٢٩) بإسناد تالف فيه أبو مخنف لوط بن يحيى، وهو متروك ليس بشيء. انظر ترجمته في: ((الجرح والتعديل)) (٧/ ١٨٢)، ((الكامل)) لابن عدي (٦/ ٢١١٠)، ((لسان الميزان)) (٤/ ٤٩٢)، وغيرها.
٣- انظر: ((المصنف)) لابن أبي شيبة: (١١/ ١٠٧)، (١٥/ ٢٦١).

وقال الإمام أحمد: «أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَضُوا بِهِ، وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَحْضُرُ وَعَلِيٌّ يُقِيمُ الْحُدُودَ فَلَمْ يُنْكِرْ ذَاكَ، وَكَانُوا يُسَمُّونَهُ خَلِيفَةً، وَيَخْطُبُ وَيَقْسِمُ الْغَنَائِمَ فَلَمْ يُنْكِرُوا ذَلِكَ» . قَالَ حَنْبَلٌ: قُلْتُ لَهُ: خِلَافَةُ عَلِيٍّ ثَابِتَةٌ؟ فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، يُقِيمُ عَلِيٌّ رَحِمَهُ اللَّهُ الْحُدُودَ، وَيَقْطَعُ، وَيَأْخُذُ الصَّدَقَةَ، وَيَقْسِمُهَا بِلَا حَقٍّ وَجَبَ لَهُ؟ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْمَقَالَةِ، نَعَمْ خَلِيفَةٌ رَضِيَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَلَّوْا خَلْفَهُ، وَغَزَوْا مَعَهُ، وَجَاهَدُوا، وَحَجُّوا، وَكَانُوا يُسَمُّونَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَاضِينَ بِذَلِكَ غَيْرَ مُنْكِرِينَ، فَنَحْنُ تَبَعٌ لَهُمْ، وَنَحْنُ نَرْجُوا مِنَ اللَّهِ الثَّوَابَ بِاتِّبَاعِنَا لَهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، مَعَ مَا أَمَرَنَا اللَّهُ بِهِ وَالرَّسُولُ ﷺ» . قَالَ حَنْبَلٌ: قَالَ عَمِّي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: «نُقَدِّمُ مَنْ قَدَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، أَبُو بَكْرٍ، قَدَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَصَلَّى بِالنَّاسِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَيٌّ، فَاخْتِيَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَهُ فَضْلٌ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ فَضْلًا لِعُمَرَ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ اجْتَمَعَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَشُورَةِ وَهُمُ الشُّورَى فَوَقَعَتْ خِيَرَتُهُمْ عَلَى خَيْرِ مَنْ بَقِيَ بَعْدَ عُمَرَ عُثْمَانَ، فَهَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةُ، وَعَلِيٌّ رَحِمَهُ اللَّهُ إِمَامُ عَدْلٍ بَعْدَ هَؤُلَاءِ، إِمَامَتُهُ ثَابِتَةٌ، وَأَحْكَامُهُ نَافِذَةٌ، وَأَمْرُهُ جَائِزٌ، كَانَ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَا بَعْدَ عُثْمَانَ، فَهَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةُ أَئِمَّةُ الْهُدَى، رَحِمَهُمُ اللَّهُ»[١] .

وقال شيخ الإسلام: الْمَنْصُوصَ عَنْ أَحْمَد تَبْدِيعُ مَنْ تَوَقَّفَ فِي خِلَافَةِ عَلِيٍّ وَقَالَ: هُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ وَأَمَرَ بِهِجْرَانِهِ وَنَهَى عَنْ مُنَاكَحَتِهِ.

١- ((السنة للخلال)) (٢/ ٤١٣).

وَلَمْ يَتَرَدَّدْ أَحْمَد وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ فِي أَنَّهُ لَيْسَ غَيْرُ عَلِيٍّ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْهُ، وَلَا شَكُّوا فِي ذَلِكَ. فَتَصْوِيبُ أَحَدِهِمَا لَا بِعَيْنِهِ تَجْوِيزٌ لِأَنْ يَكُونَ غَيْرُ عَلِيٍّ أَوْلَى مِنْهُ بِالْحَقِّ، وَهَذَا لَا يَقُولُهُ إِلَّا مُبْتَدِعٌ ضَالٌّ فِيهِ نَوْعٌ مِنَ النَّصْبِ وَإِنْ كَانَ مُتَأَوِّلًا[1].

وقال: وعلي بايعه كثير من المسلمين وأكثرهم بالمدينة على أنه أمير المؤمنين، ولم يبايع طلحة والزبير أحد على ذلك، ولا طلب أحد منهما ذلك ولا دعا إلى نفسه؛ فإنهما رضي الله عنهما كانا أفضل وأجل قدراً من أن يفعلا مثل ذلك.

وكذلك معاوية لم يبايعه أحد لما مات عثمان على الإمامة، ولا حين كان يقاتل علياً بايعه أحد على الإمامة، ولا تسمى بأمير المؤمنين، ولا سماه أحد بذلك، ولا ادعى معاوية ولاية قبل حكم الحكمين.

وعلي يسمى نفسه أمير المؤمنين في مدة خلافته والمسلمون معه ..[2].

وقال الإمام الباقلاني: فَإِن قَالَ قَائِل: مَا الدَّلِيل على إِثْبَات إِمَامَة عَليّ، وَأَنه أهل لما قَامَ بِهِ وَأَسْندَ إِلَيْهِ، ومستحق لإمامة الْأمة ؟!

قيل لَهُ: الدَّلِيل على ذَلِك كَمَال خلال الْفضل فِيهِ، واجتماعها لَهُ لِأَنَّهُ من السَّابِقين الْأَوَّلين، وَمِمَّنْ كثر بلاؤه وجهاده فِي سَبِيل الله، وَعظم غناؤه فِي الْإِسْلَام، وَعَن رَسُول الله ﷺ، مَعَ مَا لَهُ من الْقَرَابَة الْخَاصَّة، ..... هَذَا مَعَ مَا ظهر من إعظام كَافَّة الصَّحَابَة لَهُ، وإطباقهم على علمه وفضله وثاقب فهمه ورأيه وَفقه نَفسه ..

١- ((مجموع الفتاوى)) (٤/ ٤٣٨).

٢- ((منهاج السنة)) (٦/ ٣٣٠).

وَكَثْرَة مطابقتهم لَهُ فِي الْأَحْكَام وَسَمَاع قَوْله فِي الْحَلَال وَالْحرَام، ثمَّ مَا ظهر من فقهه وَعلمه فِي قتال أهل الْقبْلَة من استدعائهم ومناظرتهم وَترك مبادأتهم والنبذ إِلَيْهِم قبل نصب الْحَرْب مَعَهم وندائه .

هَذَا مَعَ مَا علم من شجاعته وغنائه وإحاطته علما بتدبير الجيوش وَإِقَامَة الْحُدُود والحروب وحماية الْبَيْضَة .

وببعض هَذِه الْخِصَال وَدون هَذِه الْفَضَائِل يصلح للخلافة، وَيسْتَحق الْإِمَامَة فَبَان بِمَا ذَكرْنَاهُ أَنه حقيق بِمَا نظر فِيهِ وتولاه[١].

موقف الولايات من بيعة علي[٢] :

1- موقف الكوفة :

أقر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والي الكوفة أبا موسى الأشعري على ولايته، وأخذ له البيعة من أهلها، ووافق أكثرهم، وتذمر بعضهم، ووقف آخرون بين بين[٣] .

2- موقف البصرة :

امتنع أغلبهم عن البيعة وانضموا إلى أم المؤمنين عائشة، وطلحة والزبير ﷺ عندما قدموا البصرة مطالبين بدم عثمان، ولكنهم بايعوه بعد انتصاره عليهم .

١- ((تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل)) للباقلاني (١/ ٥٤٣ - ٥٤٨)، بتصرف .

٢- ((خلافة علي بن أبي طالب)) د. عبد الحميد الفقيهي (١/ ١١٧).

٣- ((أنساب الأشراف)) (٢/ ٣٦ ب) نقلًا عن ((خلافة علي بن أبي طالب)).

3- موقف مصر :

أقر علي بن أبي طالب محمد بن أبي حذيفة على ولاية مصر، ولم تكن مصر كلها قد بايعت عليًا ولا أقرت بخلافته، إذ بقي فيها من كان يطالب بدم عثمان، حتى ولي عليهم قيس بن سعد بن عبادة سنة ٣٧ هـ، وأخذ البيعة منهم[١] .

4- موقف اليمن :

أرسل علي عبيد الله بن العباس واليًا على اليمن، لكنه لم يتمكن من أخذ البيعة منهم جميعًا، إذ بقي منهم من لم يبايع[٢] .

5- موقف الشام :

أراد علي أن يعزل معاوية عن ولاية الشام، ويعطيها لعبد الله بن عمر، لكن ابن عمر أبى عليه، وخرج إلى الشام، عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: «لَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ جَاءَ عَلِيٌّ إِلَى ابْنِ عُمَرَ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّكَ مَحْبُوبٌ فِي النَّاسِ فَسِرْ إِلَى الشَّامِ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: بِقَرَابَتِي، وَصُحْبَتِي النَّبِيَّ ﷺ، وَالرَّحِمِ الَّتِي بَيْنَنَا فَلَمْ يُعَاوِدْهُ»[٣].

وأما أهل الشام، فإنهم لما بُعث عليهم سهل بن حنيف من قبل علي

١- انظر: ((مصنف عبد الرزاق)) (١/ ٩٤-٩٥)، و((الطبقات الكبرى)) لابن سعد (٧/ ٥٠٤)، و((المعرفة والتاريخ)) (١/ ٢٥٤)، و((ولاة مصر)) للكندي (ص: ٢١-٢٢).

٢- انظر: ((مصنف عبد الرزاق)) (١١/ ٤٧٧)، و((الطبقات الكبرى)) (٣/ ٨٠)، و((التاريخ الكبير)) (٢/ ١٧٦).

٣- إسناده ضعيف: أخرجه الطبراني في ((المعجم الكبير)) (١٢/ ٢٦١).

ولقته خيل معاوية، قالوا له: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَمِيرٌ، قَالُوا: عَلَى أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: عَلَى الشَّامِ، قَالُوا: إِنْ كَانَ عُثْمَانُ بَعَثَكَ فَحَيَّهَلا بِكَ، وَإِنْ كَانَ بعثك غيره فارجع![1].

وكانت بلاد الشام تغلي غضبًا وتحرقًا على مقتل عثمان ظلمًا وعدوانًا، وقد جمع معاوية الناس، وخطبهم، واستثارهم فثاروا.

6- موقف مكة المكرمة :

موقف مكة كموقف الشام، فقد رفض الأغلبية بيعة علي ﷺ، وتوقف أكثر أهل مكة في البيعة[2].

بل قال ابن حزم: وَأما بيعَة عَليّ فَإِن جُمْهُور الصَّحَابَة تَأَخَّرُوا عَنْهَا، إِمَّا عَلَيْهِ، وَإِمَّا لَا لَهُ وَلَا عَلَيْهِ، وَمَا تَابعه فيهم إِلَّا الْأَقَل سوى أَزِيد من مائَة ألف مُسلم بِالشَّام وَالْعراق ومصر والحجاز كلهم امْتنع من بيعَته[3].

أعمال علي بعد الخلافة :

تمت البيعة بعد خمسة أيام من مقتل عثمان، والواقع أن المفارقة المأساوية في حياة علي العامة هي أنه كان المرشح الأبرز، لكنه كان مع ذلك الخليفة

١- إسناده ضعيف جدًّا: أخرجه الطبري في ((تاريخه)) (٤/ ٤٤٢-٤٤٤).
٢- ((أنساب الأشراف)) (٢/ ٣٦) نقلًا عن ((خلافة علي بن أبي طالب)).
٣- ((الفصل في الملل)) (٤/ ١٢٠).

الأكثر إنكارًا، والأشد محاربة.

حاول علي أن يحيى من جديد نهج عمر، على الرغم من تغير الظروف الموضوعية واختلافها كثيرًا؛ لأنه كان يرى أنه الشكل التنظيمي السليم لأوضاع الأمة، وتطورها، وأمورها المصلحية، بالإضافة إلى القيم والمبادئ الدينية، والمعروف أن الرجلين كان يحملان الرؤية نفسها للعلاقة بين الإسلام كدين، وبين تنظيم معاملات الناس بموجب تعاليمه، وأدرك أن مهمته الأولى هي تنقية، وتصفية أجواء العلاقة بين الإدارة المركزية في المدينة، وبين الأمصار. ولتحقيق ذلك، كان عليه القيام بإزالة جميع الإحداثات التي أتى بها عثمان، والتي أدت إلى نهايته، وكان تنفيذها مقرونًا بتغييرات جذرية في أجهزة الحكم، وسياسة الدولة الإدارية والاقتصادية، وتشير الكثير من روايات المصادر إلى تحفظات علي على الكثير من إجراءات عثمان السياسية، والاقتصادية الجديدة؛ لأنه كان يرى فيها ابتعادًا عن نهج النبي وخليفتيه.

كان التغيير الأكثر إلحاحًا من وجهة نظر علي، هو إعادة النظر في الجهاز الإداري المسئول مباشرة، بوصفه الأداة التنفيذية للخلافة، وذلك من واقع تغيير العمال والموظفين، غير أن التصدي لرواسب النظام السابق كان يعني المواجهة مع قوى نافذة بلغت مبلغًا كبيرًا من القوة، بالإضافة إلى الاصطدام مع عدد من كبار الصحابة الذين وقفوا موقفًا سلبيًا،

لذلك كان من الضروري أن يسبق هذا القرار بالتغيير اتخذا خطوات تمهد لتنفيذه من أجل تجنب إثارة المعترضين، وهذا ما أشار به عبد الله بن عباس، وهو الإبقاء على عمال عثمان، وبخاصة معاوية، ونصحه المغيرة بن شعبة بالتريث في هذا الأمر حتى تهدأ الأوضاع وتستقر، وتتوطد له أسباب الحكم، ثم ينظر ما يكون.

والراجح أن عليًا أدرك ذلك، إلا أن موقف الثائرين في المدينة، والجو العام في الأمصار المشحون بالنقمة؛ كان ضاغطًا، بالإضافة إلى ذلك فإن مبدأ التغيير كان يعني الشمولية وعدم التجزئة، كما كان شديدًا في الحق لا يستطيع أن "يراهن في دينه"، ولم يكن بوسعة أن يلجأ إلى مهادنة ولاة عثمان، والمعروف أن خلع عمال عثمان كان أحد مطالب الثائرين، والمعارضين من القبائل في الكوفة، والبصرة ومصر، لهذا كانه إبعاد عمال عثمان عن الوظائف العامة مسألة مبدئية تصعب المساومة عليها، فالقضية لم تكن أساسًا قضية أشخاص، بل قضية مبدأ ونهج وتصور.

ومن خلال هذه الرؤية السياسية التي جاءت متسرعة، وهذا الموقف المتصلب، صدر الأمر بعزل ولاة عثمان، واستبدالهم بفئة جديدة غير متورطة في السياسة، وليست لأسمائها شهرة كبيرة خارج المدينة، فبعث قثم بن العباس واليًا على مكة، وعثمان بن حنيف واليًا على البصرة، وعمارة بن شهاب واليًا على الكوفة، وعبيد الله بن العباس واليًا على اليمن، وقيسًا

بن سعد واليًا على مصر، وسهلًا بن حنيف واليًا على الشام.

إن نظرة متأنية إلى أسماء هؤلاء الولاة، تطلعنا أنهم بأكثريتهم ينتمون إلى مجموعة الصحابة التي اتصفت بدرجة عالية من الزهد والتقشف، ولم ترتكز على جاه، أو شرف أو نسب أو مال؛ بمعنى أنهم ينتمون إلى الشريحة الاجتماعية المغايرة للشريحة "الأرستقراطية" الغنية.

والتف حول علي كبار أعلام بني طالب وبني هاشم، مثل عبد الله بن عباس ومحمد بن جعفر، ومحمد بن الحنفية، بالإضافة إلى شخصيات صحابية كبرى مثل محمد بن أبي بكر، وسليمان بن صرد الخزاعي، وأبي قتادة بن ربعي وأبي أيوب الأنصاري، وعمار بن ياسر وغيرهم.

وقد أدى ذلك إلى ظهور المعارضة السياسية، كما فعل معاوية رضي الله عنه[1].

المبحث الثاني : معركة الجمل

منذ مقتل عثمان وبدأت الفتن تلوح في الأفق، وتلقي بظلالها على من عاصرها، ويرجع أصل النزاعات والحروب التي قامت في هذا الوقت إلى الخلاف الواقع حول مسألة الثَّأر لدم عثمان، والانتصار من قاتليه، فهذه المسألة وإن كان متَّفقا عليها بين الجميع، إلا أن الخلاف وقع بينهم في: متى تكون ؟!!

---

١ - ((تاريخ الخلفاء)) طقوش (ص: ٤٣٢ - ٤٣٥).

ففريق يرى أن هذا الأمر مُقدَّم على غيره، وهذا الفريق انقسم لقسمين:

القسم الأول: بايع عليًا واعترف له بالخلافة، لكنه كان يرى أن أول واجب على عليّ: أن يثأر من القتلة قبل أي شيء، وأن يُعجِّل بالقصاص منهم. وهذا القسم يُمثِّله الزبير بن العوام، وطلحة بن عبيدالله، ومن معهما. وهذا القسم هو من حاربه عليٌّ في يوم الجمل.

القسم الثاني: امتنع عن مبايعة علي حتى يتم الثأر لدم عثمان، وهذا القسم يُمثِّله معاوية بن أبي سفيان ومن معه من أهل الشام. وهذا القسم هو من حاربه عليٌّ في يوم صِفِّين.

وأما الفريق الآخر: فيرى أن الثأر لدم عثمان حق وواجب، ولكن الأمر في الدولة الإسلامية في هذا الوقت غير مستقر، والمطالبة بالثأر الآن ليست في قدرة الخليفة ولا في استطاعته، فقتلة عثمان منتشرون ومتغلغلون داخل الجيش، فالتأنِّي الآن والتريُّث هو الأسلم للمسلمين. وهذا الفريق يُمثِّله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب [1].

يقول ابن حزم في معرض دفاعه عن موقف عليٍّ ومن معه: «أما قولهم: إن أخذ القَوَد واجب من قتلة عثمان، المحاربين لله تعالى ولرسوله ﷺ،

١- وهناك فريق ثالث اشتبه عليه الأمر، ولم يستطع الترجيح، فاعتزل الفتنة كلها، ومن هؤلاء: سعد بن أبي وقاص، وعبدالله بن عمر، وسعيد بن زيد، ﷺ جميعا.
انظر أسماء هؤلاء المعتزلين في: ((أسمى المطالب)) للصلابي (ص: ٥٢٣- ٥٣٣).

الساعين في الأرض بالفساد، والهاتكين حرمة الإسلام والحرم والأمانة والهجرة والخلافة والصحبة والسابقة؛ فنَعَم، وما خالفهم قط عليٌّ في ذلك، ولا في البراءة منهم، ولكنهم كانوا عددا ضخما جمًّا، لا طاقة له عليهم، فقد سقط عن عليٍّ مالا يستطيع عليه، كما سقط عنه وعن كل مسلم ما عجز عنه من قيام بالصلاة والصوم والحج، ولا فرق، قال الله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾، وقال رسول الله ﷺ: «إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم» ولو أن معاوية بايع عليا لقَوِيَ به على أخذ الحق من قتلة عثمان، فصحَّ أن الاختلاف هو الذي أضعف يد علي عن إنفاذ الحق عليهم، ..... » إلى آخر كلامه هناك [1].

وبهذا التلخيص يتبين لنا أن كلا من هؤلاء الصحابة الأفاضل قد اجتهد، وهم جميعا أهل لهذا الاجتهاد، فيكون للمصيب منهم أجران، وللمخطئ أجر، ولا حرج عليهم إن شاء الله تعالى.

ونعود الآن إلى القسم الأول من الفريق الأول، الذي بايع عليا، لكنه طلب بتعجيل القصاص من قتلة عثمان، فهم يرون الآن أن الأشهر تمر، وعليٌّ لم يفعل شيئا بعد في شأن هؤلاء القتلة. عندها بدأوا يفكرون في حلول بديلة.

خرج طلحة والزبير أَوَّلاً إلى مكة، فالتقيا هناك بأم المؤمنين عائشة،

١- ((الفصل في الملل والأهواء والنحل)) (٤/ ١٢٦).

واتفقوا جميعا على ضرورة التعجيل بالثأر لدم عثمان، وساعدهم على التحرك لهذا الغرض: أنْ تواجد في مكة في هذا الوقت عبدالله بن عامر، وكان أمير البصرة في عهد عثمان، وكذلك تواجد يعلى بن أمية، الذي كان قد خرج من اليمن لإعانة الخليفة، وكِلا الرجلين يحثّ على الخروج، ويعرض المعونة المادية.

واتفقوا بعد تشاور بينهم على أن يبدأوا الحركة من البصرة، ثم يتوجهوا إلى الكوفة، ويستعينوا بأهلها على قتلة عثمان منهم أو من غيرهم، ثم يدعون أهل الأمصار الأخرى لذلك، حتى يُضيقوا الخناق على قاتلي عثمان الموجودين في جيش عليّ، فيأخذونهم بأقل قدر ممكن من الضحايا[١].

وكانت مطالبهم في ذلك الخروج واضحة، وهي: الثأر لدم عثمان، والإصلاح، وإعلام الناس بما فعل الغوغاء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن هذا المطلب هو لإقامة حد من حدود الله، وأنه إذا لم يؤخذ على أيدي قتلة عثمان فسيكون كل إمام معرضًا للقتل من أمثال هؤلاء[٢].

عن الزهري، قال: ثُمَّ ظهرا - يعني طَلْحَة وَالزُّبَيْر- إِلَى مكة بعد قتل

١- ((تاريخ الطبري)) (٤/ ٤٤٩- ٤٥٠)، ((البداية والنهاية)) (١٠/ ٤٣٢).

٢- ((أسمى المطالب)) (ص: ٥٤٢).

عُثْمَان ﷺ بأربعة أشهر وابن عَامِر بِهَا يجر الدُّنْيَا، وقدم يعلى بن أُمَيَّة مَعَهُ بمال كثير، وزيادة على أربعمائة بعير، فاجتمعوا فِي بيت عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عنها فأرادوا الرأي، فَقَالُوا: نسير إِلَى علي فنقاتله، فَقَالَ بعضهم: ليس لكم طاقة بأهل الْمَدِينَة، ولكنا نسير حَتَّى ندخل الْبَصْرَة والكوفة، ولطلحة بالكوفة شيعة وهوى، وللزبير بِالْبَصْرَةِ هوى ومعونة فاجتمع رأيهم عَلَى أن يسيروا إِلَى الْبَصْرَة وإلى الْكُوفَة، فأعطاهم عَبْد اللَّهِ بن عَامِر مالا كثيرا وإبلا، فخرجوا فِي سبعمائة رجل من أهل الْمَدِينَة ومكة، ولحقهم الناس حَتَّى كَانُوا ثلاثة آلاف رجل، فبلغ عَلِيًّا مسيرهم، فأمّر على المدينة سهل بن حنيف الأنصاري، وخرج فسار حتى نزل ذاقار، وَكَانَ مسيره إِلَيْهَا ثمان ليال، وَمَعَهُ جماعة من أهل الْمَدِينَة[1].

ومع هذا إلا أن هناك روايات تؤكد أن هؤلاء لم يكونوا على اطمئنان تام، وراحة كاملة لما يحدث، فعَنْ أَبِي عَمْرَةَ مَوْلَى الزُّبَيْرِ،أن الزبير قال: إِنَّ هَذِهِ لَهِيَ الْفَتْنَةُ الَّتِي كُنَّا نُحَدَّثُ عَنْهَا، فَقَالَ لَهُ مَوْلاهُ: أَتُسَمِّيهَا فِتْنَةً وَتُقَاتِلُ فِيهَا! قَالَ: وَيْحَكَ! إِنَّا نُبَصَّرُ وَلا نُبْصِرُ، مَا كَانَ أَمْرٌ قَطُّ إِلا عَلِمْتُ مَوْضِعَ قَدَمِي فِيهِ، غَيْرُ هَذَا الأَمْرِ فَإِنِّي لا أَدْرِي أَمُقْبِلٌ أَنَا فِيهِ أَمْ مُدْبِرٌ!.[2].

وأما طلحة فلم يختلف حاله كثيرًا، فعن علقمة بن وقاص الليثي،

١- إسناده ضعيف جدًّا: أخرجه الطبري في ((تاريخه)) (٤/ ٤٥٢).
٢- إسناده ضعيف: أخرجه الطبري في ((تاريخه)) (٤/ ٤٧٦).

قال: لما خرج طلحة والزبير وعائشة رضي الله عَنْهُمْ رَأَيْتُ طَلْحَةَ وَأَحَبُّ الْمَجَالِسِ إِلَيْهِ أَخْلاهَا، وَهُوَ ضَارِبٌ بِلِحْيَتِهِ عَلَى زَوْرِهِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، أَرَى أَحَبَّ الْمَجَالِسِ إِلَيْكَ أَخْلاهَا، وَأَنْتَ ضَارِبٌ بِلِحْيَتِكَ عَلَى زَوْرِكَ، إِنْ كَرِهْتَ شَيْئًا فَاجْلِسْ قَالَ: فَقَالَ لِي: يَا عَلْقَمَةُ بْنَ وَقَّاصٍ، بَيْنَا نَحْنُ يَدٌ وَاحِدَةٌ عَلَى مَنْ سِوَانَا، إِذْ صِرْنَا جَبَلَيْنِ مِنْ حَدِيدٍ يَطْلُبُ بَعْضُنَا بَعْضًا(١).

وأما أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِي اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّم لِنِسَائِهِ: لَيتَ شعري أَيَّتُكُنَّ صَاحِبَةُ الْجَمَلِ الْأَدْبَبِ، تخرج كِلابُ حَوْأَبٍ، فَيُقْتَلُ عَنْ يَمِينِهَا، وعَن يَسَارِهَا قَتْلًا كَثِيرًا، ثُمَّ تَنْجُو بَعْدَ مَا كَادَتْ(٢).

وقد نسيت عائشة رضي الله عنها تلك الأحاديث، لكنها سرعان ما تذكرتها، فعنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، أَنَّ عَائِشَةَ، قَالَتْ: لَمَّا أَتَتْ عَلَى الْحَوْأَبِ سَمِعَتْ نُبَاحَ الْكِلَابِ، فَقَالَتْ: مَا أَظُنُّنِي إِلَّا رَاجِعَةٌ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لَنَا: «أَيَّتُكُنَّ

١- إسناده صحيح: أخرجه الطبري في ((تاريخه)) (٤/ ٤٧٦)، والحاكم في ((المستدرك)) (قِصَّةُ اعْتِزَالِ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ الْأَنْصَارِيِّ عَنِ الْبَيْعَةِ) (٣/ ١٢٨).

٢- إسناده حسن: أخرجه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (كِتَابُ الْجَمَلِ) (فِي مَسِيرِ عَائِشَةَ وَعَلِيٍّ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ) (رقم: ٣٧٧٨٥)، والبزار في ((مسنده)) (رقم: ٤٧٧٧)، والطحاوي في ((شرح مشكل الآثار)) (بَابُ بَيَانِ مُشْكِلِ مَا رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ لنسائه: أَيَّتُكُنَّ صَاحِبَةُ الْجَمَلِ الْأَدْبَبِ، وَمِنْ قَوْلِهِ لِعَلِيٍّ: إِنَّهُ سَيَكُونُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَائِشَةَ شَيْءٌ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَأَبْلِغْهَا مَأْمَنَهَا) (رقم: ٥٦١١).

وقال ابن حجر في ((فتح الباري)) (١٣/ ٥٥): ((رَوَاهُ الْبَزَّارُ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ)).

تَنْبَحُ عَلَيْهَا كِلَابُ الْحَوْأَبِ؟»، فَقَالَ لَهَا الزُّبَيْرُ: تَرْجِعِينَ عَسَى الله ﷻ أَنْ يُصْلِحَ بِكِ بَيْنَ النَّاسِ[1].

ولقد كان الأمر من الشدة بحيث إن كثيرًا من الناس قد اختلط الأمر عليهم، فعَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَنَحْنُ نُرِيدُ الْحَجَّ، فَإِنَّا لَبِمَنَازِلِنَا نَضَعُ رِحَالَنَا إِذْ أَتَانَا آتٍ، فَقَالَ: إِنَّ النَّاسَ قَدْ فَزِعُوا وَاجْتَمَعُوا فِي الْمَسْجِدِ، فَانْطَلَقْتُ فَإِذَا النَّاسُ مُجْتَمِعُونَ فِي الْمَسْجِدِ، فَإِذَا عَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ وَطَلْحَةُ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: فَإِنَّا لَكَذَلِكَ إِذَا جَاءَنَا عُثْمَانُ، فَقِيلَ: هَذَا عُثْمَانُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ مُلَيَّةٌ لَهُ صَفْرَاءُ، قَدْ قَنَّعَ بِهَا رَأْسَهُ، قَالَ: هَاهُنَا عَلِيٌّ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: هَاهُنَا الزُّبَيْرُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: هَاهُنَا طَلْحَةُ؟ قَالُوا: نَعَمْ ; قَالَ هَاهُنَا سَعْدٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: أَنْشُدُكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ يَبْتَاعُ مِرْبَدَ بَنِي فُلَانٍ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ، فَابْتَعْتُهُ بِعِشْرِينَ أَلْفًا أَوْ بِخَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ أَلْفًا، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ لَهُ: ابْتَعْتُهُ، قَالَ: اجْعَلْهُ فِي مَسْجِدِنَا وَلَكَ أَجْرُهُ، فَقَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: فَقَالَ:

١- صحيح: أخرجه أحمد في ((مسنده)) (مُسْنَدُ الصِّدِّيقَةِ عَائِشَةَ بِنْتِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا) (٤١/ ١٩٧) (رقم: ٢٤٦٤٥)، وابن أبي شيبة في ((المصنف)) (كِتَابُ الْجَمَلِ) (فِي مَسِيرِ عَائِشَةَ وَعَلِيٍّ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ) (رقم: ٣٧٧٧١)، وابن راهويه في ((مسنده)) (رقم: ١٥٦٩)، وابن حبان في ((صحيحه)) (كِتَابُ التَّارِيخِ) (ذِكْرُ الْإِخْبَارِ عَنْ خُرُوجِ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْعِرَاقِ) (رقم: ٣٧٣٢).
وقال ابن كثير في ((البداية والنهاية)) (٩/ ١٨٧) على إسناد أحمد: ((هَذَا إِسْنَادٌ عَلَى شَرْطِ الصَّحِيحَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجُوهُ)).

أَنْشُدُكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنِ ابْتَاعَ بِئْرَ رُومَةَ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ، فَابْتَعْتُهَا بِكَذَا وَكَذَا، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: قَدِ ابْتَعْتُهَا، قَالَ: اجْعَلْهَا سِقَايَةً لِلْمُسْلِمِينَ وَأَجْرُهَا لَكَ، قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: أَنْشُدُكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَظَرَ فِي وُجُوهِ الْقَوْمِ فَقَالَ: مَنْ جَهَّزَ هَؤُلَاءِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ يَعْنِي جَيْشَ الْعُسْرَةِ، فَجَهَّزْتُهُمْ حَتَّى لَمْ يَفْقِدُوا خِطَامًا وَلَا عِقَالًا، قَالَ: قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ ثَلَاثًا، قَالَ الْأَحْنَفُ: فَانْطَلَقْتُ فَأَتَيْتُ طَلْحَةَ، وَالزُّبَيْرَ فَقُلْتُ: مَا تَأْمُرَانِي بِهِ وَمَنْ تَرْضَيَانِهِ لِي، فَإِنِّي لَا أَرَى هَذَا إِلَّا مَقْتُولًا، قَالَا: نَأْمُرُكَ بِعَلِيٍّ، قَالَ: قُلْتُ: تَأْمُرَانِي بِهِ وَتَرْضَيَانِهِ لِي؟ قَالَا: نَعَمْ، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقْتُ حَاجًّا حَتَّى قَدِمْتُ مَكَّةَ فَبَيْنَا نَحْنُ بِهَا إِذْ أَتَانَا قَتْلُ عُثْمَانَ وَبِهَا عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَقِيتُهَا فَقُلْتُ لَهَا: مَنْ تَأْمُرِينِي بِهِ أَنْ أُبَايِعَ؟ فَقَالَتْ: عَلِيًّا، فَقُلْتُ: أَتَأْمُرِينَنِي بِهِ وَتَرْضَيْنَهُ لِي؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَمَرَرْتُ عَلَى عَلِيٍّ بِالْمَدِينَةِ فَبَايَعْتُهُ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى الْبَصْرَةِ، وَلَا أَرَى إِلَّا أَنَّ الْأَمْرَ قَدِ اسْتَقَامَ ; قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ أَتَانِي آتٍ فَقَالَ: هَذِهِ عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ قَدْ نَزَلُوا جَانِبَ الْخُرَيْبَةِ، قَالَ: قُلْتُ: مَا جَاءَ بِهِمْ؟ قَالَ: أَرْسَلُوا إِلَيْكَ لِيَسْتَنْصِرُوكَ عَلَى دَمِ عُثْمَانَ، قُتِلَ مَظْلُومًا، قَالَ: فَأَتَانِي أَفْظَعُ أَمْرٍ أَتَانِي قَطُّ فَقُلْتُ: إِنَّ خِذْلَانِي هَؤُلَاءِ وَمَعَهُمْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ وَحَوَارِيُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَشَدِيدٌ، وَإِنَّ قِتَالِي ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ أَنْ أَمَرُونِي بِبَيْعَتِهِ لَشَدِيدٌ; فَلَمَّا أَتَيْتُهُمْ قَالُوا: جِئْنَا نَسْتَنْصِرُ عَلَى دَمِ عُثْمَانَ،

قُتِلَ مَظْلُومًا، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْشُدُكِ بِاللَّهِ، هَلْ قُلْتُ لَكِ: مَنْ تَأْمُرِينِي بِهِ؟ فَقُلْتِ: عَلِيًّا فَقُلْتُ: تَأْمُرِينِي بِهِ وَتَرْضَيْنَهُ لِي؟ فَقُلْتِ: نَعَمْ، قَالَتْ: نَعَمْ، وَلَكِنَّهُ بَدَّلَ، قُلْتُ: يَا زُبَيْرُ، يَا حَوَارِيَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَا طَلْحَةُ، نَشَدْتُكُمَا بِاللَّهِ، أَقُلْتُ لَكُمَا: مَنْ تَأْمُرَانِي بِهِ؟ فَقُلْتُمَا: عَلِيًّا، فَقُلْتُ: تَأْمُرَانِي بِهِ وَتَرْضَيَانِهِ لِي؟ فَقُلْتُمَا: نَعَمْ؟ قَالَا: بَلَى، وَلَكِنَّهُ بَدَّلَ، قَالَ: فَقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ لَا أُقَاتِلُكُمْ وَمَعَكُمْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ وَحَوَارِيُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَمَرْتُمُونِي بِبَيْعَتِهِ؛ اخْتَارُوا مِنِّي بَيْنَ إِحْدَى ثَلَاثِ خِصَالٍ: إِمَّا أَنْ تَفْتَحُوا لِي بَابَ الْجِسْرِ فَأَلْحَقَ بِأَرْضِ الْأَعَاجِمِ، حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ مِنْ أَمْرِهِ مَا قَضَى، أَوْ أَلْحَقَ بِمَكَّةَ فَأَكُونَ بِهَا حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ مِنْ أَمْرِهِ مَا قَضَى، أَوْ أَعْتَزِلَ فَأَكُونَ قَرِيبًا، قَالُوا: نَأْتَمِرُ، ثُمَّ نُرْسِلُ إِلَيْكَ، فَائْتَمَرُوا فَقَالُوا: نَفْتَحُ لَهُ بَابَ الْجِسْرِ فَيَلْحَقُ بِهِ الْمُنَافِقُ وَالْخَاذِلُ، وَيَلْحَقُ بِمَكَّةَ فَيَتَعَجَّسُكُمْ فِي قُرَيْشٍ وَيُخْبِرُهُمْ بِأَخْبَارِكُمْ، لَيْسَ ذَلِكَ بِأَمْرٍ، اجْعَلُوهُ هَاهُنَا قَرِيبًا حَيْثُ تَطَأُونَ عَلَى صِمَاخِهِ، وَتَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَاعْتَزَلَ بِالْجَلْحَاءِ مِنَ الْبَصْرَةِ عَلَى فَرْسَخَيْنِ، وَاعْتَزَلَ مَعَهُ زُهَاءُ سِتَّةِ آلَافٍ ..[1].

ومع ذلك فقد عصاه فئام من قومه، ودخلوا مع طلحة والزبير، وعائشة[2].

١- إسناده حسن: أخرجه ابن أبي شيبة في ((المصنف)) (كتاب الأمراء) (باب ما ذكر من حديث الأمراء والدّخول عليهم) (رقم: ٣١٢٧١)، و(كتاب الجمل) (باب في مسير عائشة وعليٍّ وطلحة والزّبير ﷺ) (رقم: ٣٨٩٥٣)، والطبري في ((تاريخه)) (٣/ ٣٥)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (كِتَابُ الْجِهَادِ) (فَضْلُ مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا) (رقم: ٤٣٧٦).

٢- ((الطبقات)) (٣/ ١١٠ - ١١١).

وقال الزهري: حَتَّى إِذَا قُتِلَ عُثْمَانُ رَحِمَهُ اللَّهُ بَايَعَ النَّاسُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَأَرْسَلَ إِلَى طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ: إِنْ شِئْتُمَا فَبَايِعَانِي، وَإِنْ شِئْتُمَا بَايَعْتُ أَحَدَكُمَا، قَالَا: بَلْ نُبَايِعُكَ، ثُمَّ هَرَبَا إِلَى مَكَّةَ، وَبِمَكَّةَ عَائِشَةُ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ بِهَا يَتَكَلَّمَانِ بِهِ، فَأَعَانَتْهُمَا عَلَى رَأْيِهِمَا، فَأَطَاعَهُمْ نَاسٌ كَثِيرٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فَخَرَجُوا قِبَلَ الْبَصْرَةِ يَطْلُبُونَ بِدَمِ ابْنِ عَفَّانَ، وَخَرَجَ مَعَهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَخَرَجَ مَعَهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَتَّابِ بْنِ أُسَيْدٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَمَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ فِي أُنَاسٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَلَّمُوا أَهْلَ الْبَصْرَةِ وَحَدَّثُوهَمْ أَنَّ عُثْمَانَ قُتِلَ مَظْلُومًا، وَأَنَّهُمْ جَاءُوا تَائِبِينَ مِمَّا كَانُوا غَلَوْا بِهِ فِي أَمَرِ عُثْمَانَ، فَأَطَاعَهُمْ عَامَّةُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ[1].

ولما وصلوا إلى البصرة، خرج إليهم عثمان بن حنيف، والي عليٍّ على البصرة، فقال لهم: «ماذا تريدون؟» قالوا: نريد قتلة عثمان. فقال لهم: «حتى يأتي عليٌّ»، ومنعهم من الدخول.

ثم خرج إليهم حُكيم بن جَبَلة، وهو أحد الذين شاركوا في قتل عثمان، فقاتلهم في سبعمئة رجل فانتصروا عليه، وقتلوا كثيرا ممن كان معه، وانضم كثير من أهل البصرة إلى جيش طلحة والزبير وعائشة[2].

١- ((مصنف عبد الرزاق)) (٥/ ٤٥٦).

٢- ((البداية والنهاية)) (١٠/ ٤٣٦- ٤٣٩).

والواقع أن المجتمع البصري كان منقسمًا آنذاك إلى قسمين :

الأول : التزم القتال مع علي، وساند الوالي عثمان بن حنيف، وعلى رأسه حكيم بن جبلة من بني عبد القيس.

الثاني : تعاطف مع المتحالفين، وانضم إلى صفوفهم[١].

خروج علي إلى العراق :

عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: جَاءَ عَلِيًّا الْخَبَرُ عَنْ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَأُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَمَّرَ عَلَى الْمَدِينَةِ تَمَّامَ بْنَ الْعَبَّاسِ، وَبَعَثَ إِلَى مَكَّةَ قُثَمَ بْنَ الْعَبَّاسِ، وَخَرَجَ وَهُوَ يَرْجُو أَنْ يَأْخُذَهُمْ بِالطَّرِيقِ، وَأَرَادَ أَنْ يَعْتَرِضَهُمْ، فَاسْتَبَانَ لَهُ بِالرَّبَذَةِ أَنْ قَدْ فَاتُوهُ، وَجَاءَهُ بِالْخَبَرِ عَطَاءُ بْنُ رِئَابٍ مَوْلَى الْحَارِثِ بْنِ حَزَنٍ[٢].

عن مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، قَالا: بلغ عَلِيًّا الخبر - وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ - باجتماعهم عَلَى الخروج إِلَى الْبَصْرَةِ وَبِالَّذِي اجتمع عَلَيْهِ ملؤهم، طَلْحَةُ وَالزُّبَيْر وعائشة ومن تبعهم، وبلغه قول عَائِشَةَ، وخرج علي يبادرهم فِي تعبيته الَّتِي كَانَ تعبى بِهَا إِلَى الشام، وخرج مَعَهُ من نشط من الكوفيين والبصريين متخففين فِي سبعمائة رجل، وهو يرجو أن يدركهم فيحول بينهم وبين الخروج، فلقيه عَبْد اللَّهِ بن سلام فأخذ بعنانه، وَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لا تخرج منها،

١- ((تاريخ الخلفاء)) طقوش (ص: ٤٤١).

٢- إسناده ضعيف جدًّا: أخرجه الطبري في ((تاريخه)) (٤/ ٤٥٥).

فو الله لَئِنْ خرجت منها لا ترجع إِلَيْهَا وَلا يعود إِلَيْهَا سلطان الْمُسْلِمِينَ أبدا فسبوه، فَقَالَ: دعوا الرجل، فنعم الرجل من أَصْحَاب مُحَمَّد، وسار حَتَّى انتهى إِلَى الرَّبْذَة فبلغه ممرهم، فأقام حين فاتوه يأتمر بالربذة[١].

وقد قعد بعض الصحابة، ولم يخرجوا مع علي، بل قال له أسامة بن زيد كما قال حَرْمَلَةَ، مَوْلَى أُسَامَةَ، قَالَ: أَرْسَلَنِي أُسَامَةُ إِلَى عَلِيٍّ وَقَالَ: إِنَّهُ سَيَسْأَلُكَ الآنَ فَيَقُولُ: مَا خَلَّفَ صَاحِبَكَ؟ فَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ: «لَوْ كُنْتَ فِي شِدْقِ الأَسَدِ لَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ فِيهِ، وَلَكِنَّ هَذَا أَمْرٌ لَمْ أَرَهُ» فَلَمْ يُعْطِنِي شَيْئًا فَذَهَبْتُ إِلَى حَسَنٍ وَحُسَيْنٍ وَابْنِ جَعْفَرٍ، فَأَوْقَرُوا لِي رَاحِلَتِي[٢].

وعَنْ عُدَيْسَةَ ابْنَةِ أُهْبَانَ بْنِ صَيْفِيٍّ، أَنَّهَا كَانَتْ مَعَ أَبِيهَا فِي مَنْزِلِهِ، فَمَرِضَ، فَأَفَاقَ مِنْ مَرَضِهِ ذَلِكَ، فَقَامَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِالْبَصْرَةِ، فَأَتَاهُ فِي مَنْزِلِهِ، حَتَّى قَامَ عَلَى بَابِ حُجْرَتِهِ، فَسَلَّمَ، وَرَدَّ عَلَيْهِ الشَّيْخُ السَّلَامَ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: كَيْفَ أَنْتَ يَا أَبَا مُسْلِمٍ؟ قَالَ: بِخَيْرٍ، فَقَالَ عَلِيٌّ: أَلَا تَخْرُجُ مَعِي إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ فَتُعِينَنِي؟ قَالَ: بَلَى إِنْ رَضِيتَ بِمَا أُعْطِيكَ، قَالَ عَلِيٌّ: وَمَا هُوَ؟ فَقَالَ الشَّيْخُ: يَا جَارِيَةُ هَاتِ سَيْفِي، فَأَخْرَجَتْ إِلَيْهِ غِمْدًا، فَوَضَعَتْهُ فِي حِجْرِهِ، فَاسْتَلَّ مِنْهُ طَائِفَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى عَلِيٍّ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّ خَلِيلِي عَلَيْهِ

١- إسناده ضعيف جدًا: أخرجه الطبري في ((تاريخه)) (٤/ ٤٥٥).

٢- حديث صحيح: أخرجه الإمام البخاري في ((صحيحه)) (كِتَابُ الفِتَنِ) (بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا لَسَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ») (رقم: ٧١١٠).

السَّلَامُ، وَابْنَ عَمِّكَ، «عَهِدَ إِلَيَّ إِذَا كَانَتْ فِتْنَةٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، أَنْ اتَّخِذْ سَيْفًا مِنْ خَشَبٍ»، فَهَذَا سَيْفِي، فَإِنْ شِئْتَ خَرَجْتُ بِهِ مَعَكَ، فَقَالَ عَلِيٌّ ﷺ: لَا حَاجَةَ لَنَا فِيكَ، وَلَا فِي سَيْفِكَ، فَرَجَعَ مِنْ بَابِ الْحُجْرَةِ، وَلَمْ يَدْخُلْ[١].

وممن اعتزل كذلك محمد بن مسلمة، قال ابن عبد البر: واعتزل الفتنة واتخذ سيفا من خشب، وجعله في جفن، وذكر أن رَسُول اللهِ ﷺ أمره بذلك، ولم يشهد الجمل ولا صفين، وأقام بالربذة[٢].

هذا، وقد كان السبب الذي منع هؤلاء وغيرهم، أنهم رأوا حربًا بين المسلمين، والتبس الأمر عليهم، فاحتاطوا لذلك بالاعتزال .

١- حسن بمجموع طرقه: أخرجه الإمام أحمد في ((المسند)) (حَدِيثُ أُهْبَانَ بْنِ صَيْفِيٍّ) (٣٤/ ٢٧٠، ٢٧١) (رقم: ٢٠٦٧٠)، والترمذي في ((جامعه)) (أَبْوَابُ الْفِتَنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) (بَابُ مَا جَاءَ فِي اتِّخَاذِ سَيْفٍ مِنْ خَشَبٍ فِي الفِتْنَةِ) (رقم: ٢٢٠٣) وقال: ((وَفِي البَابِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدٍ))، وابن ماجه في ((سننه)) (كِتَابُ الْفِتَنِ) (بَابُ التَّثَبُّتِ فِي الْفِتْنَةِ) (رقم: ٣٩٦٠)، والدولابي في ((الكنى والأسماء)) (١/ ٢٧٤)، والدينوري في ((المجالسة وجواهر العلم)) (رقم: ٢٤٠١)، والطبراني في ((المعجم الكبير)) (رقم: ٨٦٦)، وقال: ((قَالَ يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ: فَحَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ بِهَذَا الْحَدِيثِ، عَنْ هَذَا الشَّيْخِ قَبْلَ أَنْ أَلْقَاهُ))، و((المعجم الأوسط)) (رقم: ٨٤٥٧)، وقال: ((لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ إِلَّا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، تَفَرَّدَ بِهِ: مُحَمَّدُ بْنُ الْمِنْهَالِ)).

٢- ((الاستيعاب)) (٣/ ١٣٧٧)، ((البداية والنهاية)) (٨/ ٣٥٤).

معسكر علي بالربذة:

عسكر علي ﷺ بالربذة، ووفد عليه عدد بلغوا المائتين[١]، **وقد وردت عدة روايات في تأثر الحسن بما حصل، وعتابه لأبيه،** فعن طارق بن شهاب، قَالَ: خرجنا من الْكُوفَة معتمرين حين أتانا قتل عُثْمَان ﷺ، فلما انتهينا إِلَى الرَّبَذَة - وَذَلِكَ فِي وجه الصبح- إذا الرفاق وإذا بعضهم يحدو بعضا، فقلت: مَا هَذَا؟ فَقَالُوا: أَمِير الْمُؤْمِنِينَ، فقلت: ما له؟ قَالُوا: غلبه طَلْحَةُ وَالزُّبَيْر، فخرج يعترض لهما ليردهما، فبلغه أنهما قَدْ فاتاه، فهو يريد أن يخرج فِي آثارهما، فقلت: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ! آتي عَلِيًّا فأقاتل مَعَهُ هَذَيْنِ الرجلين وأم الْمُؤْمِنِينَ أو أخالفه! إن هَذَا لشديد.

فخرجت فأتيته، فأقيمت الصَّلاة بغلس، فتقدم فصلى، فلما انصرف أتاه ابنه الْحَسَن فجلس فَقَالَ: قَدْ أمرتك فعصيتني، فتقتل غدا بمضيعة لا ناصر لك، فَقَالَ علي: إنك لا تزال تخن خنين الجارية! وما الَّذِي أمرتني فعصيتك؟ قَالَ: أمرتك يوم أحيط بعثمان ﷺ أن تخرج مِنَ الْمَدِينَةِ فيقتل ولست بِهَا، ثُمَّ أمرتك يوم قتل أَلا تبايع حَتَّى يأتيك وفود أهل الأمصار والعرب وبيعة كل مصر، ثُمَّ أمرتك حين فعل هَذَانِ الرجلان مَا فعلا أن تجلس فِي بيتك حَتَّى يصطلحوا، فإن كَانَ الفساد كَانَ عَلَى يدي غيرك، فعصيتني فِي ذَلِكَ كله قَالَ: أي بني، أما قولك: لو خرجت مِنَ الْمَدِينَةِ حين

١- ((أنساب الأشراف)) (٢/ ٤٥)، نقلًا عن ((خلافة علي بن أبي طالب)) (١/ ١٦٤).

أحيط بعثمان، فو الله لقد أحيط بنا كما أحيط بِهِ وأما قولك: لا تبايع حَتَّى تأتي بيعة الأمصار، فإن الأمر أمر أهل الْمَدِينَةِ، وكرهنا أن يضيع هَذَا الأمر.

وأما قولك حين خرج طَلْحَةُ وَالزُّبَيْر، فإن ذَلِكَ كَانَ وهنا عَلَى أهل الإسلام، ووالله مَا زلت مقهورا مذ وليت، منقوصا لا أصل إِلَى شَيْء مما ينبغي وأما قولك: اجلس فِي بيتك، فكيف لي بِمَا قَدْ لزمني! أو من تريدني؟ أتريد أن أكون مثل الضبع الَّتِي يحاط بِهَا ويقال: دباب دباب! ليست هاهنا حَتَّى يحل عرقوباها ثُمَّ تخرج، وإذا لم أنظر فِيمَا لزمني من هَذَا الأمر ويعنيني فمن ينظر فِيهِ! فكف عنك أي بني[1].

وقَالَ الْعُرَنِيُّ صَاحِبُ الْجَمَلِ: بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ عَلَى جَمَلٍ إِذْ عَرَضَ لِي رَاكِبٌ فَقَالَ: يَا صَاحِبَ الْجَمَلِ، تَبِيعُ جَمَلَكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: بِكَمْ؟ قُلْتُ: بِأَلْفِ دِرْهَم، قَالَ: مَجْنُونٌ أَنْتَ! جَمَلٌ يُبَاعُ بِأَلْفِ دِرْهَم! قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، جَمَلِي هَذَا، قَالَ: وَمِمَّ ذَلِكَ؟ قُلْتُ: مَا طَلَبْتُ عَلَيْهِ أَحَدًا قَطُّ إِلا أَدْرَكْتُهُ، وَلا طَلَبَنِي وَأَنَا عَلَيْهِ أَحَدٌ إِلا فُتُّهُ قَالَ: لَوْ تَعْلَمُ لِمَنْ نُرِيدُهُ لأَحْسَنْتَ بَيْعَنَا، قَالَ: قُلْتُ: وَلِمَنْ تُرِيدُهُ؟ قَالَ: لأُمِّكَ، قُلْتُ: لَقَدْ تَرَكْتُ أُمِّي فِي بَيْتِهَا قَاعِدَةً مَا تُرِيدُ بَرَاحًا، قَالَ: إِنَّمَا أُرِيدُهُ لأُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ، قُلْتُ: فَهُوَ لَكَ، فَخُذْهُ بِغَيْرِ ثَمَنٍ، قَالَ: لا، وَلَكِنِ ارْجِعْ مَعَنَا إِلَى الرَّحْلِ فَلْنُعْطِكَ نَاقَةً مَهْرِيَّةً وَنَزِيدُكَ دَرَاهِمَ، قَالَ: فَرَجَعْتُ فأعطوني ناقه لها مهريه، وزادونى أربعمائة أو ستمائه

١- إسناده ضعيف جدًّا: أخرجه الطبري في ((تاريخه)) (٤/ ٤٥٥-٤٥٦).

دِرْهَم، فَقَالَ لِي: يَا أَخَا عُرَيْنَةَ، هَلْ لَكَ دَلالَةٌ بِالطَّرِيقِ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا مِنْ أَدْرَكِ النَّاسِ، قَالَ: فَسِرْ مَعَنَا، فَسِرْتُ مَعَهُمْ فَلا أَمُرُّ عَلَى وَادٍ وَلا مَاءٍ إِلا سَأَلُونِي عَنْهُ، حَتَّى طَرَقْنَا مَاءَ الحَوْأَبِ فَنَبَحَتْنَا كِلابُهَا، قَالُوا: أَيُّ مَاءٍ هَذَا؟ قُلْتُ: مَاءُ الْحَوْأَبِ، قَالَ: فَصَرَخَتْ عَائِشَةُ بِأَعْلَى صَوْتِهَا، ثُمَّ ضَرَبَتْ عَضُدَ بَعِيرِهَا فَأَنَاخَتْهُ، ثُمَّ قَالَتْ: أنا والله صاحبة كِلابِ الْحَوْأَبِ طَرُوقًا، رُدُّونِي! تَقُولُ ذَلِكَ ثَلاثًا فَأَنَاخَتْ وَأَنَاخُوا حَوْلَهَا وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَهِيَ تَأْبَى حَتَّى كَانَتِ السَّاعَةُ الَّتِي أَنَاخُوا فِيهَا مِنَ الْغَدِ قَالَ: فَجَاءَهَا ابْنُ الزُّبَيْرِ فَقَالَ: النَّجَاءَ النَّجَاءَ، فَقَدْ أَدْرَكَكُمْ وَاللَّهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ! قَالَ: فَارْتَحَلُوا وَشَتَمُونِي، فَانْصَرَفْتُ، فَمَا سِرْتُ إِلا قَلِيلا وَإِذَا أَنَا بِعَلِيٍّ وَرَكْبٍ معه نحو من ثلاثمائة، فقال لي علي: يا أيها الرَّاكِبُ! فَأَتَيْتُهُ فَقَالَ: أَيْنَ أَتَيْتَ الظَّعِينَةَ؟ قُلْتُ: فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا، وَهَذِهِ نَاقَتُهَا، وَبِعْتُهُمْ جَمَلِي، قَالَ: وَقَدْ رَكِبَتْهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، وَسِرْتُ مَعَهُمْ حَتَّى أَتَيْنَا مَاءَ الْحَوْأَبِ فَنَبَحَتْ عَلَيْهَا كَلابُهَا، فَقَالَتْ كَذَا وَكَذَا، فَلَمَّا رَأَيْتُ اخْتِلاطَ أَمْرِهِمْ انْفَتَلْتُ وَارْتَحَلُوا، فَقَالَ عَلِيٌّ: هَلْ لَكَ دِلالَةٌ بِذِي قَارٍ؟ قُلْتُ: لَعَلِيٍّ أَدُلُّ النَّاسَ، قَالَ: فَسِرْ مَعَنَا، فَسِرْنَا حَتَّى نَزَلْنَا ذَا قَارٍ، فَأَمَرَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِجوَالِقَيْنِ فَضَمَّ أَحَدَهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ، ثُمَّ جِيءَ بِرَحْلٍ فَوُضِعَ عَلَيْهِمَا، ثُمَّ جَاءَ يَمْشِي حَتَّى صَعِدَ عَلَيْهِ، وَسَدَلَ رِجْلَيْهِ مِنْ جَانِبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ حمد الله وأثنى عليه، وصلى على محمد ﷺ، ثُمَّ قَالَ: قَدْ رَأَيْتُمْ مَا صَنَعَ هَؤُلاءِ الْقَوْمُ وَهَذِهِ الْمَرْأَةُ

فَقَامَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ فَبَكَى، فقال له على: قد جئت تحن خنين الْجَارِيَةِ! فَقَالَ: أَجَلْ، أَمَرْتُكَ فَعَصَيْتَنِي، فَأَنْتَ الْيَوْمُ تُقْتَلُ بِمَضْيَعَةٍ لا نَاصِرَ لَكَ، قَالَ: حَدِّثِ الْقَوْمَ بِمَا أَمَرْتَنِي بِهِ، قَالَ: أَمَرْتُكَ حِينَ سار الناس إلى عثمان أَلا تَبْسُطَ يَدَكَ بِبَيْعَةٍ حَتَّى تَجُولَ جَائِلَةُ الْعَرَبِ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَقْطَعُوا أَمْرًا دُونَكَ، فَأَبَيْتَ عَلَيَّ، وَأَمَرْتُكَ حِينَ سَارَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ وَصَنَعَ هَؤُلاءِ الْقَوْمُ مَا صَنَعُوا أَنْ تَلْزَمَ الْمَدِينَةَ وَتُرْسِلَ إِلَى مَنِ اسْتَجَابَ لَكَ مِنْ شِيعَتِكَ، قَالَ عَلِيٌّ: صَدَقَ وَاللَّهِ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ يَا بُنَيَّ مَا كُنْتُ لأَكُونَ كَالضَّبُعِ تَسْتَمِعُ لِلدَّمِ، إن النبي ﷺ قُبِضَ وَمَا أَرَى أَحَدًا أَحَقَّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنِّي، فَبَايَعَ النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ، فَبَايَعْتُ كَمَا بَايَعُوا، ثُمَّ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ ﷺ هَلَكَ وَمَا أَرَى أَحَدًا أَحَقَّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنِّي، فَبَايَعَ النَّاسُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، فَبَايَعْتُ كَمَا بَايَعُوا، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ ﷺ هَلَكَ وَمَا أَرَى أَحَدًا أَحَقَّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنِّي، فَجَعَلَنِي سَهْمًا مِنْ سِتَّةِ أَسْهُمٍ، فَبَايَعَ النَّاسُ عُثْمَانَ فَبَايَعْتُ كَمَا بَايَعُوا، ثُمَّ سَارَ النَّاسُ إِلَى عُثْمَانَ ﷺ فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ أَتَوْنِي فَبَايَعُونِي طَائِعِينَ غَيْرُ مُكْرَهِينَ، فَأَنَا مُقَاتِلُ مَنْ خَالَفَنِي بِمَنِ اتَّبَعَنِي حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ[1].

وروى البيهقي أن عليًا ﷺ سئل فقيل له: فَأَخْبِرْنَا، عَنْ قِتَالِكَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ - يَعْنِيَانِ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ - صَاحِبَاكَ فِي الْهِجْرَةِ وَصَاحِبَاكَ فِي بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ وَصَاحِبَاكَ فِي الْمَشُورَةِ، قَالَ: بَايَعَانِي بِالْمَدِينَةِ وَخَالَفَانِي بِالْبَصْرَةِ

١- إسناده ضعيف: أخرجه الطبري في ((تاريخه)) (٤/ ٤٥٦-٤٥٨).

وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا مِمَّنْ بَايَعَ أَبَا بَكْرٍ خَلَعَهُ لَقَاتَلْنَاهُ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا مِمَّنْ بَايَعَ عُمَرَ خَلَعَهُ لَقَاتَلْنَاهُ(١).

وهذا يوضح أن عليًا ﷺ مضى فيما اختاره من وأد الفتنة، وحل هذه المشكلة.

وبعد ذلك أرسل علي ﷺ من الربذة يستنفر أهل الكوفة، ولكن أبا موسى الأشعري حذرهم قائلًا: يا أيها النَّاسُ، أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِينَ صَحِبُوهُ فِي الْمَوَاطِنِ أَعْلَمُ بِاللَّهِ جل وعز وبرسوله ﷺ مِمَّنْ لَمْ يَصْحَبْهُ، وَإِنَّ لَكُمْ عَلَيْنَا حَقًّا فَأَنَا مُؤَدِّيهِ إِلَيْكُمْ.

كَانَ الرَّأْيُ أَلا تَسْتَخِفُّوا بِسُلْطَانِ اللَّهِ ﷻ، وَلا تَجْتَرِئُوا عَلَى اللَّهِ ﷻ، وَكَانَ الرَّأْيُ الثَّانِي أَنْ تَأْخُذُوا مَنْ قَدِمَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ فَتَرُدُّوهُمْ إِلَيْهَا حَتَّى يَجْتَمِعُوا، وَهُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ تَصْلُحُ لَهُ الإِمَامَةُ مِنْكُمْ، وَلا تُكَلَّفُوا الدُّخُولَ فِي هذا، فأما إذ كَانَ مَا كَانَ فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ صَمَّاءُ، النَّائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْيَقْظَانِ، وَالْيَقْظَانُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَاعِدِ، وَالْقَاعِدُ خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ الرَّاكِبِ، فَكُونُوا جُرْثُومَةً مِنْ جَرَاثِيمِ الْعَرَبِ، فَاغْمِدُوا السُّيُوفَ، وَانْصِلُوا الأَسِنَّةَ، وَاقْطَعُوا الأَوْتَارَ، وَآوُوا الْمَظْلُومَ وَالْمُضْطَهَدَ حَتَّى يَلْتَئِمَ هَذَا الأَمْرُ، وَتَنْجَلِي هَذِهِ الْفِتْنَةُ(٢).

١- إسناده ضعيف: أخرجه البيهقي في ((الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد)) (١/ ٣٧١)، وانظر: ((تاريخ الإسلام)) (٣/ ٦٤٢)، ((فتح الباري)) (١٣/ ٥٥).

٢- إسناده ضعيف جدًا: أخرجه الطبري في ((تاريخه)) (٤/ ٤٨٢). =

وعسكر علي بعد ذلك في ذي قار، وهو في تسعمائة رجل تقريبًا[١]، ثم عزل علي أبا موسى الأشعري، وعين قرظة بن كعب[٢]، واستنفر أهل الكوفة .

وكان الذي استنفر أهل الكوفة عن علي هو عمار، فعن أَبِي مَرْيَمَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ الأَسَدِيُّ، قَالَ: لَمَّا سَارَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَعَائِشَةُ إِلَى البَصْرَةِ، بَعَثَ عَلِيٌّ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ وَحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، فَقَدِمَا عَلَيْنَا الكُوفَةَ، فَصَعِدَا المِنْبَرَ، فَكَانَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَوْقَ المِنْبَرِ فِي أَعْلاَهُ، وَقَامَ عَمَّارٌ أَسْفَلَ مِنَ الحَسَنِ، فَاجْتَمَعْنَا إِلَيْهِ، فَسَمِعْتُ عَمَّارًا، يَقُولُ: «إِنَّ عَائِشَةَ قَدْ سَارَتْ إِلَى البَصْرَةِ، وَوَاللَّهِ إِنَّهَا لَزَوْجَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ابْتَلاَكُمْ، لِيَعْلَمَ إِيَّاهُ تُطِيعُونَ أَمْ هِيَ»[٣].

وفي هذا الحدث شهادة لعائشة ﵂، مع ما بينهما من الحرب .

وقد لبى كثير من أهل الكوفة وخرجوا مع عمار والحسن، فإنه لما

= والحديث أخرجه أحمد في ((مسنده)) (رقم: ١٩٧٣٠) عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: ((إِنَّ بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ. يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا. الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي. فَاكْسِرُوا قِسِيَّكُمْ، وَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ، وَاضْرِبُوا بِسُيُوفِكُمُ الْحِجَارَةَ، فَإِنْ دُخِلَ عَلَى أَحَدِكُمْ بَيْتَهُ، فَلْيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَمَ))، وهو صحيح.

١- ((خلافة علي)) (١/ ١٦٦).

٢- ((فتح الباري)) (١٣/ ٥٣).

٣- حديث صحيح: أخرجه الإمام البخاري في ((صحيحه)) (كِتَابُ الفِتَنِ) (بَابُ الفِتْنَةِ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ البَحْرِ) (رقم: ٧١٠٠).

قدم الْحسن بْن عَلِيّ وعمار فاستنفرا النَّاس فَخرج مَا بَين السِّتَّة آلَاف إِلَى السَّبْعَة، حَتَّى قدمُوا عَلَى عَلِيّ بِذِي قار، فَسَار بهم وَمَعَهُ زهاء عشرَة آلَاف حَتَّى أَتَى الْبَصْرَة، عَن سعيد بْن جُبَير قَالَ: كَانَ مَعَ عَلِيّ يَوْم الْجمل ثَمَان مائَة من الْأَنْصَار، وَأَرْبع مائَة مِمَّن شهد بيعَة الرضْوَان[١].

وفي بعض التقديرات أن عدد الجيش، اثنا عشر ألفًا، فعنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ: يَأْتِيكُمْ مِنَ الْكُوفَةِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفِ رَجُلٍ وَرَجُلٌ، فَقَعَدْتُ عَلَى نَجَفَةِ ذِي قَارٍ، فَأَحْصَيْتُهُمْ فَمَا زَادُوا رَجُلا، وَلا نَقَصُوا رَجُلا[٢].

محاولات الصلح:

لقد بذل الطرفان جهودًا حثيثة لتجنب الصدام، مع أنهما كانا قد استعدا لمواجهة عسكرية محتملة، والواقع أن جهود السلم والحرب سارت بخطين متوازيين، مع أن أيا من الطرفين لم يتحدث عن الحرب، بل عن الإصلاح على الرغم من اختلاف وجهات النظر بشأن الأسلوب الذي يؤدي إلى ذلك، فمن وجهة نظر علي، يقتصر الإصلاح، على إعادة الأمور إلى نصابها، وإعادة بناء وحدة المسلمين، والتوقف عن تلك المطاردة، والاعتراف بشرعية خلافته، وقد لا يتردد عن ضرب خصومه إذا اعتقد أنهم على ضلالة، في حين كان الإصلاح في نظر عائشة، وحليفيها يمر من خلال تنفيذ العقاب بقتلة عثمان إحياء لشرع الله، ويبدو أنه لم يكن من الوارد أن توافق عائشة على بيعة علي، ولا أن يوافق علي على تسليم

١- إسناده صحيح: أخرجه خليفة بن خياط في ((تاريخه)) (تَفْصِيل خبر معركة الْجمل) (ص: ١٨٤).
٢- إسناده ضعيف جدًّا: أخرجه الطبري في ((تاريخه)) (٤/ ٥٠٠).

القتلة الموجودين في جيشه، وهكذا فإن الطريقة التي طرحت فيها قضية الخلاف كانت عائقًا دون الوصول إلى سلام بين الجانبين، ومع ذلك فقد جرت مفاوضات بينهما[١].

ولما تحرك علي بجيشه نحو البصرة، هم الأحنف بن قيس أن ينصره، فعَنِ الأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: ذَهَبْتُ لِأَنْصُرَ هَذَا الرَّجُلَ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرَةَ فَقَالَ أَيْنَ تُرِيدُ؟ قُلْتُ: أَنْصُرُ هَذَا الرَّجُلَ، قَالَ: ارْجِعْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا التَقَى المُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ»، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا القَاتِلُ فَمَا بَالُ المَقْتُولِ قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ»[٢].

عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: نَزَلَ عَلِيٌّ الزَّاوِيَةَ وَأَقَامَ أَيَّامًا، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الأَحْنَفُ: إِنْ شِئْتَ أَتَيْتُكَ، وَإِنْ شِئْتَ كَفَفْتُ عَنْكَ أَرْبَعَةَ آلافِ سَيْفٍ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ: كَيْفَ بِمَا أَعْطَيْتَ أَصْحَابَكَ مِنَ الاعْتِزَالِ! قَالَ: إِنَّ مِنَ الْوَفَاءِ لِلَّهِ ﷻ قِتَالَهُمْ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ: كُفَّ مَنْ قَدَرْتَ عَلَى كَفِّهِ ثُمَّ سَارَ عَلِيٌّ مِنَ الزَّاوِيَةِ[٣].

وهذا يؤكد عدم حرص علي على القتال، ولكنه على أي حال سار من الزاوية ليواجه الزبير وأصحابه، وكذلك سار الزبير وأصحابه لمواجهة

١- ((تاريخ الخلفاء)) طقوش (ص: ٤٤٥).

٢- حديث صحيح: أخرجه الإمام البخاري في ((صحيحه)) (كِتَابُ الدِّيَاتِ) (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا ﴾ [المائدة: ٣٢]) (رقم: ٦٨٧٥).

٣- إسناده ضعيف: أخرجه الطبري في ((تاريخه)) (٤/ ٥٠٠ - ٥٠١).

علي، والتقيا عند موضع عرف بقصر عبيد الله بن زياد، وجرت عدة محاولات لحل المشكلة، ففي رواية: فَأَرْسَلَ عِمْرَانَ ابن حُصَيْنٍ فِي النَّاسِ يُخَذِّلُ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ جَمِيعًا، كما صنع الأَحْنَفُ، وَأَرْسَلَ إِلَى بَنِي عَدِيٍّ فِيمَنْ أَرْسَلَ، فَأَقْبَلَ رَسُولُهُ حَتَّى نَادَى عَلَى بَابِ مَسْجِدِهِمْ: أَلا إِنَّ أَبَا نُجَيْدٍ عِمْرَانَ بْنَ الْحُصَيْنِ يُقْرِئُكُمُ السَّلامَ، وَيَقُولُ لَكُمْ: وَاللَّهِ لأَنْ أَكُونَ في جبل حضن مَعَ أَعْنُزٍ خُضْرٍ وَضَأْنٍ، أَجُزُّ أَصْوَافَهَا، وَأَشْرَبُ أَلْبَانَهَا، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَرْمِيَ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذَيْنِ الصَّفَّيْنِ بِسَهْمٍ، فَقَالَتْ بَنُو عَدِيٍّ جَمِيعًا بِصَوْتٍ وَاحِدٍ: إِنَّا وَاللَّهِ لا نَدَعُ ثَقَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِشَيْءٍ- يَعْنُونَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ.

وعَنْ حُجَيْرِ بْنِ الرَّبِيعِ، قَالَ: قَالَ لِي عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ: سِرْ إِلَى قَوْمِكَ أَجْمَعَ مَا يَكُونُونَ، فَقُمْ فِيهِمْ قَائِمًا، فَقُلْ: أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ عِمْرَانُ ابن حصين صاحب رسول الله ﷺ، يَقْرَأُ عَلَيْكُمُ السَّلامَ وَرَحْمَةَ اللَّهِ، وَيَحْلِفُ بِاللَّهِ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ، لأَنْ يَكُونَ عبدا حبشيا مجدعا يرعى أعنزا حضنيات فِي رَأْسِ جَبَلٍ حَتَّى يُدْرِكَهُ الْمَوْتُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَرْمِيَ بِسَهْمٍ وَاحِدٍ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ، قَالَ: فَرَفَعَ شُيُوخُ الْحَيِّ رُءُوسَهُمْ إِلَيْهِ، فَقَالُوا:

إِنَّا لا نَدَعُ ثَقَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِشَيْءٍ أَبَدًا[1].

وعَنْ عَبْدِ خَيْرٍ، قَالَ: ضُرِبَ فُسْطَاطٌ بَيْنَ الْعَسْكَرَيْنِ يَوْمَ الْجَمَلِ ثَلاثَةَ

١- إسناده حسن: أخرجه الطبري في ((تاريخه)) (٤/ ٥٠٣)، وابن سعد في ((الطبقات الكبرى)) (٤/ ٢٨٨).

أَيَّام، فَكَانَ عَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ وَطَلْحَةُ يَأْتُونَهُ، فَيَذْكُرُونَ فِيهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الثَّالِثِ عِنْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ رَفَعَ عَلِيٌّ جَانِبَ الْفُسْطَاطِ ثُمَّ أَمَرَ بِالْقِتَالِ، فَمَشَى بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ، وَشَجَرْنَا بِالرِّمَاحِ حَتَّى لَوْ شَاءَ الرَّجُلُ أَنْ يَمْشِيَ عَلَيْهَا لَمَشَى، ثُمَّ أَخَذَتْنَا السُّيُوفُ فَمَا شَبَهْتَهَا إِلَّا دَارُ الْوَلِيدِ "(١).

فلم تقتصر محاولات الصلح على الفريق المحايد بل امتدت بين رؤساء الفريقين .

نشوب القتال :

وبعد أن تعثرت مساعي الصلح، اصطف الفريقان للقتال، ووصى الزبير بقضاء دينه، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: لَمَّا وَقَفَ الزُّبَيْرُ يَوْمَ الجَمَلِ دَعَانِي، فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ فَقَالَ: " يَا بُنَيِّ، إِنَّهُ لاَ يُقْتَلُ اليَوْمَ إِلَّا ظَالِمٌ أَوْ مَظْلُومٌ، وَإِنِّي لاَ أُرَانِي إِلَّا سَأُقْتَلُ اليَوْمَ مَظْلُومًا، وَإِنَّ مِنْ أَكْبَرِ هَمِّي لَدَيْنِي، أَفَتُرَى يُبْقِي دَيْنُنَا مِنْ مَالِنَا شَيْئًا؟ فَقَالَ: يَا بُنَيِّ بِعْ مَالَنَا، فَاقْضِ دَيْنِي، وَأَوْصَى بِالثُّلُثِ، وَثُلُثِهِ لِبَنِيهِ - يَعْنِي بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ - يَقُولُ: ثُلُثُ الثُّلُثِ، فَإِنْ فَضَلَ مِنْ مَالِنَا فَضْلٌ بَعْدَ قَضَاءِ الدَّيْنِ شَيْءٌ، فَثُلُثُهُ لِوَلَدِكَ "، - قَالَ هِشَامٌ: وَكَانَ بَعْضُ وَلَدِ عَبْدِ اللَّهِ، قَدْ وَازَى بَعْضَ بَنِي الزُّبَيْرِ، خُبَيْبٌ، وَعَبَّادٌ وَلَهُ يَوْمَئِذٍ

١- إسناده حسن: أخرجه ابن أبي شيبة في ((مصنفه)) (كتاب الجمل) (باب في مسير عائشة وعليٍّ وطلحة والزّبير ﷺ) (رقم: ٣٨٩٣٢).

تِسْعَةُ بَنِينَ، وَتِسْعُ بَنَاتٍ -، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَجَعَلَ يُوصِينِي بِدَيْنِهِ، وَيَقُولُ: «يَا بُنَيِّ إِنْ عَجَزْتَ عَنْهُ فِي شَيْءٍ، فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ مَوْلَايَ»، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا دَرَيْتُ مَا أَرَادَ حَتَّى قُلْتُ: يَا أَبَةِ مَنْ مَوْلَاكَ؟ قَالَ: «اللَّهُ»، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا وَقَعْتُ فِي كُرْبَةٍ مِنْ دَيْنِهِ، إِلَّا قُلْتُ: يَا مَوْلَى الزُّبَيْرِ اقْضِ عَنْهُ دَيْنَهُ، فَيَقْضِيهِ![1].

المحاورة بين علي والزبير:

ودعا علي الزبير وجرت بينهما محاورة، وخَلَا عَلِيٌّ بِالزُّبَيْرِ يَوْمَ الْجَمَلِ فَقَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ وَأَنْتَ لَاوٍ يَدِي فِي سَقِيفَةِ بَنِي فُلَانٍ: لَتُقَاتِلَنَّهُ وَأَنْتَ ظَالِمٌ لَهُ، ثُمَّ لَيُنْصَرَنَّ عَلَيْكَ، قَالَ: قَدْ سَمِعْتُ، لَا جَرَمَ، لَا أُقَاتِلُكَ[2].

وفي رواية: لَمَّا دَنَا عَلِيٌّ وَأَصْحَابُهُ مِنْ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ، وَدَنَتِ الصُّفُوفُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، خَرَجَ عَلِيٌّ وَهُوَ عَلَى بَغْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، فَنَادَى: ادْعُوا لِيَ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ فَإِنِّي عَلِيٌّ. فَدُعِيَ لَهُ الزُّبَيْرُ، فَأَقْبَلَ حَتَّى اخْتَلَفَتْ أَعْنَاقُ

١- حديث صحيح: أخرجه الإمام البخاري في ((صحيحه)) (كِتَابُ فَرْضِ الخُمُسِ) (بَابُ بَرَكَةِ الغَازِي فِي مَالِهِ حَيًّا وَمَيِّتًا، مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَوُلَاةِ الأَمْرِ) (رقم: ٣١٢٩).

٢- قال العقيلي بعد ما أخرجه في ((الضعفاء الكبير)) (٣/ ٦٥): ((لَا يُرْوَى هَذَا الْمَتْنُ مِنْ وَجْهٍ يَثْبُتُ)).

وقال الفيروزآبادي في ((رسالة في بيان ما لم يثبت فيه حديث صحيح من الأبواب)) (رقم: ٦٧): ((لم يثبت ولم يصححه أهل الحديث)).

دَوَابِّهِمَا، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا زُبَيْرُ، نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ، أَتَذْكُرُ يَوْمَ مَرَّ بِكَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، وَنَحْنُ فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا فَقَالَ: " «يَا زُبَيْرُ تُحِبُّ عَلِيًّا؟ ". فَقُلْتَ: أَلَا أُحِبُّ ابْنَ خَالِي وَابْنَ عَمِّي وَعَلَى دِينِي! فَقَالَ: " يَا زُبَيْرُ، أَمَا وَاللَّهِ لَتُقَاتِلَنَّهُ وَأَنْتَ ظَالِمٌ لَهُ؟» " فَقَالَ الزُّبَيْرُ: بَلَى وَاللَّهِ لَقَدْ نَسِيتُهُ مُنْذُ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، ثُمَّ ذَكَرْتُهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَا أُقَاتِلُكَ. فَرَجَعَ الزُّبَيْرُ عَلَى دَابَّتِهِ يَشُقُّ الصُّفُوفَ، فَعَرَضَ لَهُ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فَقَالَ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: ذَكَّرَنِي عَلِيٌّ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «لَتُقَاتِلَنَّهُ وَأَنْتَ ظَالِمٌ لَهُ» فَقَالَ: وَلِلْقِتَالِ جِئْتَ؟ إِنَّمَا جِئْتَ لِتُصْلِحَ بَيْنَ النَّاسِ وَيُصْلِحَ اللَّهُ بِكَ هَذَا الْأَمْرَ. قَالَ: قَدْ حَلَفْتُ أَنْ لَا أُقَاتِلَهُ. قَالَ: أَعْتِقْ غُلَامَكَ جِرْجِسَ، وَقِفْ حَتَّى تُصْلِحَ بَيْنَ النَّاسِ. فَأَعْتَقَ غُلَامَهُ، وَوَقَفَ، فَلَمَّا اخْتَلَفَ أَمْرُ النَّاسِ ذَهَبَ عَلَى فَرَسِهِ[1].

وقد أثر هذا الموقف ولا شك على صفوف جيش طلحة والزبير.

ولم يبدأ علي ﷺ بالقتال، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، قَالَ: أَقْبَلَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ حَتَّى نَزَلَا الْبَصْرَةَ وَطَرَحُوا سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا، وَعَلِيٌّ كَانَ

١- إسناده ضعيف: أخرجه الحاكم في ((المستدرك)) (ذِكْرُ مَقْتَلِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) (٣/ ٤١٣) وقال: ((وَقَدْ رُوِيَ إِقْرَارُ الزُّبَيْرِ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِ هَذِهِ الْوُجُوهِ وَالرِّوَايَاتِ))، والبيهقي في ((دلائل النبوة)) (بَابُ مَا جَاءَ فِي إِخْبَارِهِ عَنْ قِتَالِ الزُّبَيْرِ مَعَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَتَرْكِ الزُّبَيْرِ قِتَالَهُ حِينَ ذَكَّرَهُ) (٦/ ٤١٤).
واستغربه ابن كثير في ((البداية والنهاية)) (٩/ ١٩٢).

بَعَثَهُ عَلَيْهَا، فَأَقْبَلَ حَتَّى نَزَلَ بِذِي قَارٍ، فَأَرْسَلَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ إِلَى الْكُوفَةِ فَأَبْطَأُوا عَلَيْهِ، ثُمَّ أَتَاهُمْ عَمَّارٌ فَخَرَجُوا، قَالَ زَيْدٌ: فَكُنْتُ فِيمَنْ خَرَجَ مَعَهُ، قَالَ: فَكَفَّ عَنْ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَأَصْحَابِهِمَا، وَدَعَاهُمْ حَتَّى بَدَءُوهُ فَقَاتَلَهُمْ بَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ[1].

وعَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي، أَوْ عَمٌّ لِي، قَالَ: لَمَّا تَوَاقَفْنَا يَوْمَ الْجَمَلِ، وَقَدْ كَانَ عَلِيٌّ رضي الله عنه حِينَ صَفَّنَا نَادَى فِي النَّاسِ: لَا يَرْمِيَنَّ رَجُلٌ بِسَهْمٍ، وَلَا يَطْعَنُ بِرُمْحٍ، وَلَا يَضْرِبُ بِسَيْفٍ، وَلَا تَبْدَؤُا الْقَوْمَ بِالْقِتَالِ، وَكَلِّمُوهُمْ بِأَلْطَفِ الْكَلَامِ، وَأَظُنُّهُ قَالَ: فَإِنَّ هَذَا مَقَامٌ مَنْ فَلَجَ فِيهِ فَلَجَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَمْ نَزَلْ وُقُوفًا حَتَّى تَعَالَى النَّهَارُ، حَتَّى نَادَى الْقَوْمُ بِأَجْمَعِهِمْ: يَا ثَارَاتِ عُثْمَانَ رضي الله عنه، فَنَادَى عَلِيٌّ رضي الله عنه مُحَمَّدًا ابْنَ الْحَنَفِيَّةِ، وَهُوَ إِمَامُنَا وَمَعَهُ اللِّوَاءُ، فَقَالَ: يَا ابْنَ الْحَنَفِيَّةِ مَا يَقُولُونَ؟ فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا مُحَمَّدٌ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَا ثَارَاتِ عُثْمَانَ فَرَفَعَ عَلِيٌّ رضي الله عنه يَدَيْهِ فَقَالَ: اللهُمَّ كُبَّ الْيَوْمَ قَتَلَةَ عُثْمَانَ لِوُجُوهِهِمْ[2].

١- إسناده صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة في ((مصنفه)) (كتاب الجمل) (باب في مسير عائشة وعليٍّ وطلحة والزّبير رضي الله عنهم) (رقم: ٣٨٩٨٨).
وصحح ابن حجر إسناده في الفتح (١٣/ ٥٨).

٢- إسناده ضعيف: أخرجه البختري في ((الرابع من حديثه)) (ضمن مجموع فيه مصنفات أبي جعفر ابن البختري) (رقم: ١٤٣)، والبيهقي في ((السنن الكبرى)) (١٦٧٤٣)، وانظر: ((تاريخ الإسلام)) (٣/ ٤٨٧).

وعن كيفية نشوب الحرب روى الطبري مسير طلحة والزبير، وَقَدْ خندق طلحة وَالزُّبَيْر، فَقَالَ لنا أَصْحَابنا من أهل الْبَصْرَة: مَا سمعتم إخواننا من أهل الْكُوفَة يريدون ويقولون؟

فقلنا: يقولون خرجنا للصلح وما نريد قتالا، فبينا هم عَلَى ذَلِكَ لا يحدثون أنفسهم بغيره، إذ خرج صبيان العسكرين فتسابوا ثُمَّ تراموا، ثُمَّ تتابع عبيد العسكرين، ثُمَّ ثلث السفهاء، ونشبت الحرب، وألجأتهم إِلَى الخندق، فاقتتلوا عليه حتى أجلوا إِلَى موضع القتال، فدخل مِنْهُ أَصْحَاب علي وخرج الآخرون.

ونادى علي: أَلا لا تتبعوا مدبرا، وَلا تجهزوا عَلَى جريح، وَلا تدخلوا الدور، ونهى الناس، ثُمَّ بعث إِلَيْهِم أن اخرجوا للبيعة، فبايعهم عَلَى الرايات..[1].

سبب مقتل طلحة:

وبعد أن انصرف الزبير رُمي طلحة في ركبته، فقد رَمَى مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَم يَوْمَ الْجَمَلِ طَلْحَةَ بِسَهْمٍ فِي رُكْبَتِهِ ; قَالَ: فَجَعَلَ الدَّمُ يَغْذُو يَسِيلُ، قَالَ: فَإِذَا أَمْسَكُوهُ اسْتَمْسَكَ، وَإِذَا تَرَكُوهُ سَالَ، قَالَ: فَقَالَ: دَعُوهُ، قَالَ: وَجَعَلُوا إِذَا أَمْسَكُوا فَمَ الْجُرْحِ انْتَفَخَتْ رُكْبَتُهُ، فَقَالَ: دَعُوهُ فَإِنَّمَا هُوَ سَهْمٌ أَرْسَلَهُ اللَّهُ، قَالَ: فَمَاتَ ; قَالَ: فَدَفَنَّاهُ عَلَى شَاطِئِ الْكَلاءِ، فَرَأَى بَعْضُ أَهْلِهِ

١- إسناده حسن: أخرجه الطبري في ((تاريخه)) (٤/ ٤٩٢).

أَنَّهُ قَالَ: أَلَا تُرِيحُونَنِي مِنَ الْمَاءِ؟ فَإِنِّي قَدْ غَرِقْتُ ثَلَاثَ مِرَارٍ يَقُولُهَا، قَالَ: فَنَبَشُوهُ فَإِذَا هُوَ أَخْضَرُ كَالسَّلْقِ فَنَزَفُوا عَنْهُ الْمَاءَ ثُمَّ اسْتَخْرَجُوا فَإِذَا مَا يَلِي الْأَرْضَ مِنْ لِحْيَتِهِ وَوَجْهِهِ قَدْ أَكَلَتْهُ الْأَرْضُ، فَاشْتَرَوْا لَهُ دَارًا مِنْ دُورِ آلِ أَبِي بَكْرَةَ بِعَشَرَةِ آلَافٍ فَدَفَنُوهُ فِيهَا[١].

كانت هذه الجولة الأولى للقتال.

الجولة الثانية من القتال:

بدأت الجولة الثانية من القتال، لما وصل الخبر لأم المؤمنين عائشة ﵂، وَرَكِبَتْ عَائِشَةُ جَمَلًا لَهَا يُقَالُ لَهُ عَسْكَرُ، وَهِيَ فِي هَوْدَجٍ قَدْ أَلْبَسَتْهُ الدُّفُوفَ - يَعْنِي جُلُودَ الْبَقَرِ - فَقَالَتْ: إِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ يَحْجِزَ بَيْنَ النَّاسِ مَكَانِي قَالَتْ: وَلَمْ أَحْسِبْ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ النَّاسِ قِتَالٌ، وَلَوْ عَلِمْتُ ذَلِكَ لَمْ أَقِفْ ذَلِكَ الْمَوْقِفَ أَبَدًا قَالَتْ: فَلَمْ يَسْمَعِ النَّاسُ كَلَامِي، وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَيَّ، وَكَانَ الْقِتَالُ، فَقُتِلَ يَوْمَئِذٍ سَبْعُونَ مِنْ قُرَيْشٍ كُلُّهُمْ يَأْخُذُ بِخِطَامِ جَمَلِ عَائِشَةَ حَتَّى لَا يُقْتَلَ[٢].

وعَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ فِي الشِّعْبِ فَسَمِعَ رَجُلًا يَنْتَقِصُ عُثْمَانَ ﵁ وَعِنْدَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَالَ مُحَمَّدٌ: يَا

١- إسناده صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة في ((مصنفه)) (كتاب الجمل) (باب في مسير عائشة وعليٍّ وطلحة والزّبير ﵃) (رقم: ٣٨٩٢٥)، وابن سعد في ((الطبقات الكبرى)) (٣/ ٢٢٣). ورواه خليفة في ((تاريخه)) (ص: ٤٣) مختصرًا.

٢- إسناده ضعيف: أخرجه عبد الرزاق في ((المصنف)) (كِتَابُ الْمَغَازِي) (غَزْوَةُ ذَاتِ السَّلَاسِلِ وَخَبَرُ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ) (٥/ ٤٥٨) (رقم: ٩٧٧٠) ضمن سياق طويل.

ابْنَ عَبَّاسٍ هَلْ شَهِدْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حِينَ سَمِعَ الصَّيْحَةَ مِنْ قِبَلِ الْمِرْبَدِ؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: نَعَمْ، عَشِيَّةَ بَعَثَ فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ، فَقَالَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ مَا هَذَا؟ فَجَاءَ فَقَالَ: هَذِهِ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَلْعَنُ قَتَلَةَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قَالَ: «وَأَنَا أَلْعَنُ قَتَلَةَ عُثْمَانَ، اللَّهُمَّ الْعَنْ قَتَلَةَ عُثْمَانَ فِي السَّهْلِ وَالْجَبَلِ»، قَالَ: ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا مُحَمَّدٌ فَقَالَ: أَمَا فِيَّ وَفِي ابْنِ عَبَّاسٍ لَكُمْ شَاهِدٌ عَدْلٍ: قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: فَانْتَهُوا(١).

شدة القتال:

عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، قَالَ: سَمِعْتُ سُوَيْدَ بْنَ الْحَارِثِ، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ الْجَمَلِ وَإِنَّ رِمَاحَنَا وَرِمَاحَهُمْ لَمُتَشَاجِرَةٌ، وَلَوْ شَاءَتِ الرُّجَّالُ لَمَشَتْ عَلَيْهِمْ ; يَقُولُونَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، وَيَقُولُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ اللَّهُ أَكْبَرُ، وَيَقُولُونَ: لَيْسَ فِيهَا شَكٌّ ; وَلَيْتَنِي لَمْ أَشْهَدْ، وَيَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَمَةَ: وَلَكِنِّي مَا سَرَّنِي أَنِّي لَمْ أَشْهَدْ، وَلَوَدِدْتُ أَنَّ كُلَّ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ عَلِيٌّ شَهِدْتُهُ "(٢).

قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ الْجَمَلِ وَإِنَّ رِمَاحَنَا وَرِمَاحَهُمْ مُتَشَاجِرَةٌ وَلَوْ شَاءَ الرَّجُلُ أَنْ يَمْشِيَ عَلَيْهَا لَمَشَى، قَالَ: وَهَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ

١- إسناده صحيح: أخرجه أحمد في ((فضائل الصحابة)) (رقم: ٧٣٣)، وابن شبة في ((تاريخ المدينة)) (٤/ ١٢٦١).

٢- إسناده حسن: أخرجه ابن أبي شيبة في ((مصنفه)) (كتاب الجمل) (باب في مسير عائشة وعليٍّ وطلحة والزّبير ﷺ) (رقم: ٣٨٩٢٤)، وخليفة بن خياط في ((تاريخه)) (ص: ٤٤).

أَكْبَرُ، وَهَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ "[١].

هذا وقد أعطى علي ولده الراية ثم أخذها منه، عَنِ مُنْذِرِ الثَّوْرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ ابْنَ الْحَنَفِيَّةِ يَقُولُ وَذَكَرَ يَوْمَ الْجَمَلِ قَالَ: " لَمَّا تَصَافَفْنَا أَعْطَانِي عَلِيٌّ الرَّايَةَ فَرَأَى مِنِّي نُكُوصًا لَمَّا دَنَا النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَأَخَذَهَا مِنِّي، فَقَاتَلَ بِهَا. قَالَ: فَحَمَلْتُ يَوْمَئِذٍ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَلَمَّا غَشَيْتُهُ قَالَ: أَنَا عَلَى دِينِ أَبِي طَالِبٍ، فَلَمَّا عَرَفْتُ الَّذِي أَرَادَ كَفَفْتُ عَنْهُ، فَلَمَّا هُزِمُوا قَالَ عَلِيٌّ: لَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ، وَلَا تَتَّبِعُوا مُدْبِرًا، وَقُسِمَ فَيْؤُهُمْ بَيْنَهُمْ مَا قُوتِلَ بِهِ مِنْ سِلَاحٍ أَوْ كُرَاعٍ، وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مَا أَجْلَبُوا بِهِ عَلَيْنَا مِنْ كُرَاعٍ أَوْ سِلَاحٍ "[٢].

وعَن أَبِي رَجَاء قَالَ: لقد رَأَيْت الْجمل يَوْمئِذٍ كَأَنَّهُ قنفذ من النبل وَرجل آخذ بالخطام وَهُوَ يَقُول:

نَحن بَنو ضبة أَصْحَاب الْجمل ... تنازل الْموْت إِذا الْموْت نزل

وَالْموْت أحلى عندنا من الْعَسَل ... نبغي ابْن عَفَّان بأطراف الأسل

قَالَ فأقسم بِاللَّه مَا برح حَتَّى يرى قَوَائِم الْبَعِير فَسقط فَقَالُوا أمنا أمنا[٣].

١- إسناده حسن: أخرجه ابن أبي شيبة في ((مصنفه)) (كتاب الجمل) (باب في مسير عائشة وعليٍّ وطلحة والزّبير ﷺ) (رقم: ٣٨٩٤٣)، وخليفة بن خياط في ((تاريخه)) (ص: ٤٤).
٢- إسناده ضعيف: أخرجه ابن سعد في ((الطبقات الكبرى)) (مُحَمَّدُ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ) (٥/ ٩٢).
٣- ذكره خليفة بن خياط في ((تاريخه)) (ص: ١٩٠).

وعن أبي رجاء العطاردي، قَالَ: إني لأنظر إِلَى رجل يوم الجمل وَهُوَ يقلب سيفا بيده كأنه مخراق، وهو يقول:

نحن بنى ضبة أصحاب الجمل ... ننعى ابن عفان بأطراف الأسل

الْمَوْتُ أَحْلَى عِنْدَنَا مِنَ الْعَسَلْ ... رُدُّوا عَلَيْنَا شَيْخَنَا ثُمَّ بَجَلْ(١).

ثُمَّ أَخَذَ الْخِطَامَ سَبْعُونَ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ، وَكُلُّ وَاحِدٍ يُقْتَلُ بَعْدَ صَاحِبِهِ، فَكَانَ مِنْهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ الْمَعْرُوفُ بِالسَّجَّادِ، فَقَالَ لِعَائِشَةَ: مُرِينِي بِأَمْرِكِ يَا أُمَّاهُ. فَقَالَتْ: آمُرُكَ أَنْ تَكُونَ كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَمَ. فَامْتَنَعَ أَنْ يَنْصَرِفَ وَثَبَتَ فِي مَكَانِهِ، وَجَعَلَ يَقُولُ: حم لَا يُنْصَرُونَ. فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ نَفَرٌ فَحَمَلُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ، وَصَارَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ يَدَّعِي قَتْلَهُ، وَقَدْ طَعَنَهُ بَعْضُهُمْ بِحَرْبَةٍ فَأَنْفَذَهُ وَقَالَ:

وَأَشْعَثَ قَوَّامٍ بِآيَاتِ رَبِّهِ ... قَلِيلِ الْأَذَى فِيمَا تَرَى الْعَيْنُ مُسْلِمِ

هَتَكْتُ لَهُ بِالرُّمْحِ جَيْبَ قَمِيصِهِ ... فَخَرَّ صَرِيعاً لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ

يُنَاشِدُنِي حم وَالرُّمْحُ شَاجِرٌ ... فَهَلَّا تَلَاحم قَبْلَ التَقَدُّمِ

عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ غَيْرَ أَنْ لَيْسَ تَابِعًا ... عَلِيًّا وَمَنْ لَا يَتْبَعِ الْحَقَّ يَنْدَمِ(٢)

ومن أخبار ابن الزبير في هذه المعركة، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ أَنِ الْأَشْتَرَ وَابْنَ الزُّبَيْرِ الْتَقَيَا، فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: مَا ضَرَبْتُهُ ضَرْبَةً حَتَّى

١- إسناده ضعيف جدًّا: أخرجه الطبري في ((تاريخه)) (٤/ ٥١٨)، وانظر: ((الفتنة ووقعة الجمل)) لسيف بن عمر (ص: ١٦٥).

٢- انظر: ((البداية والنهاية)) (١٠/ ٤٦٦).

ضَرَبَنِي خَمْسًا أَوْ سِتًّا، ثُمَّ قَالَ: فَأَلْقَانِي بِرَجُلٍ ثُمَّ قَالَ: لَوْلَا قَرَابَتُكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا تَرَكْتُ مِنْكَ عُضْوًا مَعَ صَاحِبِهِ، قَالَ: وَقَالَتْ عَائِشَةُ: «وَاثُكْلَ أَسْمَاءَ، قَالَ: فَلَمَّا كَانَ بَعْدُ أَعْطَتِ الَّذِي بَشَّرَهَا أَنَّهُ حَيٌّ عَشَرَةَ آلَافٍ»(١).

عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ قَالَ: أُخِذَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ مِنْ وَسَطَ الْقَتْلَى يَوْمَ الْجَمَلِ، وَبِهِ بِضْعٌ وَأَرْبَعُونَ ضَرْبَةً وَطَعْنَةً(٢).

عقر الجمل:

عَنِ ابْنِ أَبْزَى، قَالَ: انْتَهَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُدَيْلٍ إِلَى عَائِشَةَ وَهِيَ فِي الْهَوْدَجِ يَوْمَ الْجَمَلِ، فَقَالَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْشُدُكِ بِاللَّهِ، أَتَعْلَمِينَ أَنِّي أَتَيْتُكِ يَوْمَ قَتْلِ عُثْمَانَ فَقُلْتُ: إِنَّ عُثْمَانَ قَدْ قُتِلَ فَمَا تَأْمُرِينِي، فَقُلْتِ لِي: الْزَمْ عَلِيًّا، فَوَاللَّهِ مَا غَيَّرَ وَلَا بَدَّلَ، فَسَكَتَتْ ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَسَكَتَتْ فَقَالَ: اعْقُرُوا الْجَمَلَ، فَعَقَرُوهُ، قَالَ: فَنَزَلْتُ أَنَا وَأَخُوهَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَاحْتَمَلْنَا الْهَوْدَجَ حَتَّى وَضَعْنَاهُ بَيْنَ يَدَيْ عَلِيٍّ، فَأَمَرَ بِهِ عَلِيٌّ فَأُدْخِلَ فِي مَنْزِلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُدَيْلٍ ; قَالَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي الْمُغِيرَةِ: وَكَانَتْ عَمَّتِي عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُدَيْلٍ، فَحَدَّثَتْنِي عَمَّتِي أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ لَهَا: أَدْخِلِينِي، قَالَتْ: فَأَدْخَلْتُهَا وَأَتَيْتُهَا بِطَشْتٍ وَإِبْرِيقٍ وَأَجَفْتُ عَلَيْهَا الْبَابَ، قَالَتْ: فَاطَّلَعْتُ عَلَيْهَا مِنْ خَلَلِ

١- إسناده ضعيف لانقطاعه: أخرجه ابن أبي شيبة في ((مصنفه)) (كتاب الأمراء) (باب ما ذكر من حديث الأمراء والدّخول عليهم) (رقم: ٣١٢٤٦)، و(كتاب الجمل) (باب في مسير عائشة وعليٍّ وطلحة والزّبير ﷺ) (رقم: ٣٨٩٢١).

٢- ((تاريخ الإسلام)) (٥/ ٤٤١)، ((سير أعلام النبلاء)) (٣/ ٣٧١).

الْبَابِ وَهِيَ تُعَالِجُ شَيْئًا فِي رَأْسِهَا مَا أَدْرِي شَجَّةً أَوْ رَمْيَةً[١].

وبعد ذلك هدئت المعركة، ولم يأخذ علي ﷺ شيئًا من أشياء القوم، بل ردها عليهم، فعَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، قَالَ: أَقْبَلَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ حَتَّى نَزَلَا الْبَصْرَةَ وَطَرَحُوا سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا، وَعَلِيٌّ كَانَ بَعَثَهُ عَلَيْهَا، فَأَقْبَلَ حَتَّى نَزَلَ بِذِي قَارٍ، فَأَرْسَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ إِلَى الْكُوفَةِ فَأَبْطَأُوا عَلَيْهِ، ثُمَّ أَتَاهُمْ عَمَّارٌ فَخَرَجُوا، قَالَ زَيْدٌ: فَكُنْتُ فِيمَنْ خَرَجَ مَعَهُ، قَالَ: فَكَفَّ عَنْ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَأَصْحَابِهِمَا، وَدَعَاهُمْ حَتَّى بَدَءُوهُ فَقَاتَلَهُمْ بَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ، فَمَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ وَحَوْلَ الْجَمَلِ عَيْنٌ تَطْرِفُ مِمَّنْ كَانَ يَذُبُّ عَنْهُ، فَقَالَ عَلِيٌّ: لَا تُتِمُّوا جَرِيحًا وَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِرًا وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ وَأَلْقَى سِلَاحَهُ فَهُوَ آمِنٌ; فَلَمْ يَكُنْ قِتَالُهُمْ إِلَّا تِلْكَ الْعَشِيَّةَ وَحْدَهَا، فَجَاءُوا بِالْغَدِ يُكَلِّمُونَ عَلِيًّا فِي الْغَنِيمَةِ فَقَوْلُ عَلِيٍّ هَذِهِ الْآيَةُ، فَقَالَ: أَمَا إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١] أَيُّكُمْ لِعَائِشَةَ؟ فَقَالُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ، أُمُّنَا، فَقَالَ: أَحَرَامٌ هِيَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ عَلِيٌّ; فَإِنَّهُ يَحْرُمُ مِنْ بَنَاتِهَا مَا يَحْرُمُ مِنْهَا ; قَالَ: أَفَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ أَنْ يَعْتَدِدْنَ مِنَ الْقَتْلَى أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: أَفَلَيْسَ لَهُنَّ الرُّبُعُ وَالثُّمُنُ مِنْ أَزْوَاجِهِنَّ، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: مَا بَالُ الْيَتَامَى لَا يَأْخُذُونَ أَمْوَالَهُمْ،

١- إسناده حسن: أخرجه ابن أبي شيبة في ((مصنفه)) (كتاب الجمل) (باب في مسير عائشة وعليٍّ وطلحة والزّبير ﷺ) (رقم: ٣٨٩٨٦).

وجوَّد ابن حجر إسناده في ((فتح الباري)) (١٣/ ٥٧).

ثُمَّ قَالَ: يَا قَنْبَرُ، مَنْ عَرَفَ شَيْئًا فَلْيَأْخُذْهُ، قَالَ زَيْدٌ: فَرَدَّ مَا كَانَ فِي الْعَسْكَرِ وَغَيْرِهِ، قَالَ: وَقَالَ عَلِيٌّ، لِطَلْحَةَ، وَالزُّبَيْرِ: أَلَمْ تُبَايِعَانِي؟ فَقَالَا: نَطْلُبُ دَمَ عُثْمَانَ ; فَقَالَ عَلِيٌّ: لَيْسَ عِنْدِي دَمُ عُثْمَانَ، قَالَ: قَالَ عَمْرُو بْنُ قَيْسٍ: فَحَدَّثَنَا رَجُلٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ يُقَالُ لَهُ أَبُو قَيْسٍ، قَالَ: لَمَّا نَادَى قَنْبَرٌ «مَنْ عَرَفَ شَيْئًا فَلْيَأْخُذْهُ» مَرَّ رَجُلٌ عَلَى قِدْرٍ لَنَا وَنَحْنُ نَطْبُخُ فِيهَا فَأَخَذَهَا، فَقُلْنَا: دَعْهَا حَتَّى يَنْضَجَ مَا فِيهَا، قَالَ: فَضَرَبَهَا بِرِجْلِهِ ثُمَّ أَخَذَهَا[١].

وليست هناك مرويات يمكن الاعتماد عليها في إحصاء عدد القتلى[٢].

استشهاد الزبير:

لما رجع الزبير وَبَلَغَ سَفَوَانَ مِنَ الْبَصْرَةِ كَمَكَانِ الْقَادِسِيَّةِ مِنْكُمْ، فَلَقِيَهُ النَّضْرُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي مُجَاشِعٍ، قَالَ: أَيْنَ تَذْهَبُ يَا حَوَارِيَّ رَسُولِ اللهِ، إِلَيَّ فَأَنْتَ فِي ذِمَّتِي، لَا يُوصَلُ إِلَيْكَ، فَأَقْبَلَ مَعَهُ، قَالَ: فَأَتَى إِنْسَانٌ الْأَحْنَفَ قَالَ: هَذَا الزُّبَيْرُ قَدْ لُقِيَ بِسَفَوَانَ قَالَ: فَمَا يَأْمَنُ؟ جَمَعَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى ضَرَبَ بَعْضُهُمْ حَوَاجِبَ بَعْضٍ بِالسُّيُوفِ، ثُمَّ لَحِقَ بِبَيْتِهِ وَأَهْلِهِ، فَسَمِعَهُ عُمَيْرُ بْنُ جُرْمُوزٍ وَغُوَاةٌ مِنْ غُوَاةِ بَنِي تَمِيمٍ وَفَضَالَةُ بْنُ حَابِسٍ وَنُفَيْعٌ، فَرَكِبُوا فِي طَلَبِهِ، فَلَقُوا مَعَهُ النَّضْرَ، فَأَتَاهُ عُمَيْرُ بْنُ جُرْمُوزٍ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ ضَعِيفَةٍ، فَطَعَنَهُ طَعْنَةً

١- إسناده صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة في ((مصنفه)) (كتاب الجمل) (باب في مسير عائشة وعلي وطلحة والزبير ﷺ) (رقم: ٣٨٩٨٨).
وصحح ابن حجر إسناده في ((فتح الباري)) (١٣/ ٥٨).

٢- انظر: ((خلافة علي)) (١/ ١٨٣ - ١٨٤).

خَفِيفَةً، وَحَمَلَ عَلَيْهِ الزُّبَيْرُ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ يُقَالُ لَهُ «ذُو الْخِمَارِ» حَتَّى إِذَا ظَنَّ أَنَّهُ قَاتِلُهُ نَادَى صَاحِبَيْهِ: يَا نُفَيْعُ يَا فَضَالَةُ، فَحَمَلُوا عَلَيْهِ حَتَّى قَتَلُوهُ[1].

ولما بلغ علي ﷺ مقتل الزبير أصابه حزن عميق، بل؛ وبشر قاتل الزبير بالنار!

فعَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، قَالَ: اسْتَأْذَنَ ابْنُ جُرْمُوزٍ عَلَى عَلِيٍّ وَأَنَا عِنْدَهُ، فَقَالَ عَلِيٌّ: بَشِّرْ قَاتِلَ ابْنِ صَفِيَّةَ بِالنَّارِ، ثُمَّ قَالَ عَلِيٌّ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا، وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ» قَالَ عَبْدُ اللهِ: قَالَ أَبِي: سَمِعْتُ سُفْيَانَ يَقُولُ: «الْحَوَارِيُّ: النَّاصِرُ»[2].

١- إسناده حسن: أخرجه ابن أبي شيبة في ((مصنفه)) (كتاب الأمراء) (باب ما ذكر من حديث الأمراء والدّخول عليهم) (رقم: ٣١٢٧١)، و(كتاب الجمل) (باب في مسير عائشة وعليٍّ وطلحة والزّبير ﷺ) (رقم: ٣٨٩٥٣)، والطبري في ((تاريخه)) (٣/ ٣٥)، والبلاذري في ((أنساب الأشراف)) (٢/ ٢٣٢).

٢- إسناده صحيح: أخرجه الإمام أحمد في ((مسنده)) (مُسْنَدُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ) (رقم: ٦٨١) (٢/ ٩٩)، وفي (رقم: ٧٩٩) (٢/ ١٨١)، و(رقم: ٨١٣) (٢/ ١٨٩) وفي ((فضائل الصحابة)) (فضائل الزبير بن العوام ﷺ) (رقم: ١٢٧٢) (٢/ ٧٣٧)، وابن سعد في ((الطبقات)) (٣/ ١٠٥، و١١٠)، وأبو داود الطيالسي في ((مسنده)) (أحاديث علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ﷺ عن النبي ﷺ) (رقم: ١٥٨) (١/ ١٣٧)، وابن أبي عاصم في ((الآحاد والمثاني)) (رقم: ١٩٦) (١/ ١٣٣)، وفي ((السنة)) له (باب ما ذكر عن النبي ﷺ في فضل الزبير بن العوام ﷺ) (رقم: ١٣٨٨) (٢/ ٦١٠)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (رقم: ٧٠٧٢) (٧/ ١٣٠)، وتمام في ((الفوائد)) (رقم: ٥٢٤)، والدينوري في ((المجالسة وجواهر العلم)) (رقم/ ٤٥٢) (٢/ ٢٩٦).

وأخرجه الحاكم في ((مستدركه)) (٣/ ٤١٤) من طرق مختلفة، وقال: ((هذه الأحاديث صحيحة عن أمير المؤمنين علي و إن لم يخرجاه بهذه الأسانيد)). =

حال علي بعد المعركة :

أما علي فقد جاء تمنّيه ﷺ الموت قبل تلك الموقعة بعِشْرِينَ سَنَةً، عَنْ قَتَادَةَ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ قَيْسِ بن عَبَّادٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ الْجَمَلِ، يَقُولُ لابْنِهِ حَسَنٍ: يَا حَسَنُ، وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ مِتُّ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً[١].

وعَنْ طَلْحَةَ بن مُصَرِّفٍ، أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، انْتَهَى إِلَى طَلْحَةَ بن عُبَيْدِ اللَّهِ وَقَدْ مَاتَ، فَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ وَأَجْلَسَهُ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ الْغُبَارَ عَنْ وَجْهِهِ وَلِحْيَتِهِ، وَهُوَ يَتَرَحَّمُ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ: لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا الْيَوْمِ بِعِشْرِينَ سَنَةً[٢].

عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، قَالَ: جَاءَ سُلَيْمَانُ بْنُ صُرَدٍ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بَعْدَمَا فَرَغَ مِنْ قِتَالِ يَوْمِ الْجَمَلِ، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ مَعَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: خَذَلْتَنَا وَجَلَسْتَ عَنَّا وَفَعَلْتَ، عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ، فَلَقِيَ سُلَيْمَانُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ فَقَالَ: مَا لَقِيتَ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: قَالَ لِي كَذَا وَكَذَا عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ، فَقَالَ: لَا يَهُولَنَّكَ هَذَا مِنْهُ فَإِنَّهُ مُحَارِبٌ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَوْمَ الْجَمَلِ حِينَ أَخَذَتِ السُّيُوفُ مَأْخَذَهَا يَقُولُ: لَوَدِدْتُ أَنِّي مِتُّ

= وقال الذهبي في ((التلخيص)) (٣/ ٤١٤): ((هذه أحاديث صحاح)).

١- إسناده صحيح: أخرجه عبد الله بن أحمد في ((السنة)) (قول أولاد علي ﷺ)، وأبو بكر الخلال في ((السنة)) (رقم: ٧٤٨) (٢/ ٤٧٤)، والطبراني في ((المعجم الكبير)) (رقم: ٢٠٣) (١/ ١١٤).

٢- إسناده ضعيف: أخرجه الطبراني في ((المعجم الكبير)) (رقم: ٢٠٢) (١/ ١١٣).

قَبْلَ هَذَا الْيَوْمِ بِعِشْرِينَ سَنَةً[١].

عَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ، قَالَ: سُئِلَ عَلِيٌّ عَنْ أَهْلِ الْجَمَلِ، قَالَ: قِيلَ: أَمُشْرِكُونَ هُمْ؟ قَالَ: مِنَ الشِّرْكِ فَرُّوا، قِيلَ: أَمُنَافِقُونَ هُمْ؟ قَالَ: إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ; قِيلَ: فَمَا هُمْ؟ قَالَ: إِخْوَانُنَا بَغَوْا عَلَيْنَا[٢].

فهذا نبأ تلك الموقعة.

سيطر علي على البصرة بعد انتهاء الوقعة، وبايعه البصريون طائعين بعد أن عفا عنهم، فكانت كل قبيلة تبايع وهي ترفع رايتها، ويبدو أنهم اعتقدوا بأنهم أدوا واجبهم تجاه دم عثمان، وفي سبيل الدفاع عن عائشة أم المؤمنين، وأنه أضحى من واجبهم الآن العودة إلى النظام، وقد ساعدهم سلوك علي تجاههم.

وسامح علي كل الذين رفعوا السلاح في وجهه، وأظهر رغبة عميقة وصادقة في تضميد الجراح، وفي إعادة تجميع جسم الأمة الجريح، فحرص على عدم معاملتهم بمثل ما عاملوه به، ولهذا فقد أمر قواته بعدم مطاردة

١- إسناده فيه مقال: أخرجه ابن أبي الدنيا في ((المتمنين)) (رقم: ٩٧)، والدارقطني في ((المؤتَلِف والمختَلِف)) (٢/ ٨٦١)، والخطيب في ((موضح أوهام الجمع والتفريق)) (١/ ١٠٥)، وابن ماكولا في ((تهذيب مستمر الأوهام على ذوي المعرفة وأولي الأفهام)) (ص: ٧١).

٢- إسناده ضعيف لانقطاعه: أخرجه ابن أبي شيبة في ((مصنفه)) (كتاب الأمراء) (باب ما ذكر من حديثِ الأمراءِ والدّخولِ عليهم) (رقم: ٣١٢٧١)، ومن طريقه البيهقي في ((السنن الكبرى)) (٨/ ١٧٣).

أي مدبر، وأن لا يجهزوا على جريح، ولا يدخلوا الدور، وأعلن أنه من أغلق بابه، فهو آمن، وندب الناس إلى موتاهم فخرجوا إليهم ودفنوهم، وطاف معهم في القتلى، وتألم لمقتلهم، وأقام الصلاة المزدوجة على الموتى من البصريين، وعلى الموتى من الكوفيين، وكذلك على القتلى من المكيين والمدنيين، ولم يرم أعداءه بالكفر، سيقول دائماً إنهم مسلمون، وإن الله حرم سلبهم واسترقاقهم وإذلالهم، والنيل من شرفهم ومنزلتهم، وأقام في معسكره ثلاثة أيام لا يدخل البصرة، وترحم على الزبير، وبشر قاتله بالنار، ودعا الله أن يجمعه بطلحة يوم القيامة في الجنة، ثم اجتمع بعائشة في دار عبد الله بن خلف الخزاعي، حيث نقلت بعد انتهاء الوقعة، وجرى بينهما حوار هادئ هو أقرب إلى الاستعتاب، فذكرها بأنها قد نهيت عن المسير إلى هذا المصير، فطلبت منه أن يصفح عنها، وأثنت عليه بسبب موقفه المتسامح معها ومع أنصارها، وعدت خلافها معه على أنه قدر مقدر أساسه مجرد استعتاب هدفت منه العمل على إعادة وحدة المسلمين بعد مقتل عثمان، إلا أن هذا الخلاف تطور رغماً عنها حتى وصل إلى المواجهة المسلحة، ونفت أن يكون الصراع المسلح في وقعة الجمل هو تصفية خلافات قديمة بينهما، وتمنت لو استطاعت تجنبه، واتهمت طلحة والزبير بإخراجها من بيتها، وأبدت ندمها على خروجها من منزلها، ثم سيرها إلى المدينة يوم السبت لغرة رجب في جماعة من نساء أهل البصرة المعروفات لمؤانستها في الطريق، وجعل في صحبتها أخاها محمد بن أبي بكر، كما أرسل معها

بنيه لحراستها حتى خرجت من البصرة مسيرة يوم، وزاد في تكريمها بأن خرج بنفسه مودعًا، وشيعها عدة أميال، وقد أعلنت يوم انطلاقها أنه ليس بينها وبين علي فيما كان إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وأضافت: «إنه عندي على معتبتي لمن الأخيار»، فأجابها علي: «صدقت والله وبرت، وإنه ما كان بينهما إلا ذلك، وإنها زوجة نبيكم في الدنيا والآخرة»، واعتزلت السياسة بقية حياتها، وكرست نفسها للعبادة[١].

المبحث الثالث: معركة صفين (37 هـ)

كان معاوية من القسم الثاني من الفريق الأول، والذي امتنع عن مبايعة علي حتى يتم القصاص من قتلة عثمان، فرأى عليٌّ بعد معركة الجمل أنه يجب على معاوية وأصحابه طاعته ومبايعته، إذ لا يكون للمسلمين إلا خليفة واحد، ورأى أنهم خارجون عن طاعته، يمتنعون عن هذا الواجب، وهم أهل شوكة؛ عندها رأى أن يقاتلهم حتى يؤدوا هذا الواجب، فتحصل الطاعة والجماعة[٢].

وقد جاء أبو مسلم الخولاني وأناس معه إلى معاوية فقالوا له: أنت تنازع علياً أم أنت مثله؟ فقال معاوية: لا والله إني لأعلم أن علياً أفضل مني، وإنه لأحق بالأمر مني، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً

١- ((تاريخ الخلفاء)) طقوش (ص: ٤٤٨ - ٤٤٩).
٢- ((مجموع الفتاوى)) (٣٥/ ٧٢).

وأنا ابن عمه؟ وإنما أطلب بدم عثمان، فأتوه فقولوا له فليدفع إلي قتلة عثمان، وأسلم له. فأتوا علياً فكلموه بذلك، فلم يدفعهم إليهم[١].

طلب المعونة من عمرو بن العاص:

وقد طاوعه أهل الشام، وأرسل معاوية إلى عمرو بن العاص ليستفيد منه، وكان قد اعتزل أيام عثمان، قال الطبري: وفي هَذِهِ السنة- أعني سنة ست وثلاثين- بايع عَمْرو بن الْعَاصِ مُعَاوِيَة، ووافقه عَلَى محاربة علي، وَكَانَ السبب فِي ذَلِكَ ... عن محمد وطلحة وأبي حارثة وَأَبِي عُثْمَانَ، قَالُوا:

لما أحيط بعثمان ﷺ خرج عَمْرو بن الْعَاصِ مِنَ الْمَدِينَةِ متوجها نحو الشام، وَقَالَ: وَاللَّهِ يَا أهل الْمَدِينَة، مَا يقيم بِهَا أحد فيدركه قتل هَذَا الرجل إلا ضربه اللَّه ﷻ بذل، من لم يستطع نصره فليهرب فسار وسار مَعَهُ ابناه عَبْد اللَّهِ ومحمد[٢].

وقد حاول معاوية أن يستميل بعض الصحابة فأبوا عليه، قال ابن عبد البر: وكان سعد ممن قعد ولزم بيته في الفتنة، وأمر أهله ألا يخبروه من أخبار الناس بشيء حتى تجتمع الأمة على إمام، فطمع فيه معاوية، وفي عبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة، وكتب إليهم يدعوهم إلى عونه على

١- ((تاريخ دمشق)) (٥٩/ ١٣٢)، ((سير أعلام النبلاء)) (٣/ ١٤٠).

٢- ((تاريخ الطبري)) (ذكر خبر عَمْرو بن الْعَاصِ ومبايعته مُعَاوِيَة) (٤/ ٥٥٨).

الطلب بدم عثمان ويقول لهم:

إنهم لا يكفرون ما أتوه من قتله وخذلانه إلا بذلك، ويقول: إن قاتله وخاذله سواء، في نثر ونظم كتب به إليهم تركت ذكره، فأجابه كل واحد منهم يرد عليه ما جاء به من ذَلِكَ، وينكر مقالته، ويعرفه بأنه لَيْسَ بأهل لما يطلب(١).

قبل المعركة :

ظل علي يأمل في استقطاب معاوية، وتجنيب المسلمين مزيدًا من إراقة الدماء، وقدم نفسه منذ البداية على أنه طالب حق، فأرسل إليه رسولًا من الكوفة في شهر «رجب ٣٦هـ»، هو جرير بن عبد الله البجلي، ومن فاتحي العراق الأوائل ورئيس قبيلة بجيلة، وأحد الأشراف الذين تعاون عثمان معهم، وأحد زعماء القبائل الذين تجنبوا الاشتراك في وقعة الجمل، واقتصرت مهمته على حمل معاوية على البيعة، ودعوته إلى الطاعة والجماعة(٢).

وكرر علي مطالبة معاوية العودة إلى حظيرة الجماعة الإسلامية، والاعتراف به خليفة للمسلمين، ضمن كتاب أرسله إليه في شهر

١- ((الاستيعاب)) (٢/ ٦٠٩).

٢- ((تاريخ الطبري)) (٤/ ٥٦١).

«رمضان ٣٦هـ»، مع ضمرة بن يزيد، وعمرو بن زرارة النخعي، لكن معاوية لم يبدل رأيه[١].

مسير علي إلى الشام:

جهز علي جيشًا ضخمًا وردت عدة روايات في عدده، أحسنها، عَن الشّعبِيّ، قَالَ: سَار عَلِيّ فِي خمسين ألفًا[٢].

وقد شهد هذه المعركة مع علي رضي الله عنه، عدد من أهل بدر، وبيعة الرضوان[٣].

وسلك علي رضي الله عنه بالجيش طريق الجزيرة الرئيسي على شط الفرات الشرقي حتى بلغ قرب قرقيسياء، فأتته الأخبار أن معاوية قد خرج لملاقاته وعسكر بصفين، فتقدم علي إلى الرقة وعبر منها الفرات غربًا، ونزل صفين[٤].

ولما علم معاوية بتحرك جيش العراق جمع مستشاريه من أعيان أهل الشام، وخطب فيهم وقال: إن عليًا نهد إليكم في أهل العراق .. فقال ذو الكلاع الحميري: عليك أمرأى وعلينا امفعال[٥].

تجييش الجيوش، وتعيين القادة:

عَنِ الْحَضْرَمِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا يُحَرِّضُ النَّاسَ فِي ثَلاثَةِ مَوَاطِنَ:

١- ((تاريخ الخلفاء)) طقوش (ص: ٤٥٥ - ٤٥٦).

٢- ((تاريخ خليفة)) (ص: ١٩٣).

٣- ((خلافة علي)) (١/ ٢١١ - ٢١٢).

٤- ((خلافة علي)) (١/ ٢١٢ - ٢١٣)، و((تاريخ الطبري)) (٤/ ٥٦٦).

٥- ((أسمى المطالب)) (٢/ ٦٣١) أي: عليك الرأي وعلينا الفعال والكلام بلغة أهل حمير.

يُحَرِّضُ النَّاسَ يَوْمَ صِفِّينَ، وَيَوْمَ الْجَمَلِ، وَيَوْمَ النَّهْرِ، يَقُولُ: عِبَادَ اللَّهِ، اتَّقُوا اللَّهَ، وَغُضُّوا الأَبْصَارَ، وَاخْفِضُوا الأَصْـوَاتِ، وَأَقِلُّوا الْكَلامَ، وَوَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى المنازله والمجاولة والمبارزه والمناضلة والمجالدة وَالْمُعَانَقَةِ وَالْمُكَادَمَةِ وَالْمُلازَمَةِ، فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَلا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ اللَّهُمَّ أَلْهِمْهُمُ الصَّبْرَ، وَأَنْزِلْ عَلَيْهِمُ النَّصْرَ، وَأَعْظِمْ لَهُمُ الأَجْرَ، فأصبح علي من الغد، فبعث عَلَى الميمنة والميسرة والرجالة والخيل[١].

وعن فضيل بن خديج الكندي أن عَلِيًّا بعث عَلَى خيل أهل الْكُوفَة الأَشْتَر، وعلى خيل أهل الْبَصْرَة سَهْل بن حنيف، وعلى رجالة أهل الْكُوفَة عمار بن ياسر، وعلى رجالة أهل البصره قيس بن سعد وهاشم ابن عتبة وَمَعَهُ رايته، ومسعر بن فدكي التميمي عَلَى قراء أهل الْبَصْرَة، وصار أهل الْكُوفَة إِلَى عَبْد اللَّهِ بن بديل وعمار بن ياسر[٢].

وعَنِ الْقَاسِمِ مولى يَزِيد بن مُعَاوِيَة، أن مُعَاوِيَة بعث عَلَى ميمنته ابن ذي الكلاع الحميري، وعلى ميسرته حبيب بن مسلمة الفهري، وعلى مقدمته

١- إسناده ضعيف جدًّا: أخرجه نصر بن مزاحم في ((وقعة صفين)) (ص: ٢٠٤)، والطبري في ((تاريخه)) (٥/ ١١).

٢- إسناده ضعيف جدًّا: أخرجه الطبري في ((تاريخه)) (٥/ ١١). وذكره نصر بن مزاحم في ((وقعة صفين)) (ص: ٢٠٨).

يوم أقبل من دمشق أبا الأعور السلمي- وَكَانَ عَلَى خيل أهل دمشق- وعمرو بن الْعَاصِ عَلَى خيول أهل الشام كلها، ومسلم بن عُقْبَةَ المري عَلَى رجالة أهل دمشق، والضحاك بن قيس عَلَى رجالة الناس كلها وبايع رجال من أهل الشام عَلَى الموت[(١)].

وكان أهل الشام قد بايعوا معاوية على الطلب بدم عثمان، ﷺ، والقتال، وقد قام عمرو بن العاص، ﷺ، بتجهيز الجيش وعقد الألوية، وقام في الجيش خطيبًا يحرضهم.

عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْهُذَلِيِّ، أَنَّ عَلِيًّا لَمَّا اسْتَخْلَفَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ عَلَى الْبَصْرَةِ سَارَ مِنْهَا إِلَى الْكُوفَةِ، فَتَهَيَّأَ فِيهَا إِلَى صِفِّينَ، فَاسْتَشَارَ النَّاسَ فِي ذَلِكَ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ قَوْمٌ أَنْ يَبْعَثَ الْجُنُودَ وَيُقِيمُ، وَأَشَارَ آخَرُونَ بِالْمَسِيرِ فَأَبَى إِلا الْمُبَاشَرَةَ، فَجَهَّزَ النَّاسَ فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ، فَدَعَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ فَاسْتَشَارَهُ فَقَالَ: أَمَا إذ بلغك أَنَّهُ يَسِيرُ فَسِرْ بِنَفْسِكَ، وَلا تَغِبْ عَنْهُ بِرَأْيِكَ وَمَكِيدَتِكَ قَالَ: أَمَا إِذًا يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ فَجَهِّزِ النَّاسَ فَجَاءَ عَمْرٌو فَحَضَّضَ النَّاسَ، وَضَعَّفَ عَلِيًّا وَأَصْحَابَهُ، وَقَالَ: إِنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ قَدْ فَرَّقُوا جَمْعَهُمْ، وَأَوْهَنُوا شَوْكَتَهُمْ، وَفَلُّوا حَدَّهُمْ.

١- إسناده ضعيف: أخرجه نصر بن مزاحم في ((وقعة صفين)) (ص: ٢١٣-٢١٤)، والطبري في ((تاريخه)) (٥/ ١١-١٣).

ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ الْبَصْرَةِ مُخَالِفُونَ لِعَلِيٍّ، قدوَتَرَهُمْ وَقَتَلَهُمْ، وَقَدْ تَفَانَتْ صَنَادِيدُهُمْ وَصَنَادِيدُ أَهْلِ الْكُوفَةِ يَوْمَ الْجَمَلِ، وَإِنَّمَا سَارَ فِي شِرْذِمَةٍ قليله، ومنهم من قد قَتَلَ خَلِيفَتُكُمْ، فَاللَّهَ اللَّهَ فِي حَقِّكُمْ أَنْ تُضَيِّعُوهُ، وَفِي دَمِّكُمْ أَنْ تُبْطِلُوهُ![1].

وأما تقدير جيش معاوية، فأحسن ما ورد فيه أن عدده كان قرابة الستين ألف مقاتل[2]!

يقول الدكتور طقوش في جيش علي ومعاوية:

كان قتلة عثمان يتولون زمام الأمور في الكوفة، وقد ازداد عددهم كثيرًا بعد وقعة الجمل، ومارسوا مزيدًا من التأثير، والضغط في سبيل الحرب، متخطين الانقسامات القبلية، وقد وظفوا نفوذهم بين قبائلهم من أجل تجييش المؤيدين والأتباع، والراجح أنه كان يربطهم اعتقاد راسخ بأنهم كانوا على حق حين قتلوا عثمان، وحين حاربوا أصحاب الجمل، وأنهم الآن على حق وهم يستعدون لمحاربة «ظلمة الشام»، لكن ربما علينا أن نفرق بين فئتين منهم:

الفئة الأولى: هم القادة القلائل، وأتباعهم الذين يسيرون وراءهم، وقد تجمعوا حول علي وتبنوا قضيته، ودخلوا في لعبة السلطة الجديدة، وسوف يساندونها بقوة، وسيقاتلون في صفين من أجل شرعية علي، وبخاصة أنه

١- إسناده ضعيف جدًّا: أخرجه الطبري في ((تاريخه)) (٤/ ٤٧٤).

٢- ((خلافة علي)) (١/ ٢٢٩).

عينهم ولاة على الأمصار.

والواقع أن الخليفة اهتم باستقطابهم بعد ضعف المشاركة الكوفية إلى جانبه في وقعة الجمل، فكان بحاجة ماسة إلى نفوذهم السياسي بقدر ما كان بحاجة إلى قدرتهم القتالية لكي يؤمن قوة ضاربة، إذ لم يكن قادرًا على فرض قيادة شخصية، ومباشرة من جمهور الكوفيين، وبالتالي كان لا بد له من أن يمر من خلال الأشراف، وفعلًا، فقد سانده هؤلاء من واقع:

- أنه الخليفة الشرعي، وقد ثبته الانتصار في وقعة الجمل في شرعيته.

- لقد كان في الكوفة اتجاه عام لصالحه.

- لقد أدت الإقليمية دورًا مهمًا في دفع العراقيين بعامة إلى الوقوف خلفه، وذلك من خلال التنافس الإقليمي بين العراق والشام، بدليل قول معاوية لجنده، وهو يعبئهم لمعركة صفين « ... إنكم قد سرتم لتمنعوا الشام، وتأخذوا العراق ... ».

- إن وجود الخليفة في الكوفة كان يفرض على الكوفيين الدفاع عنه، وعن عاصمتهم أيضًا.

- إن شخصية علي كانت تفرض الاحترام، وتستقطب الأتباع من خلال ماضيه الإسلامي، ومن حيث استقامته، وعدم تبديله النظام

الاجتماعي القائم.

الفئة الثانية: هم جماعة القراء الذين شكلوا قوة متماسكة، إنما ظلوا أقلية في الكوفة والبصرة، إنهم نواة الخوارج، وقد ركزوا على قناعاتهم الخاصة بدافع ماضي علي، وتعالي القرآن فوق كل سلطان بشري، وإدانة ما ابتدعه عثمان، والمطالبة بالتخلص منه، والعداء للمزاعم القرشية في الوصاية على الإسلام، وقد توافقت مصلحتهم مع مصلحة علي ضد الخصم المشترك، وبالتالي، فإن دعمهم له هو مصلحي بقدر ما كان على يشاطرهم آراءهم، وسوف يقاتلون من أجل فكرتهم عن العدل والعدالة، لكن الخلافات بين الطرفين سوف تغيب الآن بفعل قرب الخطر والمعركة المشتركة، وحضور علي، وبحركة قادتهم النشطة، وستنفجر بعد القتال في صفين.

وتلقى علي مساعدة محدودة من قبائل البصرة، النصف تقريبًا، وذلك بسبب مواقفها السابقة من أحداث الفتنة المتمثلة في تأييدهم لسياسة عثمان، ومعارضتهم لقتله، ووقوفهم وراء أصحاب الجمل.

وساند المهاجرون والأنصار، وذوو الأصل البدوي المقيمون في المدينة، عليًا، سبعون من أهل بدر، وسبعمائة ممن بايع تحت الشجرة، وأربعمائة من سائر المهاجرين والأنصار، إنهم نسبيًا قليلو العدد بالمقارنة مع الجماعتين الكبيرتين الكوفية والبصرية، ولكنهم كانوا مع ذلك يملكون قوة معنوية

كبيرة بوصفهم كانوا صحابة، وأبناء الصحابة وأنصار رسول الله الذين ذكرهم الله في كتابه، والمعروف أنه جرى تهميشهم على أيدي الخلفاء الثلاثة السابقين، فرفعهم علي بعد أن بنى شرعيته على إجماعهم، وبفعل أنه أراد أن يمارس سياسة إسلامية بعيدة عن الشعور القبلي المحض.

وهكذا نجح علي في تشكيل تجمع من المقاتلين إلى جانبه، ويعد هذا انتصارًا بحد ذاته، غير أن التشكيل جاء غير متجانس، وغير منسجم عقائديًا، وإقليميًا وقبليًا، إذ ضم عناصر متباينة في الولاء والمفاهيم والتوجهات، فهناك المهاجرون والأنصار، وأشراف القبائل وأهل القادسية، والأيام والروادف وجماعات القراء، وهي عناصر تتفاوت في درجة تقديرها لمصالحها، وفي نظرتها لقريش، ولسلطان المدينة، وفي تقييمها لأبعاد الصراع الذي تخوضه، بدليل أنها ظلت مثار شكوى على منذ انطلاقه لمواجهة معاوية وحتى مقتله.

التعبئة البشرية في قوات معاوية:

وقفت القوى في بلاد الشام بأجمعها وراء معاوية، وساندته بكل قواها، ودعمته بشكل مطلق، وذلك بدافع:

- الشعور البدائي بعصبية الدم.
- الكبرياء والكراهية.
- عدم القبول بسيطرة أهل العراق.

شكلت هذه القوى تجمعًا مؤتلفًا نسبيًا، ووحدة إقليمية مماثلة لوحدة الكوفة وحدها أو البصرة وحدها، لكنها كانت متباعدة جغرافيًا، فقد أقام القيسيون في الجزيرة حول قرقيسياء، واتخذت الجماعات اليمنية الكبرى مكانًا لها، ومجالا حول حمص، واستوطنت قضاعة، لا سيما لخم وجذام، ساحل فلسطين والأردن، مع امتداد باتجاه الصحراء الشامية، ومن محاسن هذا التبعثر أنه يستبعد الاحتكاكات القبلية، ويسمح بتعايش منسجم، لكنه بحاجة إلى قوة توحيدية ومطاعة، وبخاصة أن بلاد الشام كانت في وضع حدودي ودفاعي دائم بسبب التهديد البيزنطي المستمر، لذلك كانت هذه القوى في حال جهوزية دائمة، ومدربة على القتال، من هنا كان الشعور بالحرص على الأرض والدفاع عنها، والاستقرار والولاء الشديد للسلطة.

كانت بلاد الشام مصونة من كل أشكال الاعتداءات الخارجية في ظل حكم معاوية، وآل الأمر بالشاميين إلى تكوين عالم خاص، ملك قائم بذاته، وليس مستغربًا أن تتوافق خصوصيتهم مع قضية الخليفة المقتول، وأن تعزز شعورًا قويًا لصالح البيت الأموي، في ميله الانتقامي لقتلة عثمان، وفي طموحه السياسي وفي رفضه القبول ببيعة علي، وكان ذلك يزداد بقدر ما كان يتراءى لهم أن عليًا أضحى رجل العراقيين(١).

١- ((تاريخ الخلفاء)) طقوش (ص: ٤٥٧ - ٤٥٩).

القتال على الماء:

فوجئ جيش العراق بمنع الماء عنهم، وفي هذا أكبر الضرر على جيش العراق ذا العدد الضخم، فاشتكى الجيش إلى علي فأرسل من يقاتلهم على الماء.

عن حُجْرَ بْنَ عَنْبَسٍ، قَالَ: قِيلَ لِعَلِيٍّ يَوْمَ صِفِّينَ: قَدْ حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمَاءِ، قَالَ: فَقَالَ: أَرْسِلُوا إِلَى الْأَشْعَثِ: قَالَ: فَجَاءَ فَقَالَ: ائْتُونِي بِدِرْعِ ابْنِ سَهَرٍ رَجُلٌ مِنْ بَنِي بِرَاءٍ فَصَبَّهَا عَلَيْهِ ثُمَّ أَتَاهُمْ فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى أَزَالَهُمْ عَنِ الْمَاءِ[1].

عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: إِنَّا لَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى مُعَاوِيَةَ وَجَدْنَاهُ قَدْ عَسْكَرَ فِي مَوْضِعٍ سَهْلٍ أُفَيْحٍ قَدِ اخْتَارَهُ قَبْلَ قُدُومِنَا إِلَى جَانِبِ شَرِيعَةٍ فِي الْفُرَاتِ، لَيْسَ فِي ذَلِكَ الصَّقْعُ شَرِيعَةٌ غَيْرُهَا، وَجَعَلَهَا فِي حَيْزِهِ، وَبَعَثَ عَلَيْهَا أَبَا الأَعْوَرِ يَمْنَعُهَا وَيَحْمِيهَا، فَارْتَفَعْنَا عَلَى الْفُرَاتِ رَجَاءَ أَنْ نَجِدَ شَرِيعَةً غَيْرَهَا نَسْتَغْنِي بِهَا عَنْ شَرِيعَتِهِمْ فَلَمْ نَجِدْهَا، فَأَتَيْنَا عَلِيًّا فَأَخْبَرْنَاهُ بِعَطَشِ النَّاسِ، وَأَنَّا لا نَجِدُ غَيْرَ شَرِيعَةِ الْقَوْمِ قَالَ: فَقَاتِلُوهُمْ عَلَيْهَا فَجَاءَهُ الأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ الْكِنْدِيُّ فَقَالَ: أَنَا أَسِيرُ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: فَسِرْ إِلَيْهِمْ فَسَارَ وَسِرْنَا مَعَهُ، حَتَّى إِذَا دَنَوْنَا مِنَ الْمَاءِ ثَارُوا فِي وُجُوهِنَا يَنْضَحُونَنَا بِالنَّبْلِ، وَرَشَقْنَاهُمْ وَاللَّهِ بِالنَّبْلِ سَاعَةً، ثُمَّ أَطَعْنَا وَاللَّهِ بِالرِّمَاحِ طَوِيلا، ثُمَّ صِرْنَا آخِرَ ذَلِكَ نَحْنُ

---

١ - إسناده حسن: أخرجه ابن أبي شيبة في ((مصنفه)) (كِتَابُ الْجَمَلِ) (بَابُ مَا ذُكِرَ فِي صِفِّينَ) (رقم: ٣٧٨٥٥)، وخليفة بن خياط في ((تاريخه)) (تَفْصِيل خبر صفّين) (ص: ١٩٣).

وَالْقَوْمُ إِلَى السُّيُوفِ فَاجْتَلَدْنَا بِهَا سَاعَةً ثُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ أَتَاهُمْ يَزِيدُ بْنُ أَسَدٍ الْبَجَلِيُّ مُمِدًّا فِي الْخَيْلِ وَالرِّجَالِ، فَأَقْبَلُوا نَحْوَنَا، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: فَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لا يَبْعَثُ إِلَيْنَا بِمَنْ يُغْنِي عَنَّا هَؤُلاءِ، فَذَهَبْتُ فَالْتَفَتُّ فَإِذَا عِدَّةُ الْقَوْمِ أَوْ أَكْثَرُ، قَدْ سَرَّحَهُمْ إِلَيْنَا لِيُغْنُوا عَنَّا يَزِيدَ بْنَ أَسَدٍ وَأَصْحَابَهُ، عَلَيْهِمْ شَبَثُ بْنُ ربعي الرياحي فو الله مَا ازْدَادَ الْقِتَالُ إِلا شِدَّةً وَخَرَجَ إِلَيْنَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ مِنْ عَسْكَرِ مُعَاوِيَةَ فِي جُنْدٍ كَثِيرٍ، فَأَخَذَ يَمُدُّ أَبَا الأَعْوَرِ وَيَزِيدَ بْنَ أَسَدٍ، وَخَرَجَ الأَشْتَرُ مِنْ قِبَلِ عَلِيٍّ فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ فَلَمَّا رَأَى الأَشْتَرُ عَمْرَو بن العاص يَمُدُّ أَبَا الأَعْوَرِ وَيَزِيدَ بْنَ أَسَدٍ، أَمَدَّ الأَشْعَثَ بْنَ قَيْسٍ وَشَبَثَ بْنَ رِبْعِيٍّ، فَاشْتَدَّ قِتَالُنَا وَقِتَالُهُمْ، ... قَالَ ظبيان: فضربناهم وَاللَّهِ حَتَّى خلونا وإياه[١].

ووردت روايات أخرى أن بعض أهل الشام أراد منع الماء فاعترض علي، لَمَّا قَاتَلَ مُعَاوِيَةَ سَبَقَهُ إِلَى الْمَاءِ فَقَالَ: دَعُوهُمْ، فَإِنَّ الْمَاءَ لَا يُمْنَعُ[٢].

قتال الكتائب:

وقد كان القتال على الماء في أول يوم تواجها فيه في بداية شهر ذي الحجة فاتحة شر على الطرفين المسلمين، إذ استمر القتال بينهما متواصلاً

١- إسناده ضعيف: أخرجه نصر بن مزاحم في ((وقعة صفين)) (ص: ١٧٣)، من طريق (رجل من آل خارجة بن التميمي) وهو مبهم مجهول لا يدرى من هو، ومن طريق هذا المجهول أخرجه الطبري في ((تاريخه)) (٤/ ٥٧٠).
٢- إسناده ضعيف: أخرجه ابن أبي شيبة في ((مصنفه)) (كِتَابُ الْجَمَلِ) (بَابُ مَا ذُكِرَ فِي صِفِّينَ) (رقم: ٣٧٨٥٠).

طوال هذا الشهر، وكان القتال على شكل كتائب صغيرة، فكان على رضي الله عنه يخرج من جيشه كتيبة صغيرة يؤمر عليها أميرًا، فتقتتلان مرة واحدة في اليوم، في الغداة أو العشي، وفي بعض الأحيان تقتتلان مرتين في اليوم، وكان أغلب من يخرج من أمراء الكتائب في جيش على، الأشتر، وحجر بن عدى، وشبث بن ربعي، وخالد بن المعتمر، ومعقل بن يسار الرياحي، ومن جيش معاوية أغلب من يخرج، حبيب بن مسلمة، وعبد الرحمن بن خالد ابن الوليد، وعبيد الله بن عمر بن الخطاب، وأبو الأعور السلمي، وشرحبيل بن السمط، وقد تجنبوا القتال بكامل الجيش خشية الهلاك والاستئصال، وأملاً في وقوع صلح بين الطرفَين، تصان به الأرواح الدماء.

الموادعة بينهما:

ما إن دخل شهر المحرم، حتى بادر الفريقان إلى الموادعة والهدنة طمعًا في صلح يحفظ دماء المسلمين، فاستغلوا هذا الشهر في المراسلات بينهم، ولكن المعلومات عن مراسلات هذه الفترة - شهر المحرم - وردت من طرق ضعيفة، مشهورة، إلا أن ضعفها لا ينفى وجودها، كان البادئ بالمراسلة أمير المؤمنين على ابن أبى طالب رضي الله عنه، فأرسل بشير بن عمرو الأنصاري، وسعيد بن قيس الهمداني، وشبث بن ربعي التميمي إلى معاوية، رضي الله عنه، يدعوه كما دعاه من قبل إلى الدخول في الجماعة والمبايعة، فرد معاوية عليه برده السابق المعروف، بتسليم قتلة عثمان أو القود منهم

أولاً، ثم يدخل في البيعة، وقد تبين لنا موقف على من هذه القضية، كما أن قراء الفريقين، قد عسكروا في ناحية من صفين، وهم عدد كبير، قد قاموا بمحاولات للصلح بينهما، فلم تنجح تلك المحاولات لالتزام كل فريق منهما برأيه وموقفه، وقد حاول اثنان من الصحابة، وهما أبو الدرداء، وأبو أمامة، رضي الله عنهما، الصلح بين الفريقين، فلم تنجح مهمتهما أيضًا لنفس الأسباب السابقة، فتركا الفريقين ولم يشهدا معهما أمرهما، وكذلك حضر مسروق بن الأجدع - أحد كبار التابعين- فوعظ، وخوف ولم يقاتل[1].

وقد انتقد ابن كثير التفصيلات الطويلة التي جاءت في روايات أبى مخنف ونصر بن مزاحم، بخصوص المراسلات بين الطرفين، يقول ابن كثير: ثُمَّ ذَكَرَ أَهْلُ السِّيَرِ كَلَامًا طَوِيلًا جَرَى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَلِيٍّ، وَفِي صِحَّةِ ذَلِكَ عَنْهُمْ وَعَنْهُ نَظَرٌ، فَإِنَّ فِي مَطَاوِي ذَلِكَ الْكَلَامِ مِنْ كَلَامِ عَلِيٍّ مَا يَنْتَقِصُ فِيهِ مُعَاوِيَةَ وَأَبَاهُ، وَإِنَّهُمْ إِنَّمَا دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ كَرْهًا وَلَمْ يَزَالَا فِي تَرَدُّدٍ فِيهِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ قَالَ فِي غُبُونِ ذَلِكَ: لَا أَقُولُ إِنَّ عُثْمَانَ قُتِلَ مَظْلُومًا وَلَا ظَالِمًا. فَقَالُوا: نَحْنُ نَبْرَأُ مِمَّنْ لَمْ يَقُلْ: إِنَّ عُثْمَانَ قُتِلَ مَظْلُومًا. وَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ، فَقَالَ عَلِيٌّ: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ﴾ [النمل: ٨٠ - ٨١].

---

١ - ((أسمى المطالب)) (٢/ ٦٣٣ - ٦٣٤).

ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: لَا يَكُنْ هَؤُلَاءِ أَوْلَى بِالْجِدِّ فِي ضَلَالَتِهِمْ مِنْكُمْ بِالْجِدِّ فِي حَقِّكُمْ وَطَاعَةِ نَبِيِّكُمْ. وَهَذَا عِنْدِي لَا يَصِحُّ عَنْ عَلِيٍّ، رضي الله عنه[١].

نشوب القتال:

فشلت المحاولات في حال القضية، ورأى علي أن الأمر لن ينتهي إلا بالقتال، قال شيخ الإسلام: وعلي بدأ بالقتال أصحاب معاوية، ولم يكونوا يقاتلونه، ولكن امتنعوا من بيعته.

فإن جاز قتال من امتنع عن بيعة الإمام الذي بايعه نصف المسلمين، أو أكثرهم أو نحو ذلك، فقتال من قاتل وقتل الإمام الذي أجمع المسلمون على بيعته أولى بالجواز[٢].

وقد حكى الطبري عدة وقائع حتى أشار علي بالقتال، فعن زيد بن وهب، أن عَلِيًّا قَالَ: حَتَّى متى لا نناهض هَؤُلاءِ القوم بأجمعنا! فقام فِي الناس عشية الثلاثاء، ليلة الأربعاء بعد العصر، فقال: الحمد لله الَّذِي لا يبرم مَا نقض، وما أبرم لا ينقضه الناقضون، لو شاء مَا اختلف اثنان من خلقه، وَلا تنازعت الأمة فِي شَيْءٍ من أمره، وَلا جحد المفضول ذا الفضل فضله، وَقَدْ ساقتنا وهؤلاء القوم الأقدار، فلفت بيننا فِي هَذَا المكان، فنحن من ربنا بمرأى ومسمع، فلو شاء عجل النقمة، وَكَانَ مِنْهُ التغيير،

١- ((البداية والنهاية)) (١٠/ ٥٠٥).

٢- ((منهاج السنة)) (٤/ ٤٥٩).

حَتَّى يكذب اللَّه الظالم، ويعلم الحق أين مصيره، ولكنه جعل الدُّنْيَا دار الأعمال، وجعل الآخرة عنده هي دار القرار، ليجزي الَّذِينَ أساءوا بِمَا عملوا ويجزي الَّذِينَ أحسنوا بالحسنى أَلا إنكم لاقو القوم غدا، فأطيلوا الليلة القيام، وأكثروا تلاوة القرآن، وسلوا اللَّه ﷻ النصر والصبر، والقوهم بالجد والحزم، وكونوا صادقين ثُمَّ انصرف، ووثب الناس إِلَى سيوفهم ورماحهم ونبالهم يصلحونها...[1].

وعن حجر بْن عَنبس قَالَ: حيل بَين عَلِيّ وَبَين المَاء فَقَالَ أرْسلُوا إِلَى الْأَشْعَث بْن قيس فأزالهم عَن المَاء ثمَّ التقى النَّاس يَوْم الْأَرْبَعَاء لسبع خلون من صفر سنة سبع وَثَلَاثِينَ ولواء عَلِيّ مَعَ هَاشم بْن عتبَة بْن أَبِي وَقاص وَفِي ميسرَة عَلِيّ ربيعَة وَعَلَيْهِم ابْن عَبَّاس وَفِي ميمنة عَلِيّ أهل الْيمن عَلَيْهِم الْأَشْعَث بْن قيس وَعلي فِي الْقلب فِي مُضر الْبَصْرَة والكوفة ولواء مُعَاوِيَة مَعَ الْمخَارِق بْن الصَّباح الكلَاعِي وَفِي ميسرَة مُعَاوِيَة مُضر عَلَيْهِم ذُو الكلاع وَفِي ميمنته أهل الْيمن وَمُعَاوِيَة فِي الشَّهْبَاء أَصْحَاب الْبيض والدروع أَبُو غَسَّان قَالَ نَا عَبْد السَّلَام بْن حَرْب عَن يَزِيد بْن عَبْد الرَّحْمَن عَن جَعْفَر أَظُنهُ ابْن أَبِي الْمُغيرَة عَن عَبْد اللَّهِ بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن أَبْزى عَن أَبِيه قَالَ شَهِدنَا مَعَ عَلِيّ ثَمَان مائَة فَاقْتَتلُوا يَوْم الْأَرْبَعَاء وَيَوْم الْخَمِيس

١- إسناده ضعيف: أخرجه نصر بن مزاحم في ((وقعة صفين)) (ص: ٢٢٥)، والطبري في ((تاريخه)) (٥/ ١٣-١٤).

وَيَوْم الْجُمُعَة وَلَيْلَة السبت ثمَّ رفعت الْمَصَاحِف ودعوا إِلَى الصُّلْح(١).

وقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: «لَمَّا كَانَ زَمَنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمُعَاوِيَةَ، وَإِنِّي لَشَابٌّ، الْقِتَالُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الطَّعَامِ الطَّيِّبِ، فَتَجَهَّزْتُ بِجَهَازٍ حَسَنٍ حَتَّى أَتَيْتُهُمْ، فَإِذَا صَفَّانِ لَا يُرَى طَرَفَاهُمَا، إِذَا كَبَّرَ هَؤُلَاءِ كَبَّرَ هَؤُلَاءِ، وَإِذَا هَلَكَ هَؤُلَاءِ هَلَكَ هَؤُلَاءِ» قَالَ: «فَرَاجَعْتُ نَفْسِي»، فَقُلْتُ: «أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَنْزِلُهُ كَافِرًا، وَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَنْزِلُهُ مُؤْمِنًا؟ أَوَمَنْ أَكْرَهَنِي عَلَى هَذَا؟ فَمَا أَمْسَيْتُ حَتَّى رَجَعْتُ وَتَرَكْتُهُمْ»(٢).

ومع ذلك فإن عليًا لم يكفر أهل الشام، وفي ليلة خرج علي إلى ساحة القتال، قال أحدهم: رَأَيْتُ عَلِيًّا خَرَجَ فِي بَعْضِ تِلْكَ اللَّيَالِي، فَنَظَرَ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلَهُمْ(٣).

وسمع علي رجلًا يسب أهل الشام، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَفْوَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ يَوْمَ صِفِّينَ: اللَّهُمَّ الْعَنْ أَهْلَ الشَّامِ فَقَالَ: عَلِيٌّ «لَا تَسُبَّ

١- إسناده حسن: أخرجه خليفة في ((تاريخه)) (تَفْصِيل خبر صفّين) (ص: ١٩٣- ١٩٤).

٢- إسناده حسن: أخرجه أحمد في ((العلل ومعرفة الرجال- رواية عبدالله)) (٣/ ٤٢٦)، وابن سعد في ((الطبقات الكبرى)) (٧/ ١١٤)، وابن عساكر في ((تاريخه)) (١٨/ ١٨١، ١٨٢)

٣- إسناده ضعيف: أخرجه ابن أبي شيبة في ((مصنفه)) (كِتَابُ الْجَمَلِ) (بَابُ مَا ذُكِرَ فِي صِفِّينَ) (رقم: ٣٧٨٦٥)، وابن عساكر في ((تاريخه)) (١/ ٣٤٦)، وابن العديم في ((بغية الطلب في تاريخ حلب)) (١/ ٣٠٣).

أَهْلَ الشَّامِ جَمًّا غَفِيرًا فَإِنَّ بِهَا الْأَبْدَالَ، فَإِنَّ بِهَا الْأَبْدَالَ، فَإِنَّ بِهَا الْأَبْدَالَ»[١]

.وفي تلك الليالي استشهد عمار بن ياسر:

ومن أخباره في تلك المعركة، عَنْ زِيَادِ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ: كُنْتُ إِلَى جَنْبِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ بِصِفِّينَ، وَرُكْبَتِي تَمَسُّ رُكْبَتَهُ، فَقَالَ رَجُلٌ: كَفَرَ أَهْلُ الشَّامِ، فَقَالَ عَمَّارٌ: لَا تَقُولُوا ذَلِكَ نَبِيُّنَا وَنَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ، وَقِبْلَتُنَا وَقِبْلَتُهُمْ وَاحِدَةٌ; وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ مَفْتُونُونَ جَارُوا عَنِ الْحَقِّ، فَحَقَّ عَلَيْنَا أَنْ نُقَاتِلَهُمْ حَتَّى يَرْجِعُوا إِلَيْهِ[٢].

عن عَبْد اللَّهِ بْن سَلَمَةَ، يَقُولُ: رَأَيْتُ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ يَوْمَ صِفِّينَ شَيْخًا آدَمَ وَإِنَّ فِي يَدِهِ الْحَرْبَةَ وَإِنَّهَا لَتُرْعَدُ فَنَظَرَ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَبِيَدِهِ الرَّايَةُ فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ لَرَايَةٌ قَدْ قَاتَلْتُهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَاللَّهِ لَوْ ضَرَبُونَا حَتَّى يَبْلُغُوا بِنَا سَعَفَاتِ هَجَرَ لَعَرَفْتُ أَنَّ مَصْلَحَتَنَا عَلَى الْحَقِّ

١- ضعيف: أخرجه عبد الرزاق في ((مصنفه)) (بَابُ الشَّام) (١١/ ٢٤٩) (رقم: ٢٠٤٥٥)، وأحمد في ((فضائل الصحابة)) (فَضَائِلُ قَوْمٍ شَتَّى مِنْ أَهْلِ الشَّام) (رقم: ١٧٢٦)، وابن المبارك في ((الجهاد)) (ص: ١٥٢)، والفسوي في ((المعرفة والتاريخ)) (٢/ ٣٠٥)، وابن أبي الدنيا في ((الأولياء)) (ص: ٣٠)، والسمعاني في ((فضائل الشام)) (ص: ٥٠)، وابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (١/ ٣٣٧فما بعدها)، وابن العديم في ((بغية الطلب في تاريخ حلب)) (١/ ٢٩٨)، والضياء في ((الأحاديث المختارة)) (٢/ ١١١)، وقال: ((شُرَيْحُ بْنُ عُبَيْد شَامِيٌّ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ وَغَيْرَهُ مِنْ أَهْلِ الشَّام وَلا أَتَحَقَّقُ هَلْ سَمِعَ مِنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلامُ أَمْ لاَ وَصَفْوَانُ بْنُ عبد الله بْنِ صَفْوَانَ سَمِعَ عَلِيًّا وَغَيْرَهُ فَكَأَنَّ الْمَوْقُوفَ أَوْلَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَقَدْ تَابَعَ صَالِحُ بْنُ كيسَانَ معمرا عَنِ الزُّهْرِيِّ)).

٢- إسناده حسن: أخرجه ابن أبي شيبة في ((مصنفه)) (كتاب الجمل) (باب ما ذكر في صفين) (رقم: ٣٨٩٩٦).

وَأَنَّهُمْ عَلَى الضَّلَالَةِ»(١).

عن عَبْد اللَّهِ بْن وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، سَمِعْتُ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ، بِصِفِّينَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ، وَهُوَ يُنَادِي: «أُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ، وَزُوِّجَتِ الْحُورُ الْعَيْنُ، الْيَوْمَ نَلْقَى حَبِيبَنَا مُحَمَّدًا ﷺ عَهِدَ إِلَيَّ أَنَّ آخِرَ زَادِكَ مِنَ الدُّنْيَا ضَيْحٌ مِنْ لَبَنٍ»"(٢).

وأما قاتله فهو أبو الغادية الجهني، روى ابن سعد عَنْ أَبِي غَادِيَةَ قَالَ: " سَمِعْتُ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ يَقَعُ فِي عُثْمَانَ يَشْتِمُهُ بِالْمَدِينَةِ. قَالَ: فَتَوَعَّدْتُهُ بِالْقَتْلِ، قُلْتُ: لَئِنْ أَمْكَنَنِي اللَّهُ مِنْكَ لَأَفْعَلَنَّ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ صِفِّينَ جَعَلَ عَمَّارٌ يَحْمِلُ عَلَى النَّاسِ، فَقِيلَ: هَذَا عَمَّارٌ فَرَأَيْتُ فُرْجَةً بَيْنَ الرِّئَتَيْنِ وَبَيْنَ السَّاقَيْنِ، قَالَ: فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ فَطَعَنْتُهُ فِي رُكْبَتِهِ، قَالَ: فَوَقَعَ فَقَتَلْتُهُ، فَقِيلَ: قَتَلْتَ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ، وَأُخْبِرَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ قَاتِلَهُ وَسَالِبَهُ فِي النَّارِ» فَقِيلَ لِعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: هُوَ ذَا أَنْتَ تُقَاتِلُهُ، فَقَالَ: إِنَّمَا قَالَ: «قَاتِلَهُ وَسَالِبَهُ»(٣).

١- إسناده صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة في ((مصنفه)) (كتاب الجمل) (باب ما ذكر في صفين) (رقم: ٣٨٩٩٤)، والطيالسي في ((مسنده)) (٢/ ٣٤).

٢- إسناده صحيح: أخرجه الحاكم في ((المستدرك)) (كِتَابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) (ذِكْرُ مَنَاقِب عَمَّار بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) (رقم: ٥٦٦٨) وقال: ((صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ))، وابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (٤٣/ ٤٦٨)، وانظر: ((سير أعلام النبلاء)) (١/ ٤٢٥).

٣- فيه مقال: أخرجه ابن سعد في ((الطبقات الكبرى)) (٣/ ٢٦٠، ٢٦١).

وكان لحديث عِكْرِمَةَ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ، قَالَ لَهُ وَلِعَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ ائْتِيَا أَبَا سَعِيدٍ فَاسْمَعَا مِنْ حَدِيثِهِ، فَأَتَيْنَاهُ وَهُوَ وَأَخُوهُ فِي حَائِطٍ لَهُمَا يَسْقِيَانِهِ، فَلَمَّا رَآنَا جَاءَ، فَاحْتَبَى وَجَلَسَ، فَقَالَ: كُنَّا نَنْقُلُ لَبِنَ المَسْجِدِ لَبِنَةً لَبِنَةً، وَكَانَ عَمَّارٌ يَنْقُلُ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ، فَمَرَّ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَمَسَحَ عَنْ رَأْسِهِ الغُبَارَ، وَقَالَ: «وَيْحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ، عَمَّارٌ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ، وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ»[1].

كان لهذا الحديث أثر على القتال:

قال ابن كثير: وَهَذَا مَقْتَلُ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، رضي الله عنه.

قَتَلَهُ أَهْلُ الشَّامِ وَبَانَ بِذَلِكَ وَظَهَرَ سِرُّ مَا أَخْبَرَ بِهِ الرَّسُولُ، ﷺ، مِنْ أَنَّهُ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ، وَبَانَ بِذَلِكَ أَنَّ عَلِيًّا مُحِقٌّ وَأَنَّ مُعَاوِيَةَ بَاغٍ وَمَا فِي ذَلِكَ مِنْ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ[2].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ قَالَ: رَجَعْتُ مَعَ مُعَاوِيَةَ مِنْ صِفِّينَ فَكَانَ مُعَاوِيَةُ وَأَبُو الْأَعْوَرِ السُّلَمِيُّ يَسِيرُونَ مِنْ جَانِبٍ، وَرَأَيْتُهُ يَسِيرُونَ مِنْ جَانِبٍ، فَكُنْتُ بَيْنَهُمْ لَيْسَ أَحَدٌ غَيْرِي، فَكُنْتُ أَحْيَانًا أُوضِعُ إِلَى هَؤُلَاءِ، وَأَحْيَانًا أُوضِعُ إِلَى هَؤُلَاءِ، فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو يَقُولُ لِأَبِيهِ: أَبَتِ، أَمَا سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِعَمَّارٍ حِينَ يَبْنِي الْمَسْجِدَ: «إِنَّكَ لَحَرِيصٌ عَلَى

١- حديث صحيح: أخرجه الإمام البخاري في ((صحيحه)) (كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ) (بَابُ مَسْحِ الغُبَارِ عَنِ الرَّأْسِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) (رقم: ٢٨١٢).

٢- ((البداية والنهاية)) (١٠/ ٥٢٧).

الْأَجْرِ»، قَالَ: أَجَلْ، قَالَ: «وَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَلَتَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ»، قَالَ: بَلَى، قَدْ سَمِعْتُهُ، قَالَ: فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُ؟ قَالَ: فَالْتَفَتَ إِلَيَّ مُعَاوِيَةُ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ هَذَا، قَالَ: أَمَا سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِعَمَّارٍ وَهُوَ يَبْنِي الْمَسْجِدَ: «وَيْحَكَ، إِنَّكَ لَحَرِيصٌ عَلَى الْأَجْرِ، وَلَتَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ؟»، قَالَ: بَلَى قَدْ سَمِعْتُهُ، قَالَ: فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُ؟ قَالَ: وَيْحَكَ مَا تَزَالُ تَدْحَضُ فِي بَوْلِكَ، أَوَنَحْنُ قَتَلْنَاهُ؟ إِنَّمَا قَتَلَهُ مَنْ جَاءَ بِهِ[١].

فقد تأول معاوية هذا التأول، ووافقه عليه أهل الشام .

وعارض بعض الصحابة ذلك، عَنْ حَنْظَلَةَ بْنِ خُوَيْلِدٍ الْعَنَزِيِّ، قَالَ: إِنِّي لَجَالِسٌ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ إِذْ أَتَاهُ رَجُلَانِ يَخْتَصِمَانِ فِي رَأْسِ عَمَّارٍ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَقُولُ: أَنَا قَتَلْتُهُ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو: لِيَطِبْ بِهِ أَحَدُكُمَا نَفْسًا لِصَاحِبِهِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: أَلَا تُغْنِي عَنَّا مَجْنُونَكَ يَا عَمْرُو، فَمَا بَالُكَ مَعَنَا؟ قَالَ: إِنِّي مَعَكُمْ وَلَسْتُ أُقَاتِلُ، إِنَّ أَبِي شَكَانِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَطِعْ أَبَاكَ مَا دَامَ حَيًّا وَلَا تَعْصِهِ " فَأَنَا مَعَكُمْ، وَلَسْتُ أُقَاتِلُ[٢].

١- إسناده حسن: أخرجه أبو يعلى الموصلي في ((مسنده)) (مُسْنَدُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) (١٣/ ٣٣٣، ٣٣٤) (رقم: ٧٣٥١).

٢- إسناده صحيح: أخرجه ابن سعد في ((الطبقات الكبرى)) (٣/ ٢٥٣)، وأحمد في ((مسنده)) (مُسْنَدُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا) (رقم: ٦٥٣٨، ٦٩٢٩)، وابن عساكر في ((تاريخه)) (٤٣/ ٤٢٤)، وابن العديم في ((بغية الطلب في تاريخ حلب)) (٦/ ٢٩٨٥).

اشتداد القتال :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: رَأَيْتُ عَلِيًّا يَوْمَ صِفِّينَ وَمَعَهُ سَيْفُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذُو الْفِقَارِ قَالَ: فَنَضْبِطُهُ فَيَفْلِتُ فَيَحْمِلُ عَلَيْهِمْ، قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ، قَالَ: ثُمَّ يَحْمِلُ عَلَيْهِمْ، قَالَ، فَجَاءَ بِسَيْفِهِ قَدْ تَثَنَّى، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا يَعْتَذِرُ إِلَيْكُمْ "[١].

عن ابن عباس أن رجلاً قال له: أكان علي بن أبي طالب يباشر القتال بنفسه؟ قال: إي والله، ما رأيت رجلاً أطرح لنفسه في متلفٍ من علي، فلربما رأيته يخرج حاسرًا بيده السيف إلى الرجل الدراع فيقتله[٢].

حال علي :

كان رابط الجأش، عليه السكينة، لسانه رطب من ذكر الله، عَنِ الْحَكَمِ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي لَيْلَى، حَدَّثَنَا عَلِيٌّ، أَنَّ فَاطِمَةَ، اشْتَكَتْ مَا تَلْقَى مِنَ الرَّحَى فِي يَدِهَا، وَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ سَبْيٌ، فَانْطَلَقَتْ، فَلَمْ تَجِدْهُ وَلَقِيَتْ عَائِشَةَ، فَأَخْبَرَتْهَا فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ إِلَيْهَا، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْنَا، وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْنَا نَقُومُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَى مَكَانِكُمَا» فَقَعَدَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمِهِ عَلَى صَدْرِي، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَا، إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا، أَنْ تُكَبِّرَا اللهَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، وَتُسَبِّحَاهُ

١- إسناده حسن: أخرجه ابن أبي شيبة في ((مصنفه)) (كِتَابُ الْجَمَلِ) (بَابُ مَا ذُكِرَ فِي صِفِّينَ) (رقم: ٣٧٨٧٨)، وابن أبي الدنيا في ((مكارم الأخلاق)) (بَابٌ فِي صِدْقِ الْبَأْسِ، وَمَا جَاءَ فِيهِ) (رقم: ١٦٠).

٢- إسناده ضعيف جدًّا: أخرجه ابن المغازلي في ((مناقب علي)) (ص: ١٢٣) (رقم: ١٠٣).

ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدَاهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَهْوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ» .

وعَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ عَلِيٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِنَحْوِ حَدِيثِ الْحَكَمِ، عَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، وَزَادَ فِي الْحَدِيثِ قَالَ عَلِيٌّ: مَا تَرَكْتُهُ مُنْذُ سَمِعْتُهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، قِيلَ لَهُ: وَلَا لَيْلَةَ صِفِّينَ؟ قَالَ: وَلَا لَيْلَةَ صِفِّينَ. وَفِي حَدِيثِ عَطَاءٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: وَلَا لَيْلَةَ صِفِّينَ[1].

وصف القتال:

عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ لَقِيطٍ قَالَ: شَهِدْنَا صِفِّينَ مَعَ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ قَالَ فَمَطَرَتِ السَّمَاءُ عَلَيْنَا دَمًا عَبِيطًا قَالَ اللَّيْثُ فِي حَدِيثِهِ حَتَّى أَنْ كَانُوا لَيَأْخُذُونَهُ بِالصِّحَافِ وَالْآنِيَةِ قَالَ ابْنُ لَهِيعَةَ: فَتَمْتَلِئُ وَنُهْرِيقُهَا[2].

يقول شاهد عيان: اقتتلنا ثلاثة أيام وثلاث ليال حتى تكسرت الرماح ونفدت السهام ثم صرنا إلى المسايفة فاجتلدنا بها إلى نصف الليل حتى صرنا نعانق بعضنا بعضًا، ولما صارت السيوف كالمناجل تضاربنا بعمد الحديد، فلا تسمع إلا غمغمة وهمهمة القوم، ثم ترامينا بالحجارة وتحاثينا بالتراب وتعاضينا بالأسنان وتكادمنا بالأفواه إلى أن أصبحوا في

١- حديث صحيح: أخرجه الإمام البخاري في ((صحيحه)) (كِتَابُ النَّفَقَاتِ) (بَابُ خَادِمِ المَرْأَةِ) (رقم: ٥٣٦٢)، والإمام مسلم في ((صحيحه)) (كِتَابُ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ) (بَابُ التَّسْبِيحِ أَوَّلَ النَّهَارِ وَعِنْدَ النَّوْمِ) (رقم: ٢٧٢٧).
٢- ((البداية والنهاية)) (١٠/ ٥٢٠).

يوم الجمعة وارتفعت الشمس وإن كانت لا ترى من غبار المعركة وسقطت الألوية والرايات، وأنهك الجيش التعب وكلت الأيدي وجفت الحلوق[١].

ويقول ابن كثير: قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ عَمَّارًا لَمَّا قُتِلَ قَالَ عَلِيٌّ لِرَبِيعَةَ وَهَمْدَانَ: أَنْتُمْ دِرْعِي وَرُمْحِي. فَانْتُدِبَ لَهُ نَحْوٌ مِنَ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا، وَتَقَدَّمَهُمْ عَلَى بَغْلَتِهِ فَحَمَلَ وَحَمَلُوا مَعَهُ حَمْلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَلَمْ يَبْقَ لِأَهْلِ الشَّامِ صَفٌّ إِلَّا انْتَقَضَ، وَقَتَلُوا كُلَّ مَنِ انْتَهَوْا إِلَيْهِ، حَتَّى بَلَغُوا مُعَاوِيَةَ، وَعَلِيٌّ يُقَاتِلُ وَيَقُولُ:

أَضْرِبُهُمْ وَلَا أَرَى مُعَاوِيَةْ ... الْجَاحِظَ الْعَيْنِ الْعَظِيمَ الْحَاوِيَةْ

قَالَ ثُمَّ دَعَا عَلِيٌّ مُعَاوِيَةَ إِلَى أَنْ يُبَارِزَهُ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ أَنْ يَبْرُزَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يُبَارِزْهُ رَجُلٌ قَطُّ إِلَّا قَتَلَهُ، وَلَكِنَّكَ طَمِعْتَ فِيهَا بَعْدِي. ثُمَّ قَدَّمَ عَلِيٌّ ابْنَهُ مُحَمَّدًا فِي عِصَابَةٍ كَثِيرَةٍ مِنَ النَّاسِ، فَقَاتَلُوهُ قِتَالًا شَدِيدًا، ثُمَّ أَتْبَعَهُ عَلِيٌّ فِي عِصَابَةٍ أُخْرَى فَحَمَلَ بِهِمْ، فَقَتَلَ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ خَلْقًا كَثِيرًا أَيْضًا، وَقُتِلَ مِنَ الْعِرَاقِيِّينَ خَلْقٌ كَثِيرٌ أَيْضًا، وَطَارَتْ أَكُفٌّ وَمَعَاصِمُ وَرُءُوسٌ عَنْ كَوَاهِلِهَا - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - ثُمَّ حَانَتْ صَلَاةُ الْمَغْرِبِ، فَمَا صَلَّى بِالنَّاسِ إِلَّا إِيمَاءً ; صَلَاتَيِ الْعِشَاءِ، وَاسْتَمَرَّ الْقِتَالُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ كُلِّهَا وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ اللَّيَالِي شَرًّا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَتُسَمَّى هَذِهِ اللَّيْلَةُ لَيْلَةَ الْهَرِيرِ. وَكَانَتْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ تَقَصَّفَتْ فِيهَا الرِّمَاحُ وَنَفِدَتِ النِّبَالُ، وَصَارَ النَّاسُ إِلَى السُّيُوفِ وَعَلِيٌّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحَرِّضُ الْقَبَائِلَ، وَيَتَقَدَّمُ

١- ((أسمى المطالب)) (٢/ ٦٣٩).

إِلَيْهِمْ، يَأْمُرُ بِالصَّبْرِ وَالثَّبَاتِ وَهُوَ أَمَامَ النَّاسِ فِي قَلْبِ الْجَيْشِ، وَعَلَى الْمَيْمَنَةِ الْأَشْتَرُ النَّخَعِيُّ، تَوَلَّاهَا بَعْدَ قَتْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُدَيْلٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ، عَشِيَّةَ الْخَمِيسِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، وَعَلَى الْمَيْسَرَةِ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالنَّاسُ يَقْتَتِلُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَذَلِكَ لَمَّا قُتِلَ عَمَّارٌ، عَرَفَ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَنَّ أَهْلَ الشَّامِ بُغَاةٌ لَيْسَ مَعَهُمْ حَقٌّ.

وَذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ عُلَمَاءِ السِّيَرِ، أَنَّهُمُ اقْتَتَلُوا بِالرِّمَاحِ حَتَّى تَقَصَّفَتْ، وَبِالنِّبَالِ حَتَّى فَنِيَتْ، وَبِالسُّيُوفِ حَتَّى تَحَطَّمَتْ، ثُمَّ صَارُوا إِلَى أَنْ تَقَاتَلُوا بِالْأَيْدِي، وَالرَّمْيِ بِالْحِجَارَةِ، وَالتُّرَابِ يَعْفِرُونَهُ فِي الْوُجُوهِ، ثُمَّ تَعَاضُّوا بِالْأَسْنَانِ، فَكَانَ يَقْتَتِلُ الرَّجُلَانِ حَتَّى يُثْخِنَا ثُمَّ يَجْلِسَانِ يَسْتَرِيحَانِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَهْمِزُ عَلَى الْآخَرِ وَيَهِرُّ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُومَانِ فَيَقْتَتِلَانِ كَمَا كَانَا، لَا يُمَكِّنُ أَحَدُهُمَا الْفِرَارَ مِنَ الْآخَرِ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبُهُمْ حَتَّى أَصْبَحَ النَّاسُ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَهُمْ كَذَلِكَ، وَصَلَّى النَّاسُ الصُّبْحَ إِيمَاءً وَهُمْ فِي الْقِتَالِ حَتَّى تَضَاحَى النَّهَارُ وَأَقْبَلَ النَّصْرُ، وَتُوَجَّهَ النَّصْرُ لِأَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْأَشْتَرَ النَّخَعِيَّ صَارَتْ إِلَيْهِ إِمْرَةُ الْمَيْمَنَةِ - وَكَانَ مِنَ الشُّجْعَانِ الْأَبْطَالِ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ الْحُرُوبَ وَلَا يَهَابُونَ الْقَتْلَ - فَحَمَلَ بِمَنْ فِيهَا عَلَى أَهْلِ الشَّامِ، وَتَبِعَهُ عَلِيٌّ فَانْفَضَّتْ غَالِبُ صُفُوفِ أَهْلِ الشَّامِ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْهَزِيمَةُ وَالْكَسْرَةُ وَالْفِرَارُ[1].

١- ((البداية والنهاية)) (١٠/ ٥٤٣).

الدعوة إلى التحكيم:

عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا وَائِلٍ فِي مَسْجِدِ أَهْلِهِ أَسْأَلُهُ عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ قَتَلَهُمْ عَلِيٌّ بِالنَّهْرَوَانِ، فِيمَا اسْتَجَابُوا لَهُ، وَفِيمَا فَارَقُوهُ، وَفِيمَا اسْتَحَلَّ قِتَالَهُمْ، قَالَ: كُنَّا بِصِفِّينَ فَلَمَّا اسْتَحَرَّ الْقَتْلُ بِأَهْلِ الشَّامِ اعْتَصَمُوا بِتَلٍّ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ لِمُعَاوِيَةَ: أَرْسِلْ إِلَى عَلِيٍّ بِمُصْحَفٍ، وَادْعُهُ إِلَى كِتَابِ اللهِ، فَإِنَّهُ لَنْ يَأْبَى عَلَيْكَ، فَجَاءَ بِهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللهِ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٣]، فَقَالَ عَلِيٌّ: نَعَمْ أَنَا أَوْلَى بِذَلِكَ، بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللهِ.

قَالَ: فَجَاءَتْهُ الْخَوَارِجُ، وَنَحْنُ نَدْعُوهُمْ يَوْمَئِذٍ الْقُرَّاءَ، وَسُيُوفُهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ، فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا نَنْتَظِرُ بِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ عَلَى التَّلِّ أَلَا نَمْشِي إِلَيْهِمْ بِسُيُوفِنَا، حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَتَكَلَّمَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّهِمُوا أَنْفُسَكُمْ، فَلَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ، يَعْنِي الصُّلْحَ الَّذِي كَانَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ، وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا، فَجَاءَ عُمَرُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ، وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ، أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: " بَلَى " قَالَ: فَفِيمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا، وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللهُ بَيْنَنَا، وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ:

" يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنِّي رَسُولُ اللهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي أَبَدًا " قَالَ: فَرَجَعَ وَهُوَ مُتَغَيِّظٌ، فَلَمْ يَصْبِرْ، حَتَّى أَتَى أَبَا بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ، وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ، أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَفِيمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ، وَلَمَّا يَحْكُمِ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِنَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَنْ يُضَيِّعَهُ أَبَدًا، قَالَ: فَنَزَلَتْ سُورَةُ الْفَتْحِ قَالَ: فَأَرْسَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى عُمَرَ، فَأَقْرَأَهَا إِيَّاهُ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ وَفَتْحٌ هُوَ؟ قَالَ: «نَعَمْ»[1].

وثيقة التحكيم :

رشح معاوية عمرو بن العاص، أما علي فقد اختلفت الروايات هل هو الذي رشح أبا موسى أم فرض عليه ؟!

والصحيح أنه اقتنع بأبي موسى ممثلًا عنه[2] .

وروى الطبري قصة التحكيم، وفيها جاءَ الأشعث بن قيس إِلَى علي فَقَالَ

---

١ - إسناده صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة في ((مصنفه)) (كِتَابُ الْجَمَلِ) (مَا ذُكِرَ فِي الْخَوَارِجِ) (رقم: ٣٧٩١٤)، وأحمد في ((مسنده)) (حَدِيثُ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ) (رقم: ١٥٩٧٥)، وابن زنجويه في ((الأموال)) (كِتَابُ افْتِتَاحِ الْأَرَضِينَ صُلْحًا وَسُنَنِهَا وَأَحْكَامِهَا وَهِيَ مِنَ الْفَيْءِ وَلَا تَكُونُ غَنِيمَةً) (بَابٌ: الصُّلْحُ وَالْمُهَادَنَةُ تَكُونُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ إِلَى مُدَّةٍ) (رقم: ٦٥٦)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (كِتَابُ التَّفْسِيرِ) (سُورَةُ الْفَتْحِ) (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الفتح: ٤]) (رقم: ١١٤٤٠).

٢ - ((خلافة علي)) (١/ ٢٥٩).

لَهُ: مَا أَرَى الناس إلا قَدْ رضوا، وسرهم أن يجيبوا القوم إِلَى مَا دعوهم إِلَيْهِ من حكم القرآن، فإن شئت أتيت مُعَاوِيَة فسألته مَا يريد، فنظرت مَا يسأل، قَالَ: ائته إن شئت فسله، فأتاه فَقَالَ: يَا مُعَاوِيَة، لأي شَيْء رفعتم هَذِهِ المصاحف؟ قَالَ: لنرجع نحن وَأَنْتُمْ إِلَى مَا أمر اللَّه ﷻ بِهِ فِي كتابه، تبعثون مِنْكُمْ رجلا ترضون بِهِ، ونبعث منا رجلا، ثُمَّ نأخذ عليهما أن يعملا بِمَا فِي كتاب اللَّه لا يعدوانه، ثُمَّ نتبع مَا اتفقا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الأشعث بن قيس: هَذَا الحق، فانصرف إِلَى علي فأخبره بِالَّذِي قَالَ مُعَاوِيَة، فَقَالَ الناس: فإنا قَدْ رضينا وقبلنا، فَقَالَ أهل الشام: فإنا قَدِ اخترنا عَمْرو بن الْعَاصِ، فقال الأشعث وأولئك الَّذِينَ صاروا خوارج بعد: فإنا قَدْ رضينا بأبي مُوسَى الأَشْعَرِيّ.

قَالَ: فقد أبيتم إلا أبا مُوسَى! قَالُوا: نعم، قَالَ: فاصنعوا مَا أردتم، فبعثوا إِلَيْهِ وَقَدِ اعتزل القتال، وَهُوَ بعرض، فأتاه مولى لَهُ، فَقَالَ: إن الناس قَدِ اصطلحوا، فَقَالَ: الحمد لِلَّهِ رب العالمين! قَالَ: قَدْ جعلوك حكما؟ قَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ! وجاء أَبُو مُوسَى حَتَّى دخل العسكر، وجاء الأَشْتَر حَتَّى أتى عَلِيًّا فَقَالَ: ألزني بعمرو بن العاص، فو الله الَّذِي لا إله إلا هُوَ، لَئِنْ ملأت عيني مِنْهُ لأقتلنه، وجاء الأحنف فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إنك قَدْ رميت بحجر الأرض، وبمن حارب اللَّه ورسوله أنف الإِسْلام، وإني قَدْ عجمت هَذَا الرجل وحلبت أشطره فوجدته كليل الشفرة، قريب القعر، وإنه لا يصلح لهؤلاء القوم إلا رجل يدنو مِنْهُمْ حَتَّى يصير فِي

أكفهم، ويبعد حَتَّى يصير بمنزلة النجم مِنْهُمْ، فإن أبيت أن تجعلني حكما، فاجعلني ثانيا أو ثالثا، فإنه لن يعقد عقدة إلا حللتها، ولن يحل عقدة أعقدها إلا عقدت لك أخرى أحكم منها فأبى الناس إلا أبا مُوسَى والرضا بالكتاب، فَقَالَ الأحنف: فإن أبيتم إلا أبا مُوسَى فأدفئوا ظهره بالرجال.

فكتبوا: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هذا ما تقاضى عَلَيْهِ علي أَمِير الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ عَمْرو:

اكتب اسمه واسم أَبِيهِ، هُوَ أميركم فأما أميرنا فلا، وَقَالَ لَهُ الأحنف:

لا تمح اسم إمارة الْمُؤْمِنِينَ، فإني أتخوف إن محوتها أَلا ترجع إليك أبدا، لا تمحها وإن قتل الناس بعضهم بعضا، فأبى ذَلِكَ علي مليا من النهار، ثُمَّ إن الأشعث بن قيس قَالَ: امح هَذَا الاسم برحه اللَّه! فمحي وَقَالَ:

علي: اللَّه أكبر، سنة بسنة، ومثل بمثل، وَاللَّهِ إني لكاتب بين يدي رَسُول الله يوم الحديبية إذ قَالُوا: لست رَسُول اللَّهِ، وَلا نشهد لك بِهِ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، فكتبه .

وكتب الكتاب: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا مَا تقاضى عَلَيْهِ عَلِيّ بن أَبِي طَالِبٍ ومعاوية بن أَبِي سُفْيَانَ، قاضى علي عَلَى أهل الْكُوفَة ومن معهم من شيعتهم من الْمُؤْمِنِينَ والمسلمين، وقاضى مُعَاوِيَة عَلَى أهل الشام ومن كَانَ معهم من الْمُؤْمِنِينَ والمسلمين، إنا ننزل عِنْدَ حكم اللَّه ﷻ وكتابه، وَلا

يجمع بيننا غيره، وإن كتاب الله ﷻ بيننا من فاتحته إِلَى خاتمته، نحيي مَا أحيا، ونميت مَا أمات، فما وجد الحكمان فِي كتاب الله ﷻ وهما أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيّ عَبْد اللَّهِ بن قيس وعمرو بن الْعَاصِ القرشي- عملا بِهِ، وما لم يجدا فِي كتاب اللَّه ﷻ فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة وأخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين من العهود والميثاق والثقة مِنَ النَّاسِ، أنهما آمنان عَلَى أنفسهما وأهلهما، والأمة لهما أنصار عَلَى الَّذِي يتقاضيان عَلَيْهِ، وعلى الْمُؤْمِنِينَ والمسلمين من الطائفتين كلتيهما عهد الله وميثاقه أنا عَلَى مَا فِي هَذِهِ الصحيفة، وأن قَدْ وجبت قضيتهما على المؤمنين، فإن الأمن والاستقامة ووضع السلاح بينهم أينما ساروا عَلَى أنفسهم وأهليهم وأموالهم، وشاهدهم وغائبهم، وعلى عَبْد اللَّهِ بن قيس وعمرو بن الْعَاصِ عهد الله وميثاقه أن يحكما بين هَذِهِ الأمة، وَلا يرداها فِي حرب وَلا فرقة حَتَّى يعصيا، وأجل القضاء إِلَى رمضان وإن أحبا أن يؤخرا ذَلِكَ أخراه عَلَى تراض منهما، وإن توفي أحد الحكمين فإن أَمِير الشيعة يختار مكانه، وَلا يألو من أهل المعدلة والقسط، وإن مكان قضيتهما الَّذِي يقضيان فِيهِ مكان عدل بين أهل الْكُوفَة وأهل الشام، وإن رضيا وأحبا فلا يحضرهما فِيهِ إلا من أرادا، ويأخذ الحكمان من أرادا من الشهود، ثُمَّ يكتبان شهادتهما عَلَى مَا فِي هَذِهِ الصحيفة.

وهم أنصار عَلَى من ترك مَا فِي هَذِهِ الصحيفة، وأراد فِيهِ إلحادا وظلما اللَّهُمَّ إنا نستنصرك عَلَى من ترك مَا فِي هَذِهِ الصحيفة.

شهد من أَصْحَاب علي الأشعث بن قيس الكندي، وعبد الله بن عَبَّاسٍ، وسعيد بن قيس الهمدانى، وورقاء بن سمي البجلي، وعبد الله بن محل العجلي، وحجر بن عدي الكندي، وعبد الله بن الطفيل العامري، وعقبه ابن زياد الحضرمي، ويزيد بن حجية التيمي، ومالك بن كعب الهمداني ومن أَصْحَاب مُعَاوِيَة أَبُو الأعور السلمى عمرو بن سفيان، وحبيب مسلمة الفهري، والمخارق بن الْحَارِث الزبيدي، وزمل بن عَمْرو العذري، وحمزة بن مالك الهمداني، وعبد الرَّحْمَن بن خَالِد المخزومي، وسبيع بن يَزِيدَ الأَنْصَارِيّ، وعلقمة بن يَزِيدَ الأَنْصَارِيّ، وعتبة بن أَبِي سُفْيَانَ، ويزيد بن الحر العبسي.

إن قراءة متأنية لمضمون نداءات المصالحة، والموادعة توضح اختلاطها بقيم الدين والشرف، والعرض والتعصب للأمصار، مع ملاحظة تراجع الأثر الديني في أداء الدور الرئيسي فيها، وفي هذه الأجواء، رفع مقاتلو الشام المصاحف، فتوقف القتال، أما الاعتقاد بأن جيش الشام كان على وشك الهزيمة والانهيار، وأنه رفع المصاحف تخلصًا من هذا المأزق؛ فهو اعتقاد مبالغ فيه، هناك رواية واحدة مصدرها أبو مخنف توهم أن الأشتر كان يأمل النصر حيث قام بعملية اختراق في صفوف جيش الشام، وأنه كان يسير نحو النصر.

والواقع أن غالبية قوات علي وافقوا على وقف القتال، من واقع تعبير

قادتهم له حين استشارهم «لم يصب منا إلا وقد أصيب مثلها منهم، وكل مقروح، ولكنا أفضل بقية منهم»، فأدرك عندئذ أن الوضع الميداني لقواته أضحى حرجًا بسبب الإرهاق الشديد الذي أصابهم، وأنه لم يعد باستطاعتهم المضي في القتال؛ فاتخذ قرارًا بوقف الحرب، أما إبراز أنه وافق مكرهًا بفعل ضغط القراء، أو فئة منهم أو يضغط الأشعث بن قيس، وهو قد دعا قواته إلى تجاهل النداء والاستمرار في القتال بفعل أن فكرة رفع المصاحف خدعة ومكيدة، فأمر لا يمكن القبول به، وبخاصة أنه قدم نفسه منذ البداية على أنه رجل سلام، وكان لديه شعور صادق تجاه الحل السلمي منذ ما قبل اندلاع القتال.

إن إعادة قراءة أحداث معركة صفين أمر مهم جدًا لرصد وضع كل طرف، ولا شك بأن عليًا، ومعاوية أدارا المعركة بشكل ناجح، وحرصًا على الحفاظ على دماء المسلمين ما أمكن، على الرغم من كثرة عدد القتلى، وتمييز علي بالشجاعة، والصبر في حين ظهر معاوية كقائد سياسي محترف[1].

لقد كتب الطرفان بينهما وثيقة التحكيم يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من شهر صفر عام ٣٧هـ، كتبها عبد الله بن رافع، كاتب علي، وعمير بن عباد الكناني، كاتب معاوية، وتتضمن تسليم الطرفين المتنازعين أمرهما لحكم القرآن، وأن الحكمين المذكورين في النص، ملزمان بالتقيد بحكم القرآن أيضًا، وحدد

١- ((تاريخ الخلفاء)) طقوش (ص: ٤٦٢).

الأجل بثمانية أشهر ينتهي في شهر «رمضان ٣٧هـ/ شباط ٦٥٨م»، وبقي مكان اللقاء غامضًا «مكان وسط بين أهل الكوفة، وأهل الشام»، قبل أن يتأرجح بين دومة الجندل، وأذرح الأكثر توسطًا، والملفت في هذه الوثيقة أمران:

الأول: أنها تجاهلت القضية الأساسية التي ارتكز عليها صراع علي ومعاوية، وهي القصاص من قتلة عثمان، ويبدو أن معاوية نجح في تحويل المسألة إلى قضية سياسية بينه، وبين علي في الصراع على السلطة، وعلى هذا النحو سيتطور التحكيم.

الثاني: رفض معاوية كتابة «أمير المؤمنين» بجانب اسم علي، لعدم اعترافه بذلك، ولم يصر علي على ذلك مما عد تنازلًا منه عن الخلافة؛ لأنه وضع نفسه على قدم المساواة مع معاوية، ولم يعد سوى رئيس العراقيين وشيعتهم، تمامًا مثلما كان معاوية زعيم أهل الشام وشيعتهم، وقد أتاحت هذه الخطوة طرح مصطلح الشورى، وعزز من إصرار معاوية على تطوير محاور صراعه مع علي، وأعطاه غطاء شرعيًا للخروج على خلافته، وعدم الاعتراف بها.

وهكذا، من خلال حلقات جاءت متعاقبة، ومتداخلة بدءًا بقبول التحكيم إلى فرض أبي موسى الأشعري ممثلًا له، إلى التخلي عن إمرة المؤمنين؛ كان علي يفقد أوراقه تباعًا، ويتراجع إلى أن يصبح ومعاوية ندين متنافسين على الخلافة، بعد أن كان قبل ذلك يقاتله بوصفه خارجًا على حكمه.

ودعا علي قواته بعد يومين من إنجاز وثيقة التحكيم، للعودة إلى الكوفة، بعد أن أمر بدفن القتلى، وإطلاق سراح الأسرى، فعاد إلى الكوفة في شهر «ربيع الأول ٣٧هـ»[1].

المعاملة أثناء الحرب وبعدها:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: «شَهِدْتُ صِفِّينَ فَكَانُوا لَا يُجْهِزُونَ عَلَى جَرِيحٍ، وَلَا يَطْلُبُونَ مُوَلِّيًا وَلَا يَسْلُبُونَ قَتِيلًا»[2].

عَنْ أَبِي فَاخِتَةَ، أَنَّ عَلِيًّا، ﷺ أُتِيَ بِأَسِيرٍ يَوْمَ صِفِّينَ، فَقَالَ: لَا تَقْتُلْنِي صَبْرًا، فَقَالَ عَلِيٌّ ﷺ: لَا أَقْتُلُكَ صَبْرًا، إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ، فَخَلَّى سَبِيلَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَفِيكَ خَيْرٌ تُبَايِعُ؟[3]

١- ((تاريخ الخلفاء)) طقوش (ص: ٤٦٥ - ٤٦٦).

٢- إسناده حسن: أخرجه ابن أبي شيبة في ((مصنفه)) (كِتَابُ السير) (فِي الْإِجْهَازِ عَلَى الْجَرْحَى، وَاتِّبَاعِ الْمُدْبِرِ) (رقم: ٣٣٢٧٨)، وابن سعد في ((الطبقات الكبرى)) (٧/ ٤١١)، والحاكم في ((المستدرك)) (كِتَابُ قِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ وَهُوَ آخِرُ الْجِهَادِ) (رقم: ٢٦٦٠) وقال: ((هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ فِي هَذَا الْبَابِ وَلَهُ شَاهِدٌ صَحِيحٌ))، والبيهقي في ((الاعتقاد)) (بَابُ اسْتِخْلَافِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) (ص: ٣٧٥، ٣٧٦)

٣- إسناده صحيح: أخرجه الشافعي كما في كتاب ((الأم)) (كِتَابُ قِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ وَأَهْلِ الرِّدَّةِ) (الْخِلَافُ فِي قِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ) (٤/ ٢٣٧)، والبيهقي في ((السنن الكبرى)) (جِمَاعُ أَبْوَابِ الرُّعَاةِ) (بَابُ أَهْلِ الْبَغْيِ إِذَا فَاءُوا لَمْ يُتْبَعْ مُدْبِرُهُمْ، وَلَمْ يُقْتَلْ أَسِيرُهُمْ، وَلَمْ يُجْهَزْ عَلَى جَرِيحِهِمْ، وَلَمْ يُسْتَمْتَعْ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْوَالِهِمْ) (٨/ ٣١٥).

عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ، قَالَ: سَأَلَ عَلِيٌّ عَنْ قَتْلَى يَوْمِ صِفِّينَ، فَقَالَ: قَتْلَانَا وَقَتْلَاهُمْ فِي الْجَنَّةِ، وَيَصِيرُ الْأَمْرُ إِلَيَّ وَإِلَى مُعَاوِيَةَ[١].

عدد القتلى:

لعل أصح ما قيل في عدد القتلى أنه بين الستين ألفًا أو السبعين ألفًا[٢].

وقبل أن نغادر هذا الموطن، يحسن بنا أن نشير هنا إلى شيء من آراء العلماء في الترجيح بين اجتهاد الصحابة في هذه الفتنة:

قال ابنُ كثيرٍ: «كان عليٌّ وأصحابه أدنى الطائفتين إلى الحق من أصحاب معاوية، وأصحاب معاوية كانوا باغين عليهم، كما ثبت في صحيح مسلم[٣] من حديث أبى سعيد الخدري قال: حدثني من هو خير مني - يعني أبا قتادة- أن رسول الله ﷺ قال لعمار بن ياسر: «تقتلك الفئة الباغية»[٤].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وعليٌّ ومن معه أولى بالحق من معاوية وأصحابه، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «تمرق مارقة على حين فُرْقةٍ من

١- إسناده حسن: أخرجه ابن أبي شيبة في ((مصنفه)) (كتاب الجمل) (باب ما ذكر في صفين) (رقم: ٣٩٠٣٥)، وسعيد بن منصور في ((السنن)) (رقم: ٢٩٦٨).

٢- ((خلافة علي)) (١/ ٢٧٠ - ٢٧٢).

٣- حديث صحيح: أخرجه الإمام مسلم في ((صحيحه)) (كتاب الفتن وأشراط) (باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء) (رقم: ٢٩١٥).

٤- ((البداية والنهاية)) (٩/ ١٩٣).

المسلمين، تقتلهم أولى الطائفتين بالحق»[١]، فدلَّ هذا الحديث على أن عليًّا أولى بالحق ممن قاتله؛ فإنه هو الذي قتل الخوارج لما افترق المسلمون»[٢].

ومع كون علي ﷺ كان الأقرب إلى الحق، إلا أن بعض العلماء يرون أنه لم يصب الحق كاملا، وأن الحق كان مع من اعتزل القتال بالكلية، فإن الإصلاح كان أولى من الاقتتال، وإلا فالاعتزال.

قال شيخ الإسلام – بعد أن قرَّر أن عليًّا وعسكره أولى بالحق من معاوية وعسكره –: «لكن الفئة الباغية هل يجب قتالها ابتداء قبل أن تبدأ الإمام بالقتال، أم لا تقاتل حتى تبدأ بالقتال؟ هذا مما تنازع فيه العلماء، وأكثرهم على القول الثاني، فلهذا كان مذهب أكابر الصحابة والتابعين والعلماء أن ترك عليّ القتال كان أكملَ وأفضلَ وأتمَّ في سياسة الدين والدنيا»[٣].

ثم اعتذر عن فعل عليٍّ بأنه كان إمام هدى من الخلفاء الراشدين، وأنه فعل ما فعل متأولا مجتهدا، وقد عَذَرَ النبي ﷺ أسامة بن زيد لما قتل الرجل الذي أشهر إسلامه لمَّا رَفَع عليه السيف، وكذلك عَذَرَ خالد بن الوليد لما قتل من قتل من بني جذيمة، لأنهم لم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا،

١- حديث صحيح: أخرجه الإمام مسلم في ((صحيحه)) (كتاب الكسوف) (باب ذكر الخوارج وصفاتهم) (رقم: ١٠٦٤)، من حديث أبي سعيد الخدري. وكان عمّار في جيش علي، فقتله جنود معاوية، ﷺ جميعا، فعندها تبيَّن للناس أن الفئة الباغية هي فئة معاوية.

٢- ((منهاج السنة)) (٧/ ٥٧). وسيأتي الحديث عن قتال الخوارج في الكلام عن معركة النهروان.

٣- ((جامع المسائل)) (٦/ ٢٤٦).

وقالوا: صبئنا؛ لأن ذلك كان تأولا منهما، ومعلوم أن عليًا وطلحة والزبير كانوا أفضل من أسامة وخالد وغيرهما، فهم أولى بقبول العذر منهم.

وقال شيخ الإسلام: «ولما قال النبي ﷺ عن الحسن: «إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[1]، فمدح الحسن على الإصلاح، ولم يمدح على القتال في الفتنة؛ علمنا أن الله ورسوله كان يحب الإصلاح بين الطائفتين دون الاقتتال. ولما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح في الخوارج: «يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وقراءته مع قراءتهم، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، أينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرا عند الله لمن قتلهم يوم القيامة»[2]، وقال: «يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق» ورُوِيَ: «أولى الطائفتين بالحق»[3] من معاوية وأصحابه؛ أَعْلَمَ أن

١- حديث صحيح: أخرجه الإمام البخاري في ((صحيحه)) (كِتَابُ الصلح) (باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي «إن ابني هذا سيد») (رقم: ٢٧٠٤) من حديث أبي بكرة.

٢- حديث صحيح: أخرجه الإمام البخاري في ((صحيحه)) (كتاب المناقب) (باب علامات النبوة في الإسلام) (رقم: ٣٦١١)، و(كتاب فضائل القرآن) (باب إثم من راءى بقراءة القرآن أو تأكل به أو فخر به) (رقم: ٥٠٥٧)، و(كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم) (رقم: ٦٩٣٠)، والإمام مسلم في ((صحيحه)) (كتاب الكسوف) (باب التحريض على قتل الخوارج) (رقم: ١٠٦٦) من حديث علي بن أبي طالب.

٣- تقدَّم تخريجه.

قتال الخوارج المارقة أهل النهروان الذين قاتلهم علي بن أبي طالب، كان قتالهم مما أمر الله به ورسوله، وكان عليٌّ محمودا مأجورا مثابا على قتاله إياهم. وقد اتفق الصحابة والأئمة على قتالهم، بخلاف قتال الفتنة، فإن النص قد دلَّ على أنَّ ترك القتال فيها كان أفضل، لقوله ﷺ: «ستكون فتن، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي»[١]، ومثل قوله لمحمد بن مسلمة: «هذا لا تضره الفتنة»[٢]، فاعتزل محمد بن مسلمة الفتنة، وهو من خيار الأنصار، فلم يقاتل لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء. وكذلك أكثر السابقين لم يقاتلوا، بل مثل سعد بن أبي وقاص، ومثل أسامة بن وزيد، وعبدالله بن عمر، وعمران بن الحصين، ولم يكن في العسكرين بعد علي أفضل من سعد بن أبي وقاص ولم يقاتل، وزيد بن ثابت، ولا أبو هريرة، ولا أبو بكرة، ولا غيرهم من أعيان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. وقد قال النبي ﷺ لأُهْبَان بن صَيْفِي: «خذ هذا السيف فقاتل به المشركين، فإذا اقتتل

١- حديث صحيح: أخرجه الإمام البخاري في ((صحيحه)) (كتاب المناقب) (باب علامات النبوة في الإسلام) (رقم: ٣٦٠١)، و(كتاب الفتن) (باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم) (رقم: ٧٠٨١، ٧٠٨٢)، والإمام مسلم في ((صحيحه)) (كتاب الفتن وأشراط الساعة) (باب نزول الفتن كمواقع القطر) (رقم: ٢٨٨٦) من حديث أبي هريرة.

٢- صحيح: أخرجه أبو داود في ((سننه)) (كتاب السنة) (باب ما يدل على ترك الكلام في الفتنة) (رقم: ٤٦٦٣)، والحاكم في ((المستدرك)) (كِتَابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) (ذِكْرُ مَنَاقِبِ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه) (٣/ ٤٩٢)، وقال: ((هَذِهِ فَضِيلَةٌ كَبِيرَةٌ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ)).

المسلمون فاكسره»[١]، ففعل ذلك ولم يقاتل في الفتنة. وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن»[٢]، وفي الصحيح عن أسامة، عن النبي ﷺ قال: «إني لأرى الفتنة تقع خلال بيوتكم كمواقع القَطْر»[٣].

والأحاديث عن النبي ﷺ كثيرة في إخباره بما سيكون في الفتنة بين أمته، وأمره بترك القتال في الفتنة، وأنَّ الإمساك عن الدخول فيها خيرٌ من القتال»[٤].

لكن يبقى لنا بعد أن عرضنا هذه الأقوال والآراء للعلماء في هذه الفتنة، أن نشير إلى أن الإمساك عمَّا شَجَرَ بين الصحابة، وذكرهم بالحسنى؛ هو مذهب أهل السنة والجماعة.

١- حسن بمجموع طرقه: تقدم تخريجه.

٢- حديث صحيح: أخرجه الإمام البخاري في ((صحيحه)) (كتاب الإيمان) (باب من الدين الفرار من الفتن) (رقم: ١٩)، و(كتاب المناقب) (باب علامات النبوة في الإسلام) (رقم: ٣٦٠٠)، و(كتاب الرقاق) (باب العزلة راحة من خلاط السوء) (رقم: ٦٤٩٥) من حديث أبي سعيد الخدري.

٣- حديث صحيح: أخرجه الإمام البخاري في ((صحيحه)) (كتاب الحج) (باب آطام المدينة) (رقم: ١٨٧٨)، و(كتاب المظالم والغصب) (باب الغرفة والعلية المشرفة وغير المشرفة في السطوح وغيرها) (رقم: ٢٤٦٧)، والإمام مسلم في ((صحيحه)) (كتاب الفتن وأشراط الساعة) (باب نزول الفتن كمواقع القطر) (رقم: ٢٨٨٥) من حديث أسامة بن زيد.

٤- ((جامع المسائل)) (٦/ ٢٦٦- ٢٦٨).

قال أبو بكر المرُّوذي: قيل لأبي عبدالله أحمد بن حنبل: يا أبا عبدالله، ما تقول فيما كان بين علي ومعاوية؟ فقال أبو عبدالله: «ما أقول فيهم إلا الحسنى»[١].

وقال المرُّوذي: وسمعت أبا عبدالله، وذُكر له أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: «رحمهم الله أجمعين، ومعاوية وعمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري والمغيرة، كلهم وصفهم الله تعالى في كتابه فقال: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩] »[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا كان من مذهب أهل السنة: الإمساك عما شَجَرَ بين الصحابة، فإنه قد ثبتت فضائلهم، ووجبت موالاتهم ومحبتهم»[٣].

وقال ابن كثير: «وأما ما شجر بينهم بعده عليه الصلاة والسلام، فمنه ما وقع عن غير قصد، كيوم الجمل، ومنه ما كان عن اجتهاد، كيوم صِفِّين. والاجتهاد يخطئ ويصيب، ولكن صاحبه معذور وإن أخطأ، ومأجور أيضاً، وأما المصيب فله أجران اثنان»[٤].

وقال الحافظ ابن حجر: «واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك، ولو عُرِف المُحِقُّ منهم، لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد، وقد عفا الله تعالى عن المخطئ في

١- ((مناقب الإمام أحمد)) لابن الجوزي (ص: ٢٢٠- ٢٢١).
٢- المصدر السابق.
٣- ((منهاج السنة)) (٤/ ٤٤٨- ٤٤٩).
٤- ((الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث)) (ص: ١٧٧).

الاجتهاد، بل ثبت أنه يؤجر أجرا واحدا، وأن المصيب يؤجر أجرين»[١].

المبحث الرابع: معركة النهروان

بعد توقيع الوثيقة قرأها الأشعث بن قيس على القبائل، عن أبي جناب، قَالَ: خرج الأشعث بِذَلِكَ الكتاب يقرؤه عَلَى الناس، ويعرضه عَلَيْهِم، فيقرءونه، حَتَّى مر بِهِ عَلَى طائفة من بني تميم فِيهِمْ عروة بن أدية، وَهُوَ أخو أبي بلال، فقرأه عَلَيْهِم، فَقَالَ عروة ابن أدية: تحكمون فِي أمر الله ﷻ الرجال! لا حكم إلا لِلَّهِ، ثُمَّ شد بسيفه فضرب بِهِ عجز دابته ضربة خفيفة، واندفعت الدابة، وصاح بِهِ أَصْحَابه، أن أملك يدك، فرجع، فغضب للأشعث قومه وناس كثير من أهل اليمن، فمشى الأحنف بن قيس السعدي ومعقل بن قيس الرياحي، ومسعر بن فدكي، وناس كثير من بني تميم، فتنصلوا إِلَيْهِ واعتذروا، فقبل وصفح[٢].

ولم تقتصر هذه الفرقة الخارجة على عنادها، بل أخذوا يطعنون في عليٍّ ويُشغِّبون عليه، وامتدت أيديهم لسفك دماء بعض المسلمين بغير وجه حق، كعبدالله بن خباب ﷺ، عندها خرج عليٌّ لقتالهم، فقتلهم، وكان عليٌّ في ذلك القتال على حالة تختلف عن حالته في قتال الجمل وصِفِّين.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد ثبت اتفاق الصحابة على قتالهم

١- ((فتح الباري)) (١٣/ ٣٤).

٢- إسناده ضعيف جدًّا: أخرجه الطبري في ((تاريخه)) (٥/ ٥٥، ٥٦).

- يعني: الخوارج -، وقاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وذكر فيهم سنة رسول الله ﷺ المتضمنة لقتالهم، وفرح بقتلهم، وسجد لله شكرا لما رأى أباهم مقتولا، وهو ذو الثدية، بخلاف ما جرى يوم الجمل وصفين؛ فإن عليا لم يفرح بذلك، بل ظهر منه من التألم والندم ما ظهر، ولم يذكر عن النبي ﷺ في ذلك سنة، بل ذكر أنه قاتل باجتهاده»[1].

وكان هؤلاء أول من جعل هذا القول لا حكم إلا لله = شعارًا لهم.

وتجاوزًا للتعريف بالخوارج، ومنهجهم، وعقائدهم[2]، يقول ابن تيمية: الخوارج لهم أسماء، يقال لهم: الحرورية؛ لأنهم خرجوا بمكان يقال له حروراء، ويقال لهم: أهل النهروان؛ لأن علياً قاتلهم هناك، ومن أصنافهم: الإباضية أتباع عبد الله بن أباض، و الأزارقة: أتباع نافع بن الأزرق، و النجدات: أصحاب نجدة الحروري.

وهم أول من كفر أهل القبلة بالذنوب بل بما يرونه هم من الذنوب، واستحلوا دماء أهل القبلة بذلك؛ فكانوا كما نعتهم النبي ﷺ: يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، وكفروا علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان ومن والاهما، وقتلوا علي بن أبي طالب مستحلين لقتله، قتله عبد

١- ((مجموع الفتاوى)) (٢٠/ ٣٩٤- ٣٩٥).

٢- انظر عن الخوارج: ((حقيقة الخوارج في الشرع وعبر التاريخ)) لفيصل الجاسم، ط. غراس، و((الخوارج أوّل الفرق في تاريخ الإسلام)) تأليف: الدكتور ناصر العقل، و((الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها)) د. غالب العواجي.

الرحمن بن ملجم المرادي منهم، وكان هو وغيره من الخوارج مجتهدين في العبادة، لكن كانوا جهالاً فارقوا السنة والجماعة؛ فقال هؤلاء: ما الناس إلا مؤمن أو كافر، والمؤمن من فعل جميع الواجبات وترك جميع المحرمات؛ فمن لم يكن كذلك فهو كافر مخلد في النار. ثم جعلوا كل من خالف قولهم كذلك؛ فقالوا: إن عثمان وعلياً ونحوهما حكموا بغير ما أنزل الله وظلموا فصاروا كفاراً.

ومذهب هؤلاء باطل بدلائل كثيرة من الكتاب والسنة؛ فإن الله سبحانه أمر بقطع يد السارق دون قتله، ولو كان كافراً مرتداً لوجب قتله؛ لأن النبي ﷺ قال: من بدل دينه؛ فاقتلوه(١)، وقال: لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إسلام، وزنًا بعد إحصان، أو قتل نفس يقتل بها(٢). وأمر سبحانه بأن يجلد الزاني والزانية مئة جلدة، ولو كانا كافرين لأمر بقتلهما، وأمر سبحانه أن يجلد قاذف المحصنة ثمانين جلدة، ولو كان كافراً لأمر بقتله(٣).

١- حديث صحيح: أخرجه الإمام البخاري في ((صحيحه)) (كتاب الجهاد والسير) (باب لا يعذب بعذاب الله) (رقم: ٣٠١٧)، و(كتاب استتابة المرتدين) (باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم) (رقم: ٦٩٢٢)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

٢- إسناده صحيح: أخرجه الإمام أحمد في ((فضائل الصحابة)) (فَضَائِلُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه) (رقم: ٧٥٥)، وأبو داود في ((سننه)) (كتاب الديات) (باب الإمام يأمر بالعفو في الدم) (رقم: ٤٥٠٢)، والنسائي في ((سننه)) (تحريم الدم) (باب ذكر ما يحل به دم المسلم) (رقم: ٤٠١٩).

٣- ((مجموع الفتاوى)) (٧/ ٤٨١ - ٤٨٢).

إخبار النبي عن خروج الخوارج :

وهؤلاء الخوارج قد أخبر النبي ﷺ بخروجهم، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَعَثَ عَلِيٌّ ﷺ، إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِذُهَيْبَةٍ فَقَسَمَهَا بَيْنَ الأَرْبَعَةِ الأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ الحَنْظَلِيِّ، ثُمَّ المُجَاشِعِيِّ، وَعُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ الفَزَارِيِّ، وَزَيْدٍ الطَّائِيِّ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي نَبْهَانَ، وَعَلْقَمَةَ بْنِ عُلاَثَةَ العَامِرِيِّ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي كِلاَبٍ، فَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ، وَالأَنْصَارُ، قَالُوا: يُعْطِي صَنَادِيدَ أَهْلِ نَجْدٍ وَيَدَعُنَا، قَالَ: «إِنَّمَا أَتَأَلَّفُهُمْ». فَأَقْبَلَ رَجُلٌ غَائِرُ العَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الوَجْنَتَيْنِ، نَاتِئُ الجَبِينِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ مَحْلُوقٌ، فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: «مَنْ يُطِعِ اللَّهَ إِذَا عَصَيْتُ؟ أَيَأْمَنُنِي اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَلاَ تَأْمَنُونِي» فَسَأَلَهُ رَجُلٌ قَتْلَهُ، - أَحْسِبُهُ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ - فَمَنَعَهُ، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ: «إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا، أَوْ: فِي عَقِبِ هَذَا قَوْمًا يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»[1].

وعن أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيَّ ﷺ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا، أَتَاهُ ذُو الخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ

١- حديث صحيح: أخرجه الإمام البخاري في ((صحيحه)) (كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ) (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ [الحاقة: ٦]: شَدِيدَةٍ، ﴿عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦]) (رقم: ٣٣٤٤).

اللَّهِ اعْدِلْ، فَقَالَ: «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ». فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ؟ فَقَالَ: «دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَمَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيِّهِ، - وَهُوَ قِدْحُهُ -، فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُذَذِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الفَرْثَ وَالدَّمَ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ، إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ المَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا الحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتُمِسَ فَأُتِيَ بِهِ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي نَعَتَهُ(١).

وعَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ: «إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلأَنْ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقُولَ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَقُلْ، وَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فَإِنَّ الْحَرْبَ خَدْعَةٌ»، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «سَيَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ

١- حديث صحيح: أخرجه الإمام البخاري في ((صحيحه)) (كِتَابُ المَنَاقِبِ) (بَابُ عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ) (رقم: ٣٦١٠).

فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا، لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[١].

وقد أخبرت عائشة ﷺ، عَنْ عُرْوَةَ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ أَنَا وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ، فَذَكَرْتُ عُثْمَانَ فَقَالَتْ: «يَا لَيْتَنِي كُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا، وَاللَّهِ مَا انْتَهَكْتُ مِنْ عُثْمَانَ شَيْئًا إِلَّا قَدِ انْتُهِكَ مِنِّي مِثْلُهُ، حَتَّى لَوْ أَحْبَبْتُ قَتْلَهُ لَقُتِلْتُ»، ثُمَّ قَالَتْ: «يَا عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عَدِيٍّ لَا يَغُرَّنَّكَ أَحَدٌ بَعْدَ النَّفَرِ الَّذِينَ تَعْلَمُ، فَوَاللَّهِ مَا احْتُقِرَتْ أَعْمَالُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَجَمَ الْقُرَّاءُ الَّذِينَ طَعَنُوا عَلَى عُثْمَانَ، فَقَرَءُوا قِرَاءَةً لَا يُقْرَأُ مِثْلُهَا، وَصَلَّوْا صَلَاةً لَا يُصَلَّى مِثْلُهَا، وَصَامُوا صِيَامًا لَا يُصَامُ مِثْلُهُ، وَقَالُوا قَوْلًا لَا نُحْسِنُ أَنْ نَقُولَ مِثْلَهُ، فَلَمَّا تَدَبَّرْتُ الصُّنْعَ إِذًا مَا يُقَارِبُونَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا سَمِعْتَ حُسْنَ قَوْلِ امْرِئٍ فَقُلْ: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥] وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ أَحَدٌ»[٢].

قال ابن حجر: والمراد بالقراء المذكورين، الذين قاموا على عثمان وأنكروا عليه أشياء اعتذر عن فعلها، ثم كانوا مع علي، ثم خرجوا بعد ذلك على علي![٣].

١- حديث صحيح: أخرجه الإمام مسلم في ((صحيحه)) (كِتَاب الزَّكَاةِ) (بَابُ التَّحْرِيضِ عَلَى قَتْلِ الْخَوَارِجِ) (رقم: ١٠٦٦).

٢- إسناده صحيح: أخرجه عبد الرزاق في ((المصنف)) (باب مقتل عثمان) (رقم: ٢٠٩٦٧)، وأحمد في ((فضائل الصحابة)) (رقم: ٧٥٠)، والبخاري في ((خلق أفعال العباد)) (ص: ٢٥).

٣- ((فتح الباري)) (١٣/ ٥٠٥).

انفصال الخوارج عن جيش علي :

انفصل هؤلاء القراء في جماعة كبيرة تعددت الروايات في عددهم، يقول الإمام ابن كثير بعد ذكر الاختلاف في عددهم: فَفِي هَذَا السِّيَاقِ مَا يَقْتَضِي أَنَّ عِدَّتَهُمْ كَانَتْ ثَمَانِيَةَ آلَافٍ، لَكِنْ مِنَ الْقُرَّاءِ، وَقَدْ يَكُونُ وَاطَأَهُمْ عَلَى مَذْهَبِهِمْ آخَرُونَ مِنْ غَيْرِهِمْ حَتَّى بَلَغُوا اثْنِي عَشَرَ أَلْفًا، أَوْ سِتَّةَ عَشَرَ أَلْفًا، وَلَمَّا نَاظَرَهُمُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَجَعَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ، وَبَقِيَ بَقِيَّتُهُمْ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ[1].

وعن يَزِيد بْن أَبِي صَالِحٍ، أَنَّ أَبَا الْوَضِيءِ عَبَّادًا حَدَّثَهُ قَالَ: كُنَّا عَامِدِينَ إِلَى الْكُوفَةِ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَلَمَّا بَلَغْنَا مَسِيرَةَ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ مِنْ حَرُورَاءَ، شَذَّ مِنَّا نَاسٌ كَثِيرٌ، فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لِعَلِيٍّ، فَقَالَ: لَا يَهُولَنَّكُمْ أَمْرُهُمْ فَإِنَّهُمْ سَيَرْجِعُونَ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: إِنَّ خَلِيلِي أَخْبَرَنِي أَنَّ قَائِدَ هَؤُلَاءِ رَجُلٌ مُخْدَجُ الْيَدِ عَلَى ثَدْيِهِ شَعَرَاتٌ، حَلَمَةُ ثَدْيِهِ شَعَرَاتٌ، كَأَنَّهُنَّ ذَنَبُ الْيَرْبُوعِ " فَالْتَمَسُوهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَأَتَيْنَاهُ فَقُلْنَا: إِنَّا لَمْ نَجِدْهُ، فَجَاءَ عَلِيٌّ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَ يَقُولُ: اقْلِبُوا ذَا، اقْلِبُوا ذَا، حَتَّى جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْكُوفَةِ، فَقَالَ: هُوَ ذَا، قَالَ عَلِيٌّ: اللَّهُ أَكْبَرُ لَا يَأْتِيكُمْ أَحَدٌ يُخْبِرُكُمْ مَنْ أَبُوهُ؟، قَالَ: فَجَعَلَ النَّاسُ يَقُولُونَ: هَذَا مَالِكٌ، هَذَا مَالِكٌ

١- ((البداية والنهاية)) (١٠/ ٥٦٨).

يَقُولُ عَلِيٌّ ابْنُ مَنْ؟ [١].

وكان على رأس هؤلاء رجل يُدعى ابن الكواء، وشبث ابن ربعي، وكان الأخير يقول: أنا أول من حرر الحرورية فَقَالَ رجل مَا فِي هَذَا مَا تمتدح بِهِ [٢].

محاولة علي ردهم إلى الجادة، ومحاورة ابن عباس لهم:

بعد ذلك حاول علي ﷺ ردهم إلى الجادة، فأرسل إليهم ابن عمه الفقيه الحبر ابن عباس، عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ عَمَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو زُمَيْلٍ الْحَنَفِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ ﷺ، قَالَ: لَمَّا اعْتَزَلْتُ الْحَرُورِيَّةَ فَكَانُوا فِي دَارٍ عَلَى حِدَّتِهِمْ فَقُلْتُ لِعَلِيٍّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَبْرِدْ عَنِ الصَّلَاةِ لَعَلِّي آتِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ فَأُكَلِّمَهُمْ، قَالَ: إِنِّي أَتَخَوَّفُهُمْ عَلَيْكَ قُلْتُ: كَلَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، قَالَ: فَلَبِسْتُ أَحْسَنَ مَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْيَمَانِيَّةِ، قَالَ: ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ وَهُمْ قَائِلُونَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ أَرَ قَوْمًا قَطُّ أَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنْهُمْ، أَيْدِيهِمْ كَأَنَّهَا ثَفِنُ الْإِبِلِ، وَوُجُوهُهُمْ مُعَلَّمَةٌ مِنْ آثَارِ السُّجُودِ، قَالَ: فَدَخَلْتُ فَقَالُوا: مَرْحَبًا بِكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ مَا جَاءَ بِكَ؟ قُلْتُ: جِئْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمْ نَزَلَ الْوَحْيُ،

١- إسناده صحيح: أخرجه أحمد في ((مسنده)) (٢/ ٣٧٥) (رقم: ١١٨٩)، و((فضائل الصحابة)) (رقم: ١٢٣٤).

٢- إسناده صحيح: أخرجه خليفة في ((تاريخه)) (ص: ١٩٢)، والطبري في ((تاريخه)) (١١/ ٦٦٥).

وَهُمْ أَعْلَمُ بِتَأْوِيلِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تُحَدِّثُوهُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: وَاللهِ لَنُحَدِّثَنَّهُ، قَالَ: قُلْتُ: أَخْبِرُونِي مَا تَنْقُمُونَ عَلَى ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَخَتَنِهِ وَأَوَّلِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَعَهُ؟ " قَالُوا: نَنْقُمُ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، قَالَ: قُلْتُ: وَمَا هُنَّ؟ قَالُوا: أَوَّلُهُنَّ أَنَّهُ حَكَّمَ الرِّجَالَ فِي دِينِ اللهِ وَقَدْ قَالَ اللهُ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]، قَالَ: قُلْتُ: وَمَاذَا قَالُوا: وَقَاتَلَ وَلَمْ يَسْبِ وَلَمْ يَغْنَمْ لَئِنْ كَانُوا كُفَّارًا لَقَدْ حَلَّتْ لَهُ أَمْوَالُهُمْ وَلَئِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ لَقَدْ حُرِّمَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ؟ قَالَ: قُلْتُ: وَمَاذَا قَالُوا: مَحَا نَفْسَهُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَهُوَ أَمِيرُ الْكَافِرِينَ. قَالَ: قُلْتُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَرَأْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ كِتَابِ اللهِ الْمُحْكَمِ وَحَدَّثْتُكُمْ مِنْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ مَا لَا تُنْكِرُونَ، أَتَرْجِعُونَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: قُلْتُ: أَمَّا قَوْلُكُمْ: حَكَّمَ الرِّجَالَ فِي دِينِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾[المائدة: ٩٥] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥] وَقَالَ فِي الْمَرْأَةِ وَزَوْجِهَا: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ﴾ [النساء: ٣٥] أَنْشُدُكُمُ اللهَ أَحُكْمُ الرِّجَالِ فِي حَقْنِ دِمَائِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَإِصْلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ أَحَقُّ أَمْ فِي أَرْنَبٍ ثَمَنُهَا رُبْعُ دِرْهَمٍ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ بَلْ فِي حَقْنِ دِمَائِهِمْ وَإِصْلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ، قَالَ: أَخَرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: إِنَّهُ قَاتَلَ وَلَمْ يَسْبِ وَلَمْ يَغْنَمْ، أَتَسْبُونَ أُمَّكُمْ عَائِشَةَ أَمْ تَسْتَحِلُّونَ مِنْهَا مَا

تَسْتَحِلُّونَ مِنْ غَيْرِهَا، فَقَدْ كَفَرْتُمْ وَإِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّهَا لَيْسَتْ أُمَّ الْمُؤْمِنِينِ فَقَدْ كَفَرْتُمْ وَخَرَجْتُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾ [الأحزاب: ٦] فَأَنْتُمْ مُتَرَدِّدُونَ بَيْنَ ضَلَالَتَيْنِ فَاخْتَارُوا أَيَّتَهُمَا شِئْتُمْ، أَخَرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: مَحَا نَفْسَهُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَا قُرَيْشًا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ عَلَى أَنْ يَكْتُبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ كِتَابًا، فَقَالَ: «اكْتُبْ هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ» فَقَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ وَلَا قَاتَلْنَاكَ وَلَكِنِ اكْتُبْ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ: " وَاللَّهُ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ حَقًّا وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي اكْتُبْ يَا عَلِيُّ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ " فَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ عَلِيٍّ ﷺ، أَخَرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، «فَرَجَعَ مِنْهُمْ عِشْرُونَ أَلْفًا وَبَقِيَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ فَقُتِلُوا»(١).

عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عِيَاضِ بْنِ عَمْرٍو الْقَارِيِّ قَالَ: جَاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ شَدَّادٍ، فَدَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ، وَنَحْنُ عِنْدَهَا جُلُوسٌ، مَرْجِعَهُ مِنَ الْعِرَاقِ لَيَالِيَ قُتِلَ عَلِيٌّ، فَقَالَتْ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ شَدَّادٍ، هَلْ أَنْتَ صَادِقِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ؟

١- إسناده حسن: أخرجه عبد الرزاق في ((المصنف)) (كِتَابُ اللُّقَطَةِ) (بَابُ مَا جَاءَ فِي الْحَرُورِيَّةِ) (رقم: ١٨٦٧٨)، والطبراني في ((المعجم الكبير)) (رقم: ١٠٥٩٨)، ومن طريقه أبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (١/ ٣١٨).
وأخرجه أحمد في ((مسنده)) (رقم: ٣١٨٧) مختصرًا.

تُحَدِّثُنِي عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ قَتَلَهُمْ عَلِيٌّ، قَالَ: وَمَا لِي لَا أَصْدُقُكِ؟ قَالَتْ: فَحَدِّثْنِي عَنْ قِصَّتِهِمْ قَالَ: فَإِنَّ عَلِيًّا لَمَّا كَاتَبَ مُعَاوِيَةَ، وَحَكَّمَ الْحَكَمَيْنِ، خَرَجَ عَلَيْهِ ثَمَانِيَةُ آلافٍ مِنْ قُرَّاءِ النَّاسِ، فَنَزَلُوا بِأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا: حَرُورَاءُ، مِنْ جَانِبِ الْكُوفَةِ، وَإِنَّهُمْ عَتَبُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا: انْسَلَخْتَ مِنْ قَمِيصٍ أَلْبَسَكَهُ اللهُ تَعَالَى، وَاسْمٍ سَمَّاكَ اللهُ تَعَالَى بِهِ، ثُمَّ انْطَلَقْتَ فَحَكَّمْتَ فِي دِينِ اللهِ، فَلا حُكْمَ إِلا لِلَّهِ تَعَالَى. فَلَمَّا أَنْ بَلَغَ عَلِيًّا مَا عَتَبُوا عَلَيْهِ، وَفَارَقُوهُ عَلَيْهِ، فَأَمَرَ مُؤَذِّنًا فَأَذَّنَ: أَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلا رَجُلٌ قَدْ حَمَلَ الْقُرْآنَ. فَلَمَّا أَنِ امْتَلاتِ الدَّارُ مِنْ قُرَّاءِ النَّاسِ، دَعَا بِمُصْحَفٍ إِمَامٍ عَظِيمٍ، فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَصُكُّهُ بِيَدِهِ وَيَقُولُ: أَيُّهَا الْمُصْحَفُ، حَدِّثِ النَّاسَ، فَنَادَاهُ النَّاسُ فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا تَسْأَلُ عَنْهُ إِنَّمَا هُوَ مِدَادٌ فِي وَرَقٍ، وَنَحْنُ نَتَكَلَّمُ بِمَا رُوِينَا مِنْهُ، فَمَاذَا تُرِيدُ؟ قَالَ: أَصْحَابُكُمْ هَؤُلاءِ الَّذِينَ خَرَجُوا، بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ كِتَابُ اللهِ ﷻ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ فِي امْرَأَةٍ وَرَجُلٍ: وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا فَأُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ أَعْظَمُ دَمًا وَحُرْمَةً مِنَ امْرَأَةٍ وَرَجُلٍ وَنَقَمُوا عَلَيَّ أَنْ كَاتَبْتُ مُعَاوِيَةَ: كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَقَدْ جَاءَنَا سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْحُدَيْبِيَةِ، حِينَ صَالَحَ قَوْمَهُ قُرَيْشًا، فَكَتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ". فَقَالَ: سُهَيْلٌ لَا تَكْتُبْ:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. فَقَالَ: " كَيْفَ نَكْتُبُ ؟ " فَقَالَ: اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " فَاكْتُبْ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ " فَقَالَ: لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ لَمْ أُخَالِفْكَ. فَكَتَبَ: هَذَا مَا صَالَحَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ قُرَيْشًا. يَقُولُ: اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ " فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ عَلِيٌّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ، فَخَرَجْتُ مَعَهُ، حَتَّى إِذَا تَوَسَّطْنَا عَسْكَرَهُمْ، قَامَ ابْنُ الْكَوَّاءِ يَخْطُبُ النَّاسَ، فَقَالَ: يَا حَمَلَةَ الْقُرْآنِ، إِنَّ هَذَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ فَأَنَا أُعَرِّفُهُ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَا يَعْرِفُهُ بِهِ، هَذَا مِمَّنْ نَزَلَ فِيهِ وَفِي قَوْمِهِ: قَوْمٌ خَصِمُونَ فَرُدُّوهُ إِلَى صَاحِبِهِ، وَلا تُوَاضِعُوهُ كِتَابَ اللهِ. فَقَامَ خُطَبَاؤُهُمْ فَقَالُوا: وَاللهِ لَنُوَاضِعَنَّهُ كِتَابَ اللهِ، فَإِنْ جَاءَ بِحَقٍّ نَعْرِفُهُ لَنَتَّبِعَنَّهُ، وَإِنْ جَاءَ بِبَاطِلٍ لَنُبَكِّتَنَّهُ بِبَاطِلِهِ. فَوَاضَعُوا عَبْدَ اللهِ الْكِتَابَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، فَرَجَعَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ آلافٍ كُلُّهُمْ تَائِبٌ، فِيهِمُ ابْنُ الْكَوَّاءِ، حَتَّى أَدْخَلَهُمْ عَلَى عَلِيٍّ الْكُوفَةَ، فَبَعَثَ عَلِيٌّ، إِلَى بَقِيَّتِهِمْ، فَقَالَ: قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِنَا وَأَمْرِ النَّاسِ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ، فَقِفُوا حَيْثُ شِئْتُمْ، حَتَّى تَجْتَمِعَ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ، بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا تَسْفِكُوا دَمًا حَرَامًا، أَوْ تَقْطَعُوا سَبِيلًا، أَوْ تَظْلِمُوا ذِمَّةً، فَإِنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ فَقَدْ نَبَذْنَا إِلَيْكُم الْحَرْبَ عَلَى سَوَاءٍ، إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ. فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: يَا ابْنَ شَدَّادٍ، فَقَدْ قَتَلَهُمْ فَقَالَ: وَاللهِ مَا بَعَثَ إِلَيْهِمْ حَتَّى قَطَعُوا السَّبِيلَ، وَسَفَكُوا الدَّمَ، وَاسْتَحَلُّوا أَهْلَ

الذِّمَّةِ. فَقَالَتْ: آللهُ؟ قَالَ: آللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَقَدْ كَانَ. قَالَتْ: فَمَا شَيْءٌ بَلَغَنِي عَنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ يَتَحَدَّثُونَهُ؟ يَقُولُونَ: ذُو الثُّدَيِّ، وَذُو الثُّدَيِّ. قَالَ: قَدْ رَأَيْتُهُ، وَقُمْتُ مَعَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ فِي الْقَتْلَى، فَدَعَا النَّاسَ فَقَالَ: أَتَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَمَا أَكْثَرَ مَنْ جَاءَ يَقُولُ: قَدْ رَأَيْتُهُ فِي مَسْجِدِ بَنِي فُلَانٍ يُصَلِّي، وَرَأَيْتُهُ فِي مَسْجِدِ بَنِي فُلَانٍ يُصَلِّي، وَلَمْ يَأْتُوا فِيهِ بِثَبَتٍ يُعْرَفُ إِلَّا ذَلِكَ. قَالَتْ: فَمَا قَوْلُ عَلِيٍّ حِينَ قَامَ عَلَيْهِ كَمَا يَزْعُمُ أَهْلُ الْعِرَاقِ؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ قَالَتْ: هَلْ سَمِعْتَ مِنْهُ أَنَّهُ قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ؟ قَالَ: اللهُمَّ لَا. قَالَتْ: أَجَلْ، صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ، يَرْحَمُ اللهُ عَلِيًّا إِنَّهُ كَانَ مِنْ كَلَامِهِ لَا يَرَى شَيْئًا يُعْجِبُهُ إِلَّا قَالَ: صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ، فَيَذْهَبُ أَهْلُ الْعِرَاقِ يَكْذِبُونَ عَلَيْهِ، وَيَزِيدُونَ عَلَيْهِ فِي الْحَدِيثِ[1].

١- إسناده حسن: أخرجه أحمد في ((مسنده)) (مُسْنَدُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه) (رقم: ٦٥٦)، والحاكم في ((المستدرك)) (كِتَابُ قِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ وَهُوَ آخِرُ الْجِهَادِ) (رقم: ٢٦٥٧) وقال: ((هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، إِلَّا ذِكْرَ ذِي الثُّدَيَّةِ فَقَدْ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ بِأَسَانِيدَ كَثِيرَةٍ))، والبيهقي في ((السنن الكبرى)) (جِمَاعُ أَبْوَابِ الرُّعَاةِ) (بَابُ لَا يُبْدَأُ الْخَوَارِجُ بِالْقِتَالِ حَتَّى يُسْأَلُوا مَا نَقَمُوا، ثُمَّ يُؤْمَرُوا بِالْعَوْدِ، ثُمَّ يُؤْذَنُوا بِالْحَرْبِ) (رقم: ١٦٧٤١).

وقال ابن كثير في ((البداية والنهاية)) (١٠/ ٥٦٨): ((تفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ وَاخْتَارَهُ الضِّيَاءُ)).

محاورة علي لهم:

ولم يكتف علي بإرسال ابن عباس بل كلمهم بنفسه، عَنْ أَبِي رَزِينٍ، قَالَ: لَمَّا كَانَتِ الْحُكُومَةُ بِصِفِّينَ وَبَايَنَ الْخَوَارِجُ عَلِيًّا رَجَعُوا مُبَايِنِينَ لَهُ، وَهُمْ فِي عَسْكَرٍ، وَعَلِيٌّ فِي عَسْكَرٍ، حَتَّى دَخَلَ عَلِيٌّ الْكُوفَةَ مَعَ النَّاسِ بِعَسْكَرِهِ، وَمَضَوْا هُمْ إِلَى حَرُورَاءَ فِي عَسْكَرِهِمْ، فَبَعَثَ عَلِيٌّ إِلَيْهِمْ ابْنَ عَبَّاسٍ فَكَلَّمَهُمْ فَلَمْ يَقَعْ مِنْهُمْ مَوْقِعًا، فَخَرَجَ عَلِيٌّ إِلَيْهِمْ فَكَلَّمَهُمْ حَتَّى أَجْمَعُوا هُمْ وَهُوَ عَلَى الرِّضَا، فَرَجَعُوا حَتَّى دَخَلُوا الْكُوفَةَ عَلَى الرِّضَا مِنْهُ وَمِنْهُمْ، فَأَقَامُوا يَوْمَيْنِ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، قَالَ: فَدَخَلَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ وَكَانَ يَدْخُلُ عَلَى عَلِيٍّ فَقَالَ: إِنَّ النَّاسَ يَتَحَدَّثُونَ أَنَّكَ رَجَعْتَ لَهُمْ عَنْ كُرْهٍ، فَلَمَّا أَنْ كَانَ الْغَدُ الْجُمُعَةُ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ فَخَطَبَ فَذَكَّرَهُمْ وَمُبَايَنَتَهُمُ النَّاسَ وَأَمْرَهُمُ الَّذِي فَارَقُوهُ فِيهِ، فَعَابَهُمْ وَعَابَ أَمْرَهُمْ ; قَالَ: فَلَمَّا نَزَلَ عَنِ الْمِنْبَرِ تَنَادَوْا مِنْ نَوَاحِي الْمَسْجِدِ «لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ» فَقَالَ عَلِيٌّ: حُكْمُ اللَّهِ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ، ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ هَكَذَا يُسْكِتُهُمْ بِالْإِشَارَةِ، وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ حَتَّى أَتَى رَجُلٌ مِنْهُمْ وَاضِعًا إِصْبَعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[الزمر: ٦٥][1].

١- إسناده حسن: أخرجه ابن أبي شيبة في ((مصنفه)) (كتاب الجمل) (باب ما ذكر في صفين) (رقم: ٣٩٠٥٥).

سياسة علي مع الخوارج :

وبعد هذه الحادثة أعلن علي سياسته فيهم، عَنْ كَثِيرِ بْنِ نِمْرٍ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا فِي الْجُمُعَةِ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، عَلَى الْمِنْبَرِ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، ثُمَّ قَامَ آخَرُ فَقَالَ: لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، ثُمَّ قَامُوا مِنْ نَوَاحِي الْمَسْجِدِ يُحَكِّمُونَ اللَّهَ فَأَشَارَ عَلَيْهِمْ بِيَدِهِ: اجْلِسُوا، نَعَمْ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، كَلِمَةُ حَقٍّ يُبْتَغَى بِهَا بَاطِلٌ، حُكْمُ اللَّهِ يُنْتَظَرُ فِيكُمْ، الْآنَ لَكُمْ عِنْدِي ثَلَاثُ خِلَالٍ مَا كُنْتُمْ مَعَنَا، لَنْ نَمْنَعُكُمْ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يَذْكُرَ فِيهَا اسْمُهُ، وَلَا نَمْنَعُكُمْ فَيْئًا مَا كَانَتْ أَيْدِيكُمْ مَعَ أَيْدِينَا، وَلَا نُقَاتِلُكُمْ حَتَّى تُقَاتِلُوا، ثُمَّ أَخَذَ فِي خُطْبَتِهِ "[1].

إظهار الحزم معهم :

وقد أظهر علي الحزم معهم، عن أَبِي مَرْيَمَ، أَنَّ شُبثَ بْنَ رِبْعِيٍّ، وَابْنَ الْكَوَّاءِ، خَرَجَا مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى حَرُورَاءَ، فَأَمَرَ عَلِيٌّ النَّاسَ أَنْ يَخْرُجُوا بِسِلَاحِهِمْ فَخَرَجُوا إِلَى الْمَسْجِدِ حَتَّى امْتَلَأَ الْمَسْجِدُ، فَأَرْسَلَ عَلِيٌّ: بِئْسَ مَا صَنَعْتُمْ حِينَ تَدْخُلُونَ الْمَسْجِدَ بِسِلَاحِكُمْ، اذْهَبُوا إِلَى جَبَّانَةِ مُرَادٍ حَتَّى يَأْتِيَكُمْ أَمْرِي، قَالَ: قَالَ أَبُو مَرْيَمَ: فَانْطَلَقْنَا إِلَى جَبَّانَةِ مُرَادٍ، فَكُنَّا بِهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ بَلَغَنَا أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ رَجَعُوا وَأَنَّهُمْ زَاحِفُونَ، قَالَ: فَقُلْتُ: أَنْطَلِقُ

١- إسناده حسن: أخرجه ابن أبي شيبة في ((مصنفه)) (كتاب الجمل) (باب ما ذكر في صفين) (رقم: ٣٩٠٨٥)، ومن طريقه البيهقي في ((السنن الكبرى)) (٨/ ١٨٤)، وأخرجه الطبري في ((تاريخه)) (٣/ ١١٤)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (رقم: ٧٧٦٧).

أَنَا فَأَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، قَالَ: فَانْطَلَقْتُ فَجَعَلْتُ أَتَخَلَّلُ صُفُوفَهُمْ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى شَبَثِ بْنِ رِبْعِيٍّ وَابْنِ الْكَوَّاءِ وَهُمَا وَاقِفَانِ مُتَوَرِّكَانِ عَلَى دَابَّتَيْهِمَا، وَعِنْدَهُمْ رُسُلُ عَلِيٍّ يُنَاشِدُونَهُمَا اللَّهَ لَمَّا رَجَعُوا، وَهُمْ يَقُولُونَ لَهُمْ: نُعِيذُكُمْ بِاللَّهِ أَنْ تُعَجِّلُوا بِفِتْنَةِ الْعَامِ خَشْيَةَ عَامٍ قَابِلٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ إِلَى بَعْضِ رُسُلِ عَلِيٍّ فَعَقَرَ دَابَّتَهُ، فَنَزَلَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَسْتَرْجِعُ، فَحَمَلَ سَرْجَهُ فَانْطَلَقَ بِهِ، وَهُمَا يَقُولَانِ: مَا طَلَبْنَا إِلَّا مُنَابَذَتَهُمْ، وَهُمْ يُنَاشِدُونَهُمُ اللَّهَ، فَمَكَثُوا سَاعَةً ثُمَّ انْصَرَفُوا إِلَى الْكُوفَةِ كَأَنَّهُ يَوْمُ أَضْحَى أَوْ يَوْمُ فِطْرٍ، وَكَانَ عَلِيٌّ يُحَدِّثُنَا قَبْلَ ذَلِكَ أَنَّ قَوْمًا يَخْرُجُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ، يَمْرُقُونَ مِنْهُ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، عَلَامَتُهُمْ رَجُلٌ مُخْدَجُ الْيَدِ، قَالَ: فَسَمِعْتُ ذَلِكَ مِنْهُ مِرَارًا كَثِيرَةً، قَالَ: وَسَمِعَهُ نَافِعٌ: الْمُخْدَعُ أَيْضًا، حَتَّى رَأَيْتُهُ يَتَكَرَّهُ طَعَامَهُ مِنْ كَثْرَةِ مَا سَمِعَهُ مِنْهُ، قَالَ: وَكَانَ نَافِعٌ مَعَنَا فِي الْمَسْجِدِ يُصَلِّي فِيهِ بِالنَّهَارِ، وَيَبِيتُ فِيهِ بِاللَّيْلِ، وَقَدْ كَسَوْتُهُ بُرْنُسًا فَلَقِيتُهُ مِنَ الْغَدِ فَسَأَلْتُهُ: هَلْ كَانَ خَرَجَ مَعَنَا النَّاسُ الَّذِينَ خَرَجُوا إِلَى حَرُورَاءَ؟ قَالَ: خَرَجْتُ أُرِيدُهُمْ حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ إِلَى بَنِي فُلَانٍ لَقِيَنِي صِبْيَانٌ، فَنَزَعُوا سِلَاحِي، فَرَجَعْتُ حَتَّى إِذَا كَانَ الْحَوْلُ أَوْ نَحْوُهُ خَرَجَ أَهْلُ النَّهْرَوَانِ وَسَارَ عَلِيٌّ إِلَيْهِمْ، فَلَمْ أَخْرُجْ مَعَهُ، قَالَ: وَخَرَجَ أَخِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَمَوْلَاهُ مَعَ عَلِيٍّ، قَالَ: فَأَخْبَرَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ عَلِيًّا سَارَ إِلَيْهِمْ حَتَّى إِذَا كَانَ حِذَاءَهُمْ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرَوَانِ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يُنَاشِدُهُمُ اللَّهَ

وَيَأْمُرُهُمْ أَنْ يَرْجِعُوا، فَلَمْ تَزَلْ رُسُلُهُ تَخْتَلِفُ إِلَيْهِمْ حَتَّى قَتَلُوا رَسُولَهُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ نَهَضَ إِلَيْهِمْ فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى فَرَغَ مِنْهُمْ كُلِّهِمْ، ثُمَّ أَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَلْتَمِسُوا الْمُخْدَجَ فَالْتَمَسُوهُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَا نَجِدُهُ حَيًّا، وَقَالَ: بَعْضُهُمْ: مَا هُوَ فِيهِمْ ; ثُمَّ إِنَّهُ جَاءَهُ رَجُلٌ فَبَشَّرَهُ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ وَاللَّهِ وَجَدْنَاهُ تَحْتَ قَتِيلَيْنِ فِي سَاقَيْهِ، فَقَالَ: اقْطَعُوا يَدَهُ الْمُخْدَجَةَ وَأْتُونِي بِهَا، فَلَمَّا أُتِيَ بِهَا أَخَذَهَا بِيَدِهِ ثُمَّ رَفَعَهَا ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِبْتُ(١).

ولما أيقن الخوارج أن أمير المؤمنين عازم على إنفاذ أبي موسى الأشعري حكمًا، طلبوا منه الامتناع عن ذلك، فأبى علي عليهم ذلك وبين لهم أن هذا يعد غدرًا ونقضًا للأيمان والعهود، وقد كتبنا بيننا وبين القوم عهودًا، وقد قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ [النحل:٩١].

عن عَبْدِ الْمَلِكِ بن أبي حرة: إن عَلِيًّا لما بعث أبا مُوسَى لإنفاذ الحكومة لقيت الخوارج بعضها بعضا، فاجتمعوا فِي منزل عَبْد اللَّهِ بن وهب الراسبي، فَحَمِدَ اللَّهَ عَبْد اللَّهِ بن وهب وأثنى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بعد، فو الله مَا ينبغي لقوم يؤمنون بالرحمن، وينيبون إِلَى حكم القرآن، أن تكون هَذِهِ

١- إسناده حسن: أخرجه ابن أبي شيبة في ((مصنفه)) (كتاب الجمل) (باب ما ذكر في الخوارج) (رقم: ٣٧٩٢٧)، والطبري في ((تاريخه)) (٥/ ٩١).

الدُّنْيَا، الَّتِي الرضا بها والركون بها والإيثار إياها عناء وتبار، آثر عندهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقول بالحق، وإن من وضر فإنه من يمن ويضر فِي هَذِهِ الدُّنْيَا فإن ثوابه يوم الْقِيَامَة رضوان الله ﷻ والخلود فِي جناته فاخرجوا بنا إخواننا من هَذِهِ القرية الظالم أهلها إِلَى بعض كور الجبال أو إِلَى بعض هَذِهِ المدائن، منكرين لهذه البدع المضلة.

فَقَالَ لَهُ حُرْقُوص بن زهير: إن المتاع بهذه الدُّنْيَا قليل، وإن الفراق لها وشيك، فلا تدعونكم زينتها وبهجتها إِلَى المقام بِهَا، وَلا تلفتنكم عن طلب الحق، وإنكار الظلم، فإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ فقال حمزه ابن سنان الأسدي: يَا قوم، إن الرأي مَا رأيتم، فولوا أمركم رجلا مِنْكُمْ، فإنه لا بد لكم من عماد وسناد وراية تحفون بِهَا، وترجعون إِلَيْهَا فعرضوها عَلَى زَيْد بن حصين الطَّائِيّ فأبى، وعرضوها عَلَى حُرْقُوص بن زهير فأبى، وعلى حمزة بن سنان وشريح بن أوفى العبسي فأبيا، وعرضوها عَلَى عَبْد الله ابن وهب، فَقَالَ: هاتوها، أما وَاللَّهِ لا آخذها رغبة فِي الدُّنْيَا، وَلا أدعها فرقا من الموت فبايعوه لعشر خلون من شوال- وَكَانَ يقال لَهُ ذو الثفنات- ثُمَّ اجتمعوا فِي منزل شريح بن أوفى العبسي، فَقَالَ ابن وهب: اشخصوا بنا إِلَى بلدة نجتمع فِيهَا لإنفاذ حكم اللَّه، فإنكم أهل الحق قَالَ شريح:

نخرج إِلَى المدائن فننزلها، ونأخذ بأبوابها، ونخرج منها سكانها، ونبعث

إِلَى إخواننا من أهل الْبَصْرَة فيقدمون علينا فَقَالَ زَيْد بن حصين: إنكم إن خرجتم مجتمعين اتبعتم، ولكن اخرجوا وحدانا مستخفين، فأما المدائن فإن بِهَا من يمنعكم، ولكن سيروا حَتَّى تنزلوا جسر النهروان، وتكاتبوا إخوانكم من أهل الْبَصْرَة قَالُوا: هَذَا الرأي[١].

وبعد بيعة الراسبي عبد الله بن وهب لعشر خلون من شوال لعام سبع وثلاثين للهجرة، وخروجهم إلى النهروان كتب إليهم كتابًا يدعوهم فيه إلى الرجوع، فكتبوا إليه كتابًا جاء فيه: أَمَّا بَعْدُ، فإنك لم تغضب لربك، إنما غضبت لنفسك، فإن شهدت عَلَى نفسك بالكفر، واستقبلت التوبة، نظرنا فِيمَا بيننا وبينك، وإلا فقد نابذناك عَلَى سواء إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ فلما قرأ كتابهم أيس مِنْهُمْ، فرأى أن يدعهم ويمضي بِالنَّاسِ إِلَى أهل الشام حَتَّى يلقاهم فيناجزهم[٢].

لقد اتخذ الخلاف في هذه المرحلة بعدًا أكثر عنفًا، حين راح الحرورية يجاهرون برفضهم للتحكيم في الأماكن العامة، وفي المسجد الجامع، كما كانوا يقاطعون خطب الخليفة، ويستفزونه برفع شعاراتهم، واتهموه بالكفر والشرك، وتمادوا حين هددوه بالقتل.

واجه علي هذه التصرفات بصبر كبير، ولم يحاول، على الرغم من هذه الاستفزازات، إنزال العقاب بهم، كما لم يمنعهم الفيء، ودخول المساجد

١- إسناده ضعيف جدًّا: أخرجه الطبري في ((تاريخه)) (٥/ ٧٤-٧٨).

٢- إسناده ضعيف جدًّا: أخرجه الطبري ((تاريخ الطبري)) (٥/ ٧٨).

ولم يتصد لهم ما لم يسفكوا دمًا، مبررًا تصرفه بحرصه الشديد على تجاوز الخلافات، وتجنب حصول انقسام في معسكر؛ لأن من شأن ذلك أن يضعف موقفه في مواجهة خصمه الرئيسي معاوية.

وبعد أن فشلت محاولات إثنائه عن قراره عقد الحرورية اجتماعات مكثفة في منازل عبد الله بن وهب الراسي، وشريح بن أوفى العبسي، وزيد بن حصين الطائي، وقرروا الخروج من الكوفة، وظهرت أفكار جديدة عبرت عنها هذه الجماعة، فقد شبهت الخروج من الكوفة بهجرة الرسول من مكة إلى المدينة، وابتعاده عن كفار قريش، من هنا تسمية الخوارج أنفسهم بالمهاجرين، وتسمية الكوفة بالقرية الظالم أهلها، كما كفروا المخالفين لهم وتبرأوا منهم. وهكذا، فبعد أن شمل التكفير في حروراء معاوية وأنصاره، أضحى، بعد قرار إجراء التحكيم، يشمل الخليفة وأتباعه.

والواقع أن ربط الحرورية مواقفهم السياسية بالدين، سيدفعهم إلى تبني فكرة الخطأ الديني، وتكفير من يخالفهم ومحاربتهم، وسيعدون ذلك واجبًا مقدسًا؛ لأنهم "أهل الحق"، ولعل أوضح الأمثلة على ذلك هو إعدامهم الصحابي عبد الله بن خباب، وامرأته بعد محاكمة سريعة[١].

١- ((تاريخ الخلفاء)) طقوش (ص: ٤٦٩).

إفساد الخوارج في الأرض:

ولكن الخوارج عاثوا في الأرض فسادًا، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلالٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ كَانَ مِنَ الْخَوَارِجِ ثُمَّ فَارَقَهُمْ، قَالَ: دَخَلُوا قَرْيَةً، فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَبَّابٍ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ذُعْرًا يَجُرُّ رِدَاءَهُ، فَقَالُوا: لَمْ تُرَعْ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ ذَعَّرْتُمُونِي! قَالُوا: أَأَنْتَ عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا:

فَهَلْ سَمِعْتَ مِنْ أَبِيكَ حديثا يحدث به عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ ذَكَرَ فِتْنَةً، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي؟ قَالَ: فَإِنْ أَدْرَكْتُمْ ذَلِكَ فَكُنْ يَا عَبْدَ اللَّهِ الْمَقْتُولَ- قَالَ أَيُّوبُ: وَلا أَعْلَمُهُ إِلا قَالَ: وَلا تَكُنْ يَا عَبْدَ اللَّهِ الْقَاتِلَ- قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَقَدَّمُوهُ عَلَى ضِفَّةِ النَّهْرِ، فَضَرَبُوا عُنُقَهُ، فَسَالَ دَمُهُ كَأَنَّهُ شِرَاكُ نَعْلٍ، وَبَقَرُوا بَطْنَ أُمِّ وَلَدِهِ عَمَّا فِي بَطْنِهَا[1].

عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ، مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ قَالَ: كُنْتُ مَعَ الْخَوَارِجِ فَرَأَيْتُ مِنْهُمْ شَيْئًا كَرِهْتُهُ، فَفَارَقْتُهُمْ عَلَى أَنْ لَا أُكْثِرَ عَلَيْهِمْ، فَبَيْنَا أَنَا مَعَ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ إِذْ رَأَوْا رَجُلًا خَرَجَ كَأَنَّهُ فَزِعٌ، وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ نَهْرٌ، فَقَطَعُوا إِلَيْهِ النَّهْرَ، فَقَالُوا: كَأَنَّا رُعْنَاكَ؟ قَالَ: أَجَلْ، قَالُوا: وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ، قَالُوا: عِنْدَكَ حَدِيثٌ تُحَدِّثُنَاهُ عَنْ أَبِيكَ عَنْ

١- إسناده ضعيف: أخرجه الطبري في ((تاريخه)) (٥/ ٨١).

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ فِتْنَةً جَائِيَةً، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، فَإِذَا لَقِيتَهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ عَبْدَ اللَّهِ الْمَقْتُولَ فَلَا تَكُنْ عَبْدَ اللَّهِ الْقَاتِلَ، قَالَ: فَقَرَّبُوهُ إِلَى النَّهَرَةِ فَضَرَبُوا عُنُقَهُ فَرَأَيْتُ دَمَهُ يَسِيلُ عَلَى الْمَاءِ كَأَنَّهُ شِرَاكُ مَاءٍ انْدَفَرَ بِالْمَاءِ حَتَّى تَوَارَى عَنْهُ، ثُمَّ دَعَوْا بِسُرِّيَّةٍ لَهُ حُبْلَى فَبَقَرُوا عَمَّا فِي بَطْنِهَا"[1].

عَنْ أَبِي مِجْلَزٍ، قَالَ: نَهَى عَلِيٌّ أَصْحَابَهُ أَنْ يَسْطُوا عَلَى الْخَوَارِجِ حَتَّى يُحْدِثُوا حَدَثًا، فَمَرُّوا بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَبَّابٍ فَأَخَذُوهُ، فَمَرَّ بَعْضُهُمْ عَلَى تَمْرَةٍ سَاقِطَةٍ مِنْ نَخْلَةٍ فَأَخَذَهَا فَأَلْقَاهَا فِي فِيهِ ; فَقَالَ بَعْضُهُمْ: تَمْرَةُ مُعَاهَدٍ، فَبِمَ اسْتَحْلَلْتَهَا؟ فَأَلْقَاهَا مِنْ فِيهِ، ثُمَّ مَرُّوا عَلَى خِنْزِيرٍ فَنَفَحَهُ بَعْضُهُمْ بِسَيْفِهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: خِنْزِيرُ مُعَاهَدٍ، فَبِمَ اسْتَحْلَلْتَهُ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ عَلَيْكُمْ حُرْمَةً مِنْ هَذَا؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: أَنَا، فَقَدَّمُوهُ فَضَرَبُوا عُنُقَهُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ عَلِيٌّ أَنْ أَقِيدُونَا بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَبَّابٍ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ: وَكَيْفَ نُقِيدُكَ وَكُلُّنَا قَتَلَهُ، قَالَ: أَوَكُلُّكُمْ قَتَلَهُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: اللَّهُ

١- إسناده ضعيف: أخرجه عبد الرزاق في ((مصنفه)) (كِتَابُ الْعُقُولِ) (بَابُ قِتَالِ الْحَرُورِيَّةِ) (رقم: ١٨٥٧٨)، وابن أبي شيبة في ((مصنفه)) (كتاب الجمل) (مَا ذُكِرَ فِي الْخَوَارِجِ) (رقم: ٣٧٨٩٦)، وأبو يعلى في ((مسنده)) (رقم: ٧٢١٥)، والآجري في ((الشريعة)) (بَابُ فَضْلِ الْقُعُودِ فِي الْفِتْنَةِ عَنِ الْخَوْضِ فِيهَا وَتَخَوُّفِ الْعُقَلَاءِ عَلَى قُلُوبِهِمْ أَنْ تَهْوَى مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ تَعَالَى وَلُزُومِ الْبُيُوتِ وَالْعِبَادَةِ لِلَّهِ تَعَالَى) (١/ ٣٨٨، ٣٨٩)، والطبراني في ((المعجم الكبير)) (٤/ ٦٠).

أَكْبَرُ، ثُمَّ أَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَسْطُوا عَلَيْهِمْ، قَالَ: وَاللَّهِ لَا يُقْتَلُ مِنْكُمْ عَشَرَةٌ وَلَا يَفْلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ، قَالَ: فَقَتَلُوهُمْ فَقَالَ: اطْلُبُوا فِيهِمْ ذَا الثُّدَيَّةِ، فَطَلَبُوهُ فَأُتِيَ بِهِ، فَقَالَ: مَنْ يَعْرِفُهُ، فَلَمْ يَجِدُوا أَحَدًا يَعْرِفُهُ إِلَّا رَجُلًا، قَالَ: أَنَا رَأَيْتُهُ بِالْحِيرَةِ، فَقُلْتُ لَهُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: هَذِهِ، وَأَشَارَ إِلَى الْكُوفَةِ، وَمَالِي بِهَا مَعْرِفَةٌ، قَالَ: فَقَالَ عَلِيٌّ: صَدَقَ هُوَ مِنَ الْجَانِّ "[١].

كانت هذه الحادثة بمثابة محفز لقتال الخوارج، فخرج إليهم علي عام ٣٨ هـ، في شهر محرم لقتالهم، وحث جيشه على القتال:

عَنْ عَبِيدَةَ، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: ذَكَرَ الْخَوَارِجَ فَقَالَ: «فِيهِمْ رَجُلٌ مُخْدَجُ الْيَدِ، أَوْ مُودَنُ الْيَدِ، أَوْ مَثْدُونُ الْيَدِ»، لَوْلَا أَنْ تَبْطَرُوا لَحَدَّثْتُكُمْ بِمَا وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ يَقْتُلُونَهُمْ، عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ، قَالَ قُلْتُ: آنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ؟ قَالَ: إِي، وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، إِي، وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، إِي، وَرَبِّ الْكَعْبَةِ[٢].

قَالَ عَلِيٌّ ﷺ، إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا، فَوَاللَّهِ لَأَنْ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكْذِبَ عَلَيْهِ، وَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ،

١- إسناده حسن: أخرجه ابن أبي شيبة في ((مصنفه)) (كتاب الجمل) (باب ما ذكر في صفين) (رقم: ٣٩٠٤٨)، وأبو عبيد في ((الأموال)) (٤٧٦)، والبلاذري في ((أنساب الأشراف)) (٢/ ٣٦٦)، والدارقطني في ((السنن)) (رقم: ٣٢٥٠)، ومن طريقه البيهقي في ((السنن الكبرى)) (٨/ ١٨٤).

٢- حديث صحيح: أخرجه الإمام مسلم في ((صحيحه)) (كِتَاب الزَّكَاةِ) (بَابُ التَّحْرِيضِ عَلَى قَتْلِ الْخَوَارِجِ) (رقم: ١٠٦٦).

فَإِنَّ الحَرْبَ خِدْعَةٌ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «سَيَخْرُجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، أَحْدَاثُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ البَرِيَّةِ، لاَ يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ، كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ»[١].

سَلَمَةُ بْنُ كُهَيْلٍ، حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ الْجُهَنِيُّ، أَنَّهُ كَانَ فِي الْجَيْشِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ عَلِيٍّ ﷺ، الَّذِينَ سَارُوا إِلَى الْخَوَارِجِ، فَقَالَ عَلِيٌّ ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ، لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»، لَوْ يَعْلَمُ الْجَيْشُ الَّذِينَ يُصِيبُونَهُمْ، مَا قُضِيَ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ ﷺ، لَاتَّكَلُوا عَنِ الْعَمَلِ، «وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّ فِيهِمْ رَجُلًا لَهُ عَضُدٌ، وَلَيْسَ لَهُ ذِرَاعٌ، عَلَى رَأْسِ عَضُدِهِ مِثْلُ حَلَمَةِ الثَّدْيِ، عَلَيْهِ شَعَرَاتٌ بِيضٌ» فَتَذْهَبُونَ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَأَهْلِ الشَّامِ وَتَتْرُكُونَ هَؤُلَاءِ يَخْلُفُونَكُمْ فِي ذَرَارِيِّكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَاللهِ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونُوا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ سَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ، وَأَغَارُوا فِي

١- حديث صحيح: أخرجه الإمام البخاري في ((صحيحه)) (كِتَابُ اسْتِتَابَةِ الْمُرْتَدِّينَ وَالْمُعَانِدِينَ وَقِتَالِهِمْ) (بَابُ قَتْلِ الخَوَارِجِ وَالْمُلْحِدِينَ بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ) (رقم: ٦٩٣٠).

سَرْحِ النَّاسِ، فَسِيرُوا عَلَى اسْمِ اللهِ. قَالَ سَلَمَةُ بْنُ كُهَيْلٍ: فَنَزَّلَنِي زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ مَنْزِلًا، حَتَّى قَالَ: مَرَرْنَا عَلَى قَنْطَرَةٍ، فَلَمَّا الْتَقَيْنَا وَعَلَى الْخَوَارِجِ يَوْمَئِذٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ الرَّاسِبِيُّ، فَقَالَ: لَهُمْ أَلْقُوا الرِّمَاحَ، وَسُلُّوا سُيُوفَكُمْ مِنْ جُفُونِهَا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُنَاشِدُوكُمْ كَمَا نَاشَدُوكُمْ يَوْمَ حَرُورَاءَ، فَرَجَعُوا فَوَحَّشُوا بِرِمَاحِهِمْ، وَسَلُّوا السُّيُوفَ، وَشَجَرَهُمُ النَّاسُ بِرِمَاحِهِمْ، قَالَ: وَقُتِلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَمَا أُصِيبَ مِنَ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ إِلَّا رَجُلَانِ، فَقَالَ عَلِيٌّ ﵁: الْتَمِسُوا فِيهِمُ الْمُخْدَجَ، فَالْتَمَسُوهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَقَامَ عَلِيٌّ ﵁ بِنَفْسِهِ حَتَّى أَتَى نَاسًا قَدْ قُتِلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، قَالَ: أَخِّرُوهُمْ، فَوَجَدُوهُ مِمَّا يَلِي الْأَرْضَ، فَكَبَّرَ، ثُمَّ قَالَ: صَدَقَ اللهُ، وَبَلَّغَ رَسُولُهُ، قَالَ: فَقَامَ إِلَيْهِ عَبِيدَةُ السَّلْمَانِيُّ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، لَسَمِعْتَ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَ: إِي، وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، حَتَّى اسْتَحْلَفَهُ ثَلَاثًا، وَهُوَ يَحْلِفُ لَهُ "[1].

وحصل بعد ذلك أنهم قتلوا رسل علي، فخرج إليهم فقاتلهم، قَالَ: فَأَخْبَرَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ عَلِيًّا سَارَ إِلَيْهِمْ حَتَّى إِذَا كَانَ حِذَاءَهُمْ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرَوَانِ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يُنَاشِدُهُمُ اللَّهَ وَيَأْمُرُهُمْ أَنْ يَرْجِعُوا، فَلَمْ تَزَلْ رُسُلُهُ تَخْتَلِفُ إِلَيْهِمْ حَتَّى قَتَلُوا رَسُولَهُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ نَهَضَ إِلَيْهِمْ فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى فَرَغَ مِنْهُمْ كُلِّهِمْ، ثُمَّ أَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَلْتَمِسُوا الْمُخْدَجَ فَالْتَمَسُوهُ فَقَالَ

---

١ - حديث صحيح: أخرجه الإمام مسلم في ((صحيحه)) (كِتَاب الزَّكَاةِ) (بَابُ التَّحْرِيضِ عَلَى قَتْلِ الْخَوَارِجِ) (رقم: ١٠٦٦).

بَعْضُهُمْ: مَا نَجِدُهُ حَيًّا، وَقَالَ: بَعْضُهُمْ: مَا هُوَ فِيهِمْ ; ثُمَّ إِنَّهُ جَاءَهُ رَجُلٌ فَبَشَّرَهُ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ وَاللَّهِ وَجَدْنَاهُ تَحْتَ قَتِيلَيْنِ فِي سَاقَيْهِ، فَقَالَ: اقْطَعُوا يَدَهُ الْمُخْدَجَةَ وَأْتُونِي بِهَا، فَلَمَّا أُتِيَ بِهَا أَخَذَهَا بِيَدِهِ ثُمَّ رَفَعَهَا ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِبْتُ[1].

وروى الطبري قصة المعركة، فخرج علي فعبأ الناس، فجعل عَلَى ميمنته حجر بن عدي، وعلى ميسرته شبث بن ربعي - أو معقل بن قيس الرياحي - وعلى الخيل أبا أيوب الأَنْصَارِيّ، وعلى الرجالة أبا قَتَادَة الأَنْصَارِيّ، وعلى أهل المدينة - وهم سبعمائة او ثمانمائه رجل - قيس بن سَعْدِ بْنِ عبادة.

قَالَ: وعبأت الخوارج، فجعلوا عَلَى ميمنتهم زَيْد بن حصين الطَّائِيّ، وعلى الميسرة شريح بن أوفى العبسي، وعلى خيلهم حمزة بن سنان الأسدي، وعلى الرجالة حُرْقُوص بن زهير السعدي قَالَ: وبعث علي الأسود بن يَزِيدَ المرادي فِي ألفي فارس، حَتَّى أتى حمزة بن سنان وهو فِي ثلاثمائة فارس من خيلهم، ورفع علي راية أمان مع أبي أيوب، فناداهم أَبُو أيوب: من جَاءَ هَذِهِ الراية مِنْكُمْ ممن لم يقتل ولم يستعرض فهو آمن، ومن انصرف مِنْكُمْ إِلَى الْكُوفَةِ أو إِلَى المدائن وخرج من هَذِهِ الجماعة فهو آمن، إنه لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتلة إخواننا مِنْكُمْ فِي سفك دمائكم فَقَالَ فروة بن نوفل الأشجعي: وَاللَّهِ مَا أدري عَلَى أي شَيْء نقاتل عَلِيًّا! لا أَرَى إلا أن أنصرف حَتَّى تنفذ لي بصيرتي فِي قتاله أو اتباعه.

١- إسناده حسن: تقدَّم تخريجه.

وانصرف في خمسمائة فارس، حتى نزل البندنيجين والدسكره، وخرجت طائفة أخرى متفرقين فنزلت الْكُوفَة، وخرج إِلَى علي مِنْهُمْ نحو من مائة، وكانوا أربعة آلاف، فكان الَّذِينَ بقوا مع عَبْد الله بن وهب منهم الفين وثمانمائه، وزحفوا إِلَى علي[1].

- القتال:

قَالَ سَلَمَةُ بْنُ كُهَيْلٍ: فَنَزَّلَنِي زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ مَنْزِلًا، حَتَّى قَالَ: مَرَرْنَا عَلَى قَنْطَرَةٍ، فَلَمَّا الْتَقَيْنَا وَعَلَى الْخَوَارِجِ يَوْمَئِذٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ الرَّاسِبِيُّ، فَقَالَ: لَهُمْ أَلْقُوا الرِّمَاحَ، وَسُلُّوا سُيُوفَكُمْ مِنْ جُفُونِهَا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُنَاشِدُوكُمْ كَمَا نَاشَدُوكُمْ يَوْمَ حَرُورَاءَ، فَرَجَعُوا فَوَحَّشُوا بِرِمَاحِهِمْ، وَسَلُّوا السُّيُوفَ، وَشَجَرَهُمُ النَّاسُ بِرِمَاحِهِمْ، قَالَ: وَقُتِلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَمَا أُصِيبَ مِنَ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ إِلَّا رَجُلَانِ، فَقَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: الْتَمِسُوا فِيهِمُ الْمُخْدَجَ، فَالْتَمَسُوهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَقَامَ عَلِيٌّ رضي الله عنه بِنَفْسِهِ حَتَّى أَتَى نَاسًا قَدْ قُتِلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، قَالَ: أَخِّرُوهُمْ، فَوَجَدُوهُ مِمَّا يَلِي الْأَرْضَ، فَكَبَّرَ، ثُمَّ قَالَ: صَدَقَ اللهُ، وَبَلَّغَ رَسُولُهُ، قَالَ: فَقَامَ إِلَيْهِ عَبِيدَةُ السَّلْمَانِيُّ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، لَسَمِعْتَ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَ: إِي، وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، حَتَّى اسْتَحْلَفَهُ ثَلَاثًا، وَهُوَ يَحْلِفُ لَهُ "[2] [3].

١- إسناده ضعيف جدًّا: أخرجه الطبري في ((تاريخه)) (٥/ ٨٤- ٨٦).

٢- حديث صحيح: أخرجه الإمام مسلم في ((صحيحه)) (كِتَاب الزَّكَاةِ) (بَابُ التَّحْرِيضِ عَلَى قَتْلِ الْخَوَارِجِ) (رقم: ١٠٦٦).

٣- لمزيد من الحديث عن شخصية ذو الثدية، انظر: ((خلافة علي)) (١/ ٣٥٩).

وأسفرت المعركة عن قتل كثير من الخوارج، وفرار أقلهم .

يقول شيخ الإسلام: وَلِهَذَا افْتَرَقَتْ سِيرَةُ عَلِيٍّ ﷺ فِي قِتَالِهِ لِأَهْلِ الْبَصْرَةِ وَالشَّامِ وَفِي قِتَالِهِ لِأَهْلِ النهروان: فَكَانَتْ سِيرَتُهُ مَعَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَالشَّامِيِّينَ سِيرَةَ الْأَخِ مَعَ أَخِيهِ وَمَعَ الْخَوَارِجِ بِخِلَافِ ذَلِكَ. وَثَبَتَتْ النُّصُوصُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ بِمَا اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ إجْمَاعُ الصَّحَابَةِ مِنْ قِتَالِ الصِّدِّيقِ وَقِتَالِ الْخَوَارِجِ؛ بِخِلَافِ الْفِتْنَةِ الْوَاقِعَةِ مَعَ أَهْلِ الشَّامِ وَالْبَصْرَةِ؛ فَإِنَّ النُّصُوصَ دَلَّتْ فِيهَا بِمَا دَلَّتْ وَالصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ اخْتَلَفُوا فِيهَا[1].

المبحث الخامس : استشهاد أمير المؤمنين علي

لم تمر معركة النَّهْرَوان هيِّنةً على نفوس من بقي من الخوارج، بل تركت فيهم جرحا غائرا، زاده إيلاما شرُّ نفوسِهم مع مرور الأيام عليهم، فبدأوا يفكرون في طريقة للثأر ممن كانوا سببا فيما وقع لهم، ومن هنا بدأت المؤامرة على قتل عليٍّ ﷺ .

اجتمع عبدُالرحمنِ بن مُلْجَم، والبُرَك بن عبدالله، وعمرو بن بكر التميمي، فتذاكروا أمر الناس، وعابوا على ولاتهم، ثم ذكروا أهل النهر، فترحَّموا عليهم، وقالوا: ما نصنع بالبقاء بعدهم شيئا! إخواننا الذين كانوا دعاة الناس لعبادة ربهم، والذين كانوا لا يخافون في الله لومة لائم، فلو شرينا أنفسنا فأتينا أئمة الضلالة فالتمسنا قتلهم، فأرحنا منهم البلاد، وثأرنا بهم إخواننا! فقال ابن ملجم -وكان من أهل مصر-: أنا أكفيكم

١- ((مجموع الفتاوى)) (٢٨/ ٥٠٤).

عليَّ بن أبي طالب، وقال البرك بن عبدالله: أنا أكفيكم معاوية بن أبي سفيان، وقال عمرو بن بكر: أنا أكفيكم عمرو بن العاص، فتعاهدوا وتواثقوا بالله لا ينكص رجل منهم عن صاحبه الذي توجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه، فأخذوا أسيافهم، فسمّوها، واتعدوا لسبع عشرة تخلو من رمضان أن يثب كل واحد منهم على صاحبه الذي توجه إليه، وأقبل كل رجل منهم إلى المصر الذي فيه صاحبه الذي يطلب [1].

وفي ليلة مقتله رضي الله عنه، يقول ابنه محمد بن الحنفية: «كنت أصلي تلك الليلة التي ضرب فيها عليٌّ في المسجد الأعظم، في رجال كثير من أهل المصر، يصلون قريبا من السُّدَّة، ما هم إلا قيام وركوع وسجود، وما يسأمون من أول الليل إلى آخره، إذ خرج علي لصلاة الغداة، فجعل ينادي: «أيها الناس، الصلاة الصلاة!» فما أدري أخرج من السُّدَّة فتكلم بهذه الكلمات أم لا! فنظرت إلى بريق، وسمعت: الحكم لله يا علي لا لك ولا لأصحابك، فرأيت سيفا، ثم رأيت ثانيا، ثم سمعت عليا يقول: «لا يفوتنكم الرجل»، وشد الناس عليه من كل جانب، قال: فلم أبرح حتى أُخِذ ابنُ مُلجم وأُدخِل على علي، فدخلت فيمن دخل من الناس، فسمعت عليًّا يقول: «النفس بالنفس، إن أنا مت فاقتلوه كما قتلني، وإن بقيت رأيت فيه رأيي»[2].

١- إسناده ضعيف: أخرجه الطبري ((تاريخه)) (٥/ ١٤٣- ١٤٤). وانظر: ((الاستيعاب)) (٣/ ١١٢٣- ١١٢٤).

٢- المصدر السابق (٥/ ١٤٦).

وأما البُرك بن عبدالله، فإنه في تلك الليلة التي ضُرِب فيها عليٌّ قعد لمعاوية، فلما خرج =

وأسند ابن عبد البر إلى عبدالله بن مالك، أنه قال: «جُمِعَ الأطباء لعليٍّ ﷺ يوم جُرِح، وكان أبصرهم بالطب أثير بن عمرو السكوني [١]، فأخذ أثير رئة شاة حارة، فتتبع عرقا منها، فاستخرجه فأدخله في جراحة علي، ثم نفخ العرق فاستخرجه، فإذا عليه بياض الدماغ، وإذا الضربة قد وصلت إلى أم رأسه، فقال: يا أمير المؤمنين، اعهد عهدك فإنك ميت» [٢].

= ليصلي الغداة شدَّ عليه بسيفه، فوقع السيف في أليته، فأُخذ، فقال: إن عندي خيرا أسرُّك به، فإن أخبرتك فنافعي ذلك عندك؟ قال: نعم، قال: إن أخا لي قتل عليا في مثل هذه الليلة، قال: فلعله لم يقدر على ذلك! قال: بلى، إن عليا يخرج ليس معه من يحرسه، فأمر به معاوية فقُتِل. وبعث معاوية إلى الساعدي- وكان طبيبا- فلما نظر إليه قال: اختر إحدى خصلتين: إما أن أحمي حديدة فأضعها موضع السيف، وإما أن أسقيك شربة تقطع منك الولد، وتبرأ منها، فإن ضربتك مسمومة، فقال معاوية: أما النار فلا صبر لي عليها، وأما انقطاع الولد فإن في يزيد وعبدالله ما تقر به عيني، فسقاه تلك الشربة فبرأ، ولم يولد له بعدها، وأمر معاوية عند ذلك بالمقصورات وحرس الليل وقيام الشرطه على رأسه إذا سجد.

وأما عمرو بن بكر فجلس لعمرو بن العاص تلك الليلة، فلم يخرج، وكان اشتكى بطنه، فأمر خارجة بن حذافة، وكان صاحب شرطته، فخرج ليصلي، فشد عليه وهو يرى أنه عمرو، فضربه فقتله، فأخذه الناس، فانطلقوا به إلى عمرو يسلمون عليه بالإمرة، فقال: من هذا؟ قالوا: عمرو، قال: فمن قتلتُ؟ قالوا: خارجة بن حذافة، قال: أما والله يا فاسق ما ظننته غيرك، فقال عمرو: أردتني وأراد الله خارجة، فقدَّمه عمرو فقُتِل.

انظر: ((تاريخ الطبري)) (٥/ ١٤٩).

١- وكان يقال له أثير بن عمريا، وكان صاحب كسرى يتطبب، وهو الذي ينسب إليه صحراء أثير، كما في الاستيعاب.

٢- ((الاستيعاب)) (٣/ ١١٢٨).

ولما أيقن أمير المؤمنين بحلول أجله، استدعى ولديه الحسن والحسين، فعهد إليهما، وأوصاهما بأخيهما محمد بن الحنفية، بعد أن ذكرهما بتقوى الله وطاعته، والعمل بما في كتابه[1].

ثم لم ينطق بعد وصيته إلا بـ «لا إله إلا الله» حتى قُبِض ﷺ، وذلك في شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة، وغسَّله ابناه الحسن والحسين، ومعهما عبدالله بن جعفر، وكُفِّن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص، وكبَّر عليه الحسن تسع تكبيرات [2].

وقد اختُلِف في موضع دفنه، فقيل: دُفِن في قصر الإمارة بالكوفة. وقيل: بل دُفِن في رحبة الكوفة. وقيل: دُفِن بنجف الحيرة: موضع بطريق الحيرة، ورُوِيَ عن أبى جعفر - الباقر - أن قبر علي ﷺ جُهل موضعه [3].

واختُلِف أيضا في مبلغ سنه يوم مات، فقيل: سبع وخمسون. وقيل: ثمان وخمسون. وقيل: ثلاث وستون، وقيل: خمس وستون، وقيل غير ذلك، فالله أعلم بالصواب.

وأما مدة خلافته: فكانت أربع سنين وتسعة أشهر وستة أيام. وقيل: ثلاثة أيام. وقيل: أربعة عشر يوما[4].

١- ((تاريخ الطبري)) (٥/ ١٤٧).

٢- المصدر السابق (٥/ ١٤٨).

٣- ((الاستيعاب)) (٣/ ١١٢٢).

٤- انظر: ((تاريخ الطبري)) (٥/ ١٥١-١٥٣)، ((الاستيعاب)) (٣/ ١١٢٢-١١٢٣).



الباب الرابع

مسائل متفرقة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

المبحث الأول: اختلاف الفِرَقِ في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وموقف أهل السنة منه

لم يَسْلَم أحدٌ من الخلفاء الراشدين الأربعة أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي ﷺ من معاداة بعض المنتسبين للإسلام، وإن كان حظهم من تلك المعاداة يتفاوت من واحد لآخر. وبعضهم ابتُلي مع هذه المعاداة، بغلُوٍّ شديد في المناصرة والمحاباة. ومن أكثر الخلفاء تعرضا لهذه الابتلاءات والمتناقضات، وأكثرهم عرضة لاختلاف الفِرَق فيه؛ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب.

فقد انقسمت الفِرَق في شأنه إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

القسم الأول: المُفْرِطون في محبة علي وآل بيته ﷺ:

وهم الذين غالوا في محبة عليٍّ وآل بيته، فرفعوه فوق منزلته، وجعلوا له من الصفات والحقوق ما لم يجعلوه لغيره. وهؤلاء ليسوا على درجة واحدة في المغالاة والإفراط، بل هم على درجات متفاوتة، وأعلى هؤلاء من الغلاة: من جعلوا عليًا هو الإله! وقد ظهر هؤلاء في زمن عليٍّ نفسه، وشاهدهم بعينه، وأنكر كلامهم، وردَّهم عن قولهم، فلما أَبَوْا: أحرقهم[1].

١- قصة إحراق علي للزنادقة والمرتدين أخرجها مختصرة: البخاري في ((صحيحه)) (كتاب الجهاد والسير) (بَابٌ: لاَ يُعَذَّبُ بِعَذَابِ اللَّهِ) (رقم: ٣٠١٧)، و(كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم) (باب حكمَ المرتَد والمَرتدة واستتابتهم) (رقم: ٦٩٢٢) من حديث عبدالله بن عباس. وانظر تفصيل القصة في ((فتح الباري)) (١٢/ ٢٧٠). يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في ((مجموع الفتاوى)) (٤/ ٤٣٥): الخلفاء الراشدون الأربعة ابتلوا بمعاداة بعض المنتسبين إلى الإسلام من أهل القبلة، ولعنهم، وبغضهم، وتكفيرهم. ثُمَّ ساق أسماء الطوائف المعادية لهم، وما ناله كل خليفة من الظلم=

ودون هؤلاء طائفة أخرى جعلوا منزلة عليٍّ أفضل من منزلة النبي ﷺ، بل منهم من زعم أنه كان أحق بالنبوة منه، وأن الله - عز وجل - أرسل جبريل - عليه السلام - إلى علي، فغلط في طريقه فذهب إلى محمد، لأنه كان يشبهه!

وطائفة أخرى جعلت عليا أفضل الصحابة على الإطلاق، وأولى الناس بالخلافة بعد رسول الله ﷺ، فذمُّوا الشيخين أبا بكر وعمر، وانتقصوا من قدرهما، وزعموا أن الصحابة خانوا وصية رسول الله ﷺ بتولية علي الخلافة من بعده!

وأدنى هؤلاء الغلاة قولا واعتقادا في علي: من حفظوا للشيخين مكانتيهما، واعترفوا بخلافتيهما، لكنهم يقدِّمون عليا على عثمان بن عفان، ويرون أنه كان أحق بالخلافة منه[1].

القسم الثاني: المُفَرِّطون في محبة عليٍّ وآل بيته ﷺ، المُعادون له:

وهم الذين فرَّطوا في حق عليٍّ وآل بيته، فبَخَسُوه حقه، وتجاهلوا منزلته ومناقبه وفضله، فلم يراعوا له حرمة عامة ولا خاصة. وهؤلاء أيضا على

=والمعاداة والبغضاء منهم. فانظر تفصيل ذلك هناك.

١- انظر للمزيد عن هذه الفرق واعتقاداتها وأسمائها: ((مقالات الإسلاميين)) لأبي الحسن الأشعري (١/ ٢٥- ٤٣)، ((التبصير في الدين)) لأبي المظفر الأسفراييني (ص: ١٢٣- ١٢٩)، ((الفصل في الملل والأهواء والنحل)) لابن حزم (٤/ ١٣٧- ١٤٣)، ((الملل والنحل)) للشهرستاني (١/ ١٤٦- ١٩٠)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٤/ ٤٣٥- ٤٣٧، ١٣/ ٣٣- ٣٦)، ((منهاج السنة)) له (٣/ ٤٧٠- ٤٨٤)، ((عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام)) لناصر بن علي (٣/ ٩٠٥- ٩٥٠).

درجات متفاوتة، وأعلاهم شأنا في التفريط: من كفَّروا عليًّا، وأخرجوه عن الدين والملة!

ودونهم من خَرَجوا على حكم عليٍّ، لكنهم لم يُكفِّروه، وإنما خاصموه، وشنَّعوا عليه، وزعموا أنه ظالمٌ، خالف القرآن في حكمه وفعله، ومِن ثَمَّ خرجت طائفة منهم لمحاربته!

وأدنى هذا القسم درجة: من اكتفوا ببغض عليٍّ، وأظهروا بعض اللمز والغمز في كلامهم تجاهه، لكن لم يصرحوا بانتقاصه[1].

القسم الثالث: المعتدلون المتوسِّطون في محبة عليٍّ وآل بيته رضي الله عنهم:

وهؤلاء هم أهل السنة والجماعة، الذين عرفوا لعليٍّ قدره، واعترفوا بعلوِّ منزلته وفضله، فأقرُّوا له بالموالاة والمحبة، ولباقي آل بيته، عملا بالأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ في فضله، وفي موالاته ومحبته، ويعترفون أيضا بأن عليًّا وآل بيته قد بُغي عليهم من بعض الطوائف، لكنهم

١- انظر للمزيد عن هذه الفرق واعتقاداتها وأسمائها: ((مقالات الإسلاميين)) لأبي الحسن الأشعري (١/ ٨٤- ١١٣)، ((التبصير في الدين)) لأبي المظفر الأسفراييني (ص: ٤٥- ٦٢)، ((الفصل في الملل والأهواء والنحل)) لابن حزم (٤/ ١٤٤- ١٤٦)، ((الملل والنحل)) للشهرستاني (١/ ١١٤- ١٣٨)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٧/ ٤٨١- ٤٨٣، ١٣/ ٣٠- ٣٣)، ((عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام)) لناصر بن علي (٣/ ١١٣٣- ١٢١٣).

مع ذلك يعترفون أيضا بأن هناك من غالى فيهم، لذلك فمذهب أهل السنة فيهم هو: إقرار ما لهم من حقوق، لكن بدون غُلوٍّ ولا شطط، فلا يقدمون أحدا من الصحابة – عليًّا أو غيره – على الشيخين أبي بكر وعمر، لما ثبت لهما من الفضائل التي ليست لغيرهما، وهذا هو مذهب آل البيت أيضا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والنقل الثابت عن جميع علماء أهل البيت من بني هاشم من التابعين، وتابعيهم من ولد الحسين بن علي، وولد الحسن، وغيرهما؛ أنهم كانوا يتولون أبا بكر وعمر، وكانوا يفضلونهما على علي، والنقول عنهم ثابتة متواترة» [١].

وقال الذهبي وهو يبين الاعتقاد الصحيح في عليٍّ وآل بيته: «فمولانا الإمام علي: من الخلفاء الراشدين، المشهود لهم بالجنة ﷺ نحبه أشد الحب، ولا ندعي عصمته، ولا عصمة أبي بكر الصديق. وابناه الحسن والحسين: فسبطا رسول الله ﷺ، وسيدا شباب أهل الجنة، لو استخلفا لكانا أهلا لذلك» إلى آخر كلامه هناك [٢].

وأما عن المفاضلة بين عثمان وعليٍّ ﷺ : فإن جمهور أهل السنة والحديث على تقديم عثمان على عليّ، وهذا ما تؤيده الأحاديث والآثار والاعتبار.

١- ((منهاج السنة)) (٧/ ٣٩٦).

٢- ((سير أعلام النبلاء)) (١٣/ ١٢٠).

قال أبو نعيم الأصبهاني وهو يعرض الأقوال في أفضلية الخلفاء الأربعة: «ومنهم من يقول: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي ﷺ أجمعين - وذلك قول أهل الجماعة والأثر من رواة الحديث، وجمهور الأمة» (١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وسائر أئمة السنة على تقديم عثمان، وهو مذهب جماهير أهل الحديث، وعليه يدل النص والإجماع والاعتبار» (٢).

ومن هذه النصوص التي تدل على تفضيل عثمان على علي: قول عبدالله بن عمر: «كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحدا، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ، لا نفاضل بينهم» (٣).

قال الحافظ ابن حجر، مُعلِّقا على هذا الأثر: «وقد اتفق العلماء على تأويل كلام بن عمر هذا، لما تقرر عند أهل السنة قاطبة من تقديم علي بعد عثمان، ومن تقديم بقية العشرة المبشرة على غيرهم، ومن تقديم أهل بدر على من لم يشهدها، وغير ذلك، فالظاهر أن بن عمر إنما أراد بهذا النفي أنهم كانوا يجتهدون في التفضيل فيظهر لهم فضائل الثلاثة ظهورا بينا فيجزمون به، ولم يكونوا حينئذ اطلعوا على التنصيص»(٤). يعني: في

١- ((الإمامة والرد على الرافضة)) (ص: ٢٠٦).

٢- ((منهاج السنة)) (٢/ ٧٤).

٣- تقدَّم تخريجه في المقدِّمة.

٤- ((فتح الباري)) (٧/ ٥٨).

تفضيل علي بعد عثمان.

ويدل على هذا التفضيل أيضا: اجتماع المهاجرين والأنصار على تقديم عثمان بعد مقتل عمر بن الخطاب، ولذلك قال غير واحد من العلماء، كأيوب السختياني وأحمد بن حنبل والدارقطني: «من قدَّم عليا على عثمان: فقد أَزْرَى بالمهاجرين والأنصار» (١).

وعلَّق ابن كثير على ذلك بقوله: «وهذا الكلام حق وصدق، وصحيح ومليح» (٢).

وعلى كل حال: فليست هذه المسألة مما يُبدَّع فيها المخالف، لأن الخلاف فيها قديم، وكل له وجه، وإن كان جمهور العلماء والأئمة على تقديم عثمان، كما تقرر وتقدَّم.

يقول الذهبي: «ليس تفضيل علي برفض، ولا هو ببدعة، بل قد ذهب إليه خلق من الصحابة والتابعين، فكل من عثمان وعلي ذو فضل وسابقة وجهاد، وهما متقاربان في العلم والجلالة، ولعلهما في الآخرة متساويان في الدرجة، وهما من سادة الشهداء رضي الله عنهما، ولكن جمهور الأمة على ترجيح عثمان على الإمام علي، وإليه نذهب. والخطب في ذلك يسير، والأفضل منهما - بلا شك - أبو بكر وعمر» (٣).

١- ((مجموع الفتاوى)) (٤/ ٤٢٦)، ((منهاج السنة)) (٨/ ٢٢٥).

٢- ((البداية والنهاية)) (١١/ ١٢٤).

٣- ((سير أعلام النبلاء)) (١٦/ ٤٥٧- ٤٥٨).

وانظر للمزيد في تلك المسألة: ((معالم السنن)) للخطابي (٤/ ٣٠٢- ٣٠٣)، ((مجموع=

ومما تقدَّم: نخلص إلى أن أعدل الأقوال في عليٍّ ﷺ: أنه أفضل الصحابة بعد أبي بكر وعمر وعثمان، وأن أهل السنة يحبونه ويتولونه، ويتبرأون ممن يقعون فيه ويبغضونه، ولكنهم مع ذلك لا يرفعونه فوق منزلته، ولا يدَّعون له – أو لغيره من الصحابة – العصمة. والله تعالى أعلم.

وقال شيخ الإسلام : ونعلم مع ذلك أن علي بن أبي طالب ﷺ كان أفضل وأقرب إلى الحق من معاوية وممن قاتله معه لما ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين تقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق . وفي هذا الحديث دليل على أنه مع كل طائفة حق، وأن علياً ﷺ أقرب إلى الحق .[1].

المبحث الثاني : بعض ما كُذب على علي ﷺ

أولًا : ما ينقل عنه من خطب في نهج البلاغة

قال شيخ الإسلام في رد ما نسب إلى علي ﷺ من البهتان، وأيضاً فأكثر الخطب التي ينقلها صاحب نهج البلاغة كذب على علي، وعلي ﷺ أجل وأعلى قدراً من أن يتكلم بذلك الكلام، ولكن هؤلاء وضعوا أكاذيب،

= الفتاوى)) لابن تيمية (٤/ ٤٢٥- ٤٣٠)، ((فتح الباري)) لابن حجر (٧/ ١٦- ٢٠)، ((لوائح الأنوار السنية)) للسفاريني (٢/ ١٣- ١٨).

١- ((مجموع الفتاوى)) (٣/ ٤٠٧).

وظنوا أنها مدح فلا هي صدق ولا هي مدح.[١].

ثانيًا : سيف علي ذو الفقار، وبعض ما كذب عليه

قال شيخ الإسلام: وهذا الكذب المذكور في ذي الفقار من جنس كذب بعض الجهال أنه كان له سيف يمتد إذا ضرب به كذا وكذا ذراعاً؛ فإن هذا مما يعلم العلماء أنه لم يكن قط لا سيف علي ولا غيره، ولو كان سيفه يمتد لمده يوم قاتل معاوية، وقال بعض الجهال إنه مد يده حتى عبر الجيش على يده بخيبر، وأنه قال للبغلة: قطع الله نسلك فانقطع نسلها.

هذا من الكذب البين؛ فإنه يوم خيبر لم يكن معهم بغلة، ولا كان للمسلمين بغلة على عهد النبي ﷺ إلا بغلته التي أهداها له المقوقس، وذلك بعد غزوة خيبر بعد أن أرسل إلى الأمم وأرسل إلى ملوك الأرض هرقل ملك الشام وإلى المقوقس ملك مصر، وإلى كسرى ملك الفرس، وأرسل إلى ملوك العرب مثل صاحب اليمامة وغيره.

وأيضا فالجيش لم يعبر أحد منهم على يد علي ولا غيره، والبغلة لم تزل عقيما قبل ذلك ولم تكن قبل ذلك تلد فعقمت، ولو قدر أنه دعا على بغلة معينة لم تعم الدعوة جنس البغال .

١- ((منهاج السنة)) (٨/ ٥٥).

ومثل هذا الكذب الظاهر قول بعض الكذابين إنه لما سبي بعض أهل البيت حملوا على الجمال عرايا فنبتت لهم سنامات من يومئذ، وهي البخاتي، وأهل البيت لم يسب أحد منهم في الإسلام، ولا حمل أحد من نسائهم مكشوف العورة، وإنما جرى هذا على أهل البيت في هذه الأزمان.

بل هذا الكذب مثل كذب من يقول إن الحجاج قتل الأشراف، والحجاج لم يقتل أحداً من بني هاشم مع ظلمة وفتكه بكثير من غيرهم؛ لكن قتل كثيراً من أشراف العرب، وكان عبد الملك قد أرسل إليه أن لا يقتل أحداً من بني هاشم، وذكر له أنه لما قتل الحسين في ولاية بني حرب يعني ملك يزيد أصابهم شر؛ فاعتبر عبد الملك بذلك فنهاه أن يقتل أحداً من بني هاشم حتى أن الحجاج طمع أن يتزوج هاشمية فخطب إلى عبد الله بن جعفر ابنته، وأصدقها صداقاً كثيرا فأجابه عبد الله إلى ذلك فغضب من ذلك من غضب من أولاد عبد الملك، ولم يروا الحجاج أهلاً لأن يتزوج واحدة من بني هاشم، ودخلوا على عبد الملك وأخبروه بذلك فمنع الحجاج من ذلك، ولم يروه كفؤاً لنكاح هاشمية، ولا أن يتزوجها.[1].

ثالثًا : هل كان علي من آل البيت، والرد على من زعم غير ذلك

وسئل شيخ الإسلام: عن رجل قال عن على بن أبى طالب ﷺ إنه ليس من أهل البيت، ولا تجوز الصلاة عليه، والصلاة عليه بدعة.

١- ((منهاج السنة)) (٨/ ١٠٥) بتصرف يسير.

فأجاب:

أما كون على بن أبى طالب من أهل البيت فهذا مما لا خلاف فيه بين المسلمين، وهو أظهر عند المسلمين من أن يحتاج إلى دليل بل هو أفضل أهل البيت وأفضل بنى هاشم بعد النبي ﷺ، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه أدار كساءه على علي وفاطمة وحسن وحسين فقال اللهم: هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

وأما الصلاة عليه منفرداً فهذا ينبني على أنه هل يصلى على غير النبي ﷺ منفرداً مثل أن يقول: اللهم صل على عمر أو علي.

وقد تنازع العلماء في ذلك :

فذهب مالك والشافعي وطائفة من الحنابلة إلى أنه لا يصلى على غير النبي ﷺ منفرداً كما روى عن ابن عباس أنه قال : لا أعلم الصلاة تنبغي على أحد إلا على النبي ﷺ، وذهب الإمام أحمد أكثر أصحابه إلى أنه لا بأس بذلك لأن علي بن أبى طالب ﷺ قال لعمر بن الخطاب صلى الله عليك، وهذا القول أصح وأولى.

ولكن إفراد واحد من الصحابة والقرابة كعلي أو غيره بالصلاة عليه دون غيره مضاهاة للنبي ﷺ بحيث يجعل ذلك شعاراً معروفاً باسمه ؛ هذا هو البدعة.[1].

١- ((مجموع الفتاوى)) (٤/ ٤٩٧).

رابعًا : هل اختص علي بعلم شيء عن باقي الصحابة ؟!

وقال شيخ الإسلام : وهذا كما في الصحيح أنه قيل لعلى ﷺ هل ترك عندكم رسول الله شيئاً، وفى لفظ : هل عهد إليكم رسول الله شيئاً لم يعهده إلى الناس فقال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهما يؤتيه الله عبداً في كتابه، وما في هذه الصحيفة ؛ وفيها العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر.

وبهذا الحديث ونحوه من الأحاديث الصحيحة استدل العلماء على أن كل ما يذكر عن علي وأهل البيت من أنهم اختصوا بعلم خصهم به النبي ﷺ دون غيرهم كذب عليهم مثل ما يذكر منه الجفر والبطاقة والجدول وغير ذلك، وما يأثره القرامطة الباطنية عنهم ؛ فإنه قد كذب على جعفر الصادق ﷺ ما لم يكذب على غيره .

وكذلك كذب على علي ﷺ وغيره من أئمة أهل البيت ﷺ كما قد بين هذا وبسط في غير هذا الموضع.[1].

خامسًا : هل قاتل علي الجن ؟!

وقال: ومن هذا الجنس ما يروى أنه قاتل الجن في بئر ذات العلم؛ وهو حديث موضوع عند أهل المعرفة، وعلي أجل قدراً من أن تثبت الجن لقتاله، ولم يقاتل أحد من الإنس الجن بل كان الجن المؤمنون يقاتلون الجن الكفار[2].

١- ((مجموع الفتاوى)) (٢/ ٢١٧).

٢- ((منهاج السنة)) (٨/ ١٦٢).

سادسًا: مكان دفن علي

وسئل شيخ الإسلام قدس الله روحه، هل صح عند أحد من أهل العلم والحديث أو من يقتدى به في دين الإسلام أن أمير المؤمنين علي بن أبى طالب رضي الله عنه قال: إذا أنا مت فأركبوني فوق ناقتي وسيبني؛ فأينما بركت أدفنوني فسارت، ولم يعلم أحد قبره فهل صح ذلك أم لا وهل عرف أحد من أهل العلم أين دفن أم لا وما كان سبب قتله، وفى أي وقت كان ومن قتله.

ومن قتل الحسين، وما كان سبب قتله، وهل صح أن أهل بيت النبي سبوا، وأنهم أركبوا على الإبل عراة، ولم يكن عليهم ما يسترهم فخلق الله تعالى للإبل التي كانوا عليها سنامين استتروا بها، وأن الحسين لما قطع رأسه داروا به في جميع البلاد، وأنه حمل إلى دمشق وحمل إلى مصر ودفن بها، وأن يزيد بن معاوية هو الذي فعل هذا بأهل البيت فهل صح ذلك أم لا؟

وهل قائل هذه المقالات مبتدع بها في دين الله، وما الذي يجب عليه إذا تحدث بهذا بين الناس، وهل إذا أنكر هذا عليه منكر هل يسمى آمرا بالمعروف ناهياً عن المنكر أم لا أفتونا مأجورين وبينوا لنا بياناً شافياً؟

فأجاب:

الحمد لله رب العالمين أما ما ذكر من توصية أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه إذا مات أركب فوق دابته وتسيب ويدفن حيث تبرك، وأنه

فعل ذلك به ؛ فهذا كذب مختلق باتفاق أهل العلم لم يوص على بشيء من ذلك، ولا فعل به شيء من ذلك، ولم يذكر هذا أحد من المعروفين بالعلم والعدل، وإنما يقول ذلك من ينقل عن بعض الكذابين.

ولا يحل أن يفعل هذا بأحد من موتى المسلمين، ولا يحل لأحد أن يوصى بذلك بل هذا مثله بالميت، ولا فائدة في هذا الفعل ؛ فإنه إن كان المقصود تعمية قبره فلا بد إذا بركت الناقة من أن يحفر له قبر ويدفن فيه، وحينئذ يمكن أن يحفر له قبر، ويدفن به بدون هذه المثلة القبيحة، وهو أن يترك ميتا على ظهر دابة تسير في البرية.

وقد تنازع العلماء في موضع قبره، والمعروف عند أهل العلم أنه دفن بقصر الإمارة بالكوفة، وأنه أخفي قبره لئلا ينبشه الخوارج الذين كانوا يكفرونه، ويستحلون قتله ؛ فإن الذي قتله واحد من الخوارج وهو عبد الرحمن بن ملجم المرادي، وكان قد تعاهد هو وآخران على قتل علي وقتل معاوية وقتل عمرو بن العاص ؛ فإنهم يكفرون، وهؤلاء كلهم وكل من لا يوافقهم على أهوائهم.

وقد تواترت النصوص عن النبي ﷺ بذمهم، خرّج مسلم في صحيحه حديثهم من عشرة أوجه، وخرجه البخاري من عدة أوجه، وخرجه أصحاب السنن والمسانيد من أكثر من ذلك قال ﷺ فيهم : يحقر أحدكم

صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد .

وفى رواية: أينما لقيتموهم فاقتلوهم؛ فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة يقتلون أهل الإسلام.

وهؤلاء اتفق الصحابة ﷺ على قتالهم لكن الذي باشر قتالهم، وأمر به علي ﷺ كما في الصحيحين عن أبى سعيد عن النبي ﷺ قال: تمرق مارقة على حين فرقة من الناس تقتلهم أولى الطائفتين بالحق . فقتلهم علي ﷺ بالنهروان، وكانوا قد اجتمعوا في مكان يقال له حروراء، ولهذا يقال لهم الحرورية.

وأرسل إليهم ابن عباس فناظرهم حتى رجع منهم نحو نصفهم ثم إن الباقين قتلوا عبد الله بن خباب وأغاروا على سرح المسلمين ؛ فأمر علي الناس بالخروج إلى قتالهم روى لهم أمر النبي ﷺ بقتالهم، وذكر العلامة التي فيهم أن فيهم رجلاً مخدج اليدين ناقص اليد على ثديه مثل البضعة من اللحم تدردر، ولما قتلوا وجد فيهم هذا المنعوت.

فلما اتفق الخوارج الثلاثة على قتل أمراء المسلمين الثلاثة قتل عبد الرحمن بن ملجم علياً ﷺ يوم الجمعة سابع عشر شهر رمضان عام أربعين اختبأ له ؛ فحين خرج لصلاة الفجر ضربه، وكانت السنة أن الخلفاء ونوابهم

الأمراء الذين هم ملوك المسلمين هم الذين يصلون بالمسلمين الصلوات الخمس والجمع والعيدين والاستسقاء والكسوف ونحو ذلك كالجنائز ؛ فأمير الحرب هو أمير الصلاة الذي هو إمامها.

وأما الذي أراد قتل معاوية فقالوا: إنه جرحه فقال الطبيب: إنه يمكن علاجك لكن لا يبقى لك نسل، ويقال إنه من حينئذ اتخذ معاوية المقصورة في المسجد، واقتدى به الأمراء ليصلوا فيها هم وحاشيتهم خوفاً من وثوب بعض الناس على أمير المؤمنين وقتله، وإن كان قد فعل فيها مع ذلك مالا يسوغ وكره من كره الصلاة في نحو هذه المقاصير.

وأما الذي أراد قتل عمرو بن العاص ؛ فإن عمراً كان قد استخلف ذلك اليوم رجلاً اسمه خارجة فظن الخارجي أنه عمرو وقتله ؛ فلما تبين له قال: أردت عمرا وأراد الله خارجة فصارت مثلا ...

وأما المشهد الذي بالنجف فأهل المعرفة متفقون على أنه ليس بقبر علي بل قيل أنه قبر المغيرة بن شعبة، ولم يكن أحد يذكر أن هذا قبر علي، ولا يقصده أحد أكثر من ثلاثمائة سنة مع كثرة المسلمين من أهل البيت والشيعة وغيرهم وحكمهم بالكوفة.

وإنما اتخذوا ذلك مشهداً في ملك بنى بويه الأعاجم بعد موت علي بأكثر من ثلاثمائة سنة، ورووا حكاية فيها أن الرشيد كان يأتي إلى تلك، وأشياء لا تقوم بها حجة

وأما السؤال عن سبي أهل البيت وإركابهم الإبل حتى لها سنامان وهي البخاتي ليستتروا بذلك ؛ فهذا من أقبح الكذب وأبينه، وهو مما افتراه الزنادقة والمنافقون الذين مقصودهم الطعن في الإسلام وأهله من أهل البيت وغيرهم ؛ فإن من سمع مثل هذا وشهرته وما فيه من الكذب قد يظن أو يقول إن المنقول إلينا من معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء هو من هذا الجنس ثم إذا تبين أن الأمة سبت أهل بيت نبيها كان فيها الطعن في خير أمة أخرجت للناس مالا يعلمه إلا الله ؛ إذ كل عاقل يعلم أن الإبل البخاتي كانت مخلوقة موجودة قبل أن يبعث الله النبي ﷺ، وقبل وجود أهل البيت كوجود غيرها من الإبل والغنم والبقر والخيل والبغال والمعز ....

ولم يعلم في الإسلام أن أهل البيت سبي أحداً منهم أحد من المسلمين في وقت من الأوقات مع العلم بأنهم من أهل البيت اللهم إلا أن يقع في أثناء ما تسبيه المسلمون من لا يعلم أنه من أهل البيت كامرأة سباها العدو ثم استنقذها المسلمون، وإذا تبين أنها كانت حرة الأصل أرسلوها، وإن كان في ضمن ذلك من لا يعرف من يخفى نسبها، ويستحل منها ما حرم الله من هو زنديق منافق فالله أعلم بحقيقة ذلك لكن لم يكن شيء من ذلك علانية في الإسلام قط....[1].

١- ((مجموع الفتاوى)) (٤/ ٥١٠).

سابعًا: هل كان لعلي مصحف خاص ؟!

فإن بعض أهل الإلحاد زعم أَنَّ سُوَرًا بِكَامِلِهَا نَاقِصَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَوْ بَعْضِ الآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ مُسْتَدِلِّينَ عَلَى ذَلِكَ بِمَا عِنْدَ بعض الفرق مِنْ رِوَايَاتٍ سَاقِطَةٍ وَحُجَجٍ وَاهِيَةٍ زَاعِمِينَ أَنَّ الدَّافِعَ وَرَاءَ ذَلِكَ مَصْلَحَةُ بَعْضِ الصَّحَابَةِ.

- وَمِنْ أَمْثِلَةِ مَا ذَكَرُوا:

١ - أَنَّ عَلِيًّا حَذَفَ آيَةَ الْـمُتْعَةِ.

٢ - حَذْفُ مَا يَتَعَلَّقُ بِفَضَائِلِ آلِ الْبَيْتِ وَوِلَايَتِهِمْ، كَحَذْفِ سُورَةِ الْوِلَايَةِ الَّتِي كَانَتْ ٧ آيَاتٍ، وَكَمَا فُعِلَ بِسُورَةِ الأَحْزَابِ الَّتِي لَا تَقِلُّ طُولًا عَنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ٢٨٦ آيَةً.

٣ - حَذْفُ جُزْءٍ مِنْ سُورَةِ «لَـمْ يَكُنْ» كَانَ فِيهَا أَسْمَاءُ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ.

٤ - الْحَذْفُ مِنْ سُورَةِ النُّورِ الَّتِي كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ آيَةٍ، وَسُورَةِ الْحِجْرِ الَّتِي كَانَتْ تَحْوِي ١٩٠ آيَةً، وَسُورَةِ النُّورَيْنِ الَّتِي كَانَتْ ٤١ آيَةً.

٥ - مُصْحَفُ فَاطِمَةَ وَعَلِيٍّ الْخَاصُّ بِهِمَا.

- فَمَا سَبَقَ وَغَيْرُهُ كَثِيرٌ نَقَلَهُ «جُولد تسيهر» فِي كِتَابِهِ: «مَذَاهِبِ التَّفْسِيرِ الْإِسْلَامِيِّ»، وَ«جَار سَان دِي تَاسِي»، وَ«مِرْزَا قَاسِمْ بِكْ» فِي مَجَلَّةِ الْآسِيَوِيَّةِ

سَنَةَ ١٨٤٢م، اللَّذَانِ نَشَرَا سُورَةً مِنْ هَذِهِ السُّوَرِ الْـمُتَدَاوَلَةِ فِي دَوَائِرَ الشِّيعَةِ «كِلِير تِسْدَال» بِاللُّغَةِ الإِنْجِلِيزِيَّةِ[1].

ـ وَلَا شَكَّ أَنَّ تلك الفرق سَلَكُوا تِلْكَ الطَّرِيقِ حَتَّى يُثْبِتُوا مُسْتَنَدًا لِـمُعْتَقَدِهِمُ الْفَاسِدِ مِنَ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ.

ـ فهَذِهِ الشُّبْهَةُ الَّتِي نَبَعَتْ مِنْ كِتَابَاتِ الفرق المذكورة وَتَلَقَّفَهَا الْـمُسْتَشْرِقُونَ وَالَّتِي لَا يُمْكِنُ لِعَاقِلٍ أَنْ يُصَدِّقَهَا، بَلْ إِنَّ بَعْضَ عُقَلَاءِ أَبْنَاءِ الْـمَذْهَبِ أَنْفُسِهِمْ رَفَضُوهَا، وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْإِمَامُ / الطبرسيُّ، حَيْثُ قَالَ: «أَمَّا الزِّيَادَةُ فِي الْقُرْآنِ؛ فَمُجْمَعٌ عَلَى بُطْلَانِهَا، وَأَمَّا النُّقْصَانُ؛ فَهُوَ أَشَدُّ اسْتِحَالَةً، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الْعِلْمَ بِصِحَّةِ نَقْلِ الْقُرْآنِ، كَالْعِلْمِ بِالْبُلْدَانِ، وَالْحَوَادِثِ الْكِبَارِ، وَالْوَقَائِعِ الْعِظَامِ، وَالْكُتُبِ الْـمَشْهُورَةِ، وَأَشْعَارِ الْعَرَبِ الْـمَسْطُورَةِ؛ فَإِنَّ الْعِنَايَةَ اشْتَدَّتْ، وَالدَّوَاعِي تَوَفَّرَتْ عَلَى نَقْلِهِ وَحِرَاسَتِهِ، وَبَلَغَتْ إِلَى حَدٍّ لَـمْ يَبْلُغْهُ شَيْءٌ فِي الْوُجُودِ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ مُعْجِزَةُ النُّبُوَّةِ، وَمَأْخَذُ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ، وَالْأَحْكَامِ الدِّينِيَّةِ، وَعُلَمَاءُ الْـمُسْلِمِينَ قَدْ بَلَغُوا فِي حِمَايَتِهِمُ الْغَايَةَ الْقُصْوَى، حَتَّى عَرَفُوا كُلَّ شَيْءٍ اخْتُلِفَ فِيهِ مِنْ: تَفْسِيرِهِ، وَأَحْكَامِهِ، وَإِعْرَابِهِ، وَقِرَاءَاتِهِ، وَرَسْمِهِ، وَضَبْطِهِ، وَعَدَدِ آيَاتِهِ، وَعَدَدِ نُقَطِهِ، وَحَرَكَاتِهِ، فَكَيْفَ يَتَخَيَّلُ عَاقِلٌ بَعْدَ تِلْكَ الْعِنَايَةِ الْفَائِقَةِ

١- ((مذاهب التفسير الإسلامي)) (ص: ٢٩٤).

بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَنْ يَحْصُلَ فِيهِ نَقْصٌ أَوْ زِيَادَةٌ مَعَ هَذَا الضَّبْطِ الشَّدِيدِ؟!»[١].

ـ وَإِذَا كَانَ الصَّحَابَةُ الَّذِينَ حَمَوْا وَاحْتَاطُوا لِسُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ بَذَلُوا كُلَّ غَالٍ وَنَفِيسٍ لِأَجْلِ هَذَا، أَلَيْسَ الْقُرْآنُ مِنْ بَابِ أَوْلَى ؟!

ـ وَمِنْ أَمْثِلَةِ حِرْصِهِمُ الشَّدِيدِ عَلَى السُّنَّةِ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْـخُدْرِيِّ ﷺ، قَالَ: «كُنْتُ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الأَنْصَارِ، إِذْ جَاءَ أَبُو مُوسَى كَأَنَّهُ مَذْعُورٌ، فَقَالَ: اسْتَأْذَنْتُ عَلَى عُمَرَ ثَلاثًا، فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي فَرَجَعْتُ، فَقَالَ: «مَا مَنَعَكَ ؟»، قُلْتُ: «اسْتَأْذَنْتُ ثَلاثًا، فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي فَرَجَعْتُ»، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلاثًا، فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ؛ فَلْيَرْجِعْ» [٢].

ـ قَالَ عُمَرُ: «لَتَأْتِيَنِّي عَلَى هَذَا بِالْبَيِّنَةِ»، فَقَالَ عُمَرُ لِأَبِي مُوسَى: «إِنِّي لَـمْ أَتَّهِمْكَ، وَلَكِنَّهُ الْحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ». وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: وَذَكَرَ أَنَّ عُمَرَ قَالَ لِأَبِي مُوسَى: «أَمَا إِنِّي لَـمْ أَتَّهِمْكَ، وَلَكِنَّنِي أَحْبَبْتُ أَنْ أَتَثَبَّتَ»[٣].

ـ فَإِنْ كَانَ هَذَا هُوَ حَالُ هَذَا الْجِيلِ الْفَرِيدِ الأَمِينِ الَّذِي لَا يُتَّهَمُ بِكَذِبَةٍ وَاحِدَةٍ وَلَا تُؤْثَرُ عَنْهُ، إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ حَالُهُ مَعَ السُّنَّةِ؛ فَمَا بَالُكُمْ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ؟!

ـ فَعُقَلَاءُ الْبَشَرِ أَجْمَعُونَ وَمُنْصِفُوهُمْ شَهِدُوا بِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ الَّتِي لَا يَأْتِيهَا

١- ((شبهات مزعومة حول القرآن الكريم)) (ص: ١٥٠، ١٥١).

٢- حديث صحيح: أخرجه الإمام البخاري في ((صحيحه)) (كِتَابُ الاسْتِئْذَانِ) (بَابُ التَّسْلِيمِ وَالِاسْتِئْذَانِ ثَلاثًا) (رقم: ٦٢٤٥).

٣- ((تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه)) محمد طاهر الكردي (ص: ٦٣).

الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهَا وَلَا مِنْ خَلْفِهَا، وَهَاهُوَ الْـمُسْتَشْرِقُ الأَمِرِيكِيُّ «ر. ف. بُودْلِي» فِي كِتَابِهِ: «الرَّسُولُ: حَيَاةُ مُحَمَّدٍ» يَقُولُ عَنِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: «فَبَيْنَ أَيْدِينَا كِتَابٌ مُعَاصِرٌ فَرِيدٌ فِي أَصَالَتِهِ وَفِي سَلَامَتِهِ، لَـمْ يُشَكَّ فِي صِحَّتِهِ كَمَا أُنْزِلَ أَيُّ شَكٍّ حَقِيقٌ بِالْوُقُوفِ عِنْدَهُ، وَهَذَا الْكِتَابُ هُوَ الْقُرْآنُ، وَهُوَ الْيَوْمَ كَمَا كَانَ يَوْمَ كُتِبَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ تَحْتَ إِشْرَافِ مُحَمَّدٍ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الأَفْكَارَ قَدْ دُوِّنَتْ فِي الرِّقَاعِ وَسَعَفِ النَّخْلِ وَالْعِظَامِ فِي لَحَظَاتٍ غَرِيبَةٍ، فَالسُّوَرُ وَالْآيَاتُ الأَصْلِيَّةُ قَدْ حُفِظَتْ... ».

ـ ثُمَّ يَقُولُ: «وَإِنَّ الْحَسَنَةَ الْوَحِيدَةَ فِي طَرِيقَةِ زَيْدٍ أَنَّهَا كَانَتْ أَمِينَةً فَوْقَ الشُّبُهَاتِ، فَلَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا لِيُضِيفَ فَقَرَاتٍ أَوْ يَضَعَ جُمَلَ رَبْطٍ، أَوْ يَحْذِفَ، أَوْ يَنْسَخَ تَفَاصِيلَ تَشِينُ الْإِسْلَامَ، لَقَدْ عَمِلَ بِإِخْلَاصٍ لَا يُمْكِنُ تَصَوُّرُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَـمَّا انْتَهَى مِنْ نَشْرِ الْقُرْآنِ، كَانَ الْكِتَابُ مِنْ عَمَلِ مُؤَلِّفِهِ خَالِصًا، وَمُؤَلِّفُهُ فَقَطْ»، أَيِ: اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ.

ـ ثُمَّ يَقُولُ: «وَالْـمُهِمُّ أَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ الْعَمَلُ الْوَحِيدُ الَّذِي عَاشَ أَكْثَرَ مِنِ اثْنَيْ عَشَرَ قَرْنًا دُونَ أَنْ يُبَدَّلَ فِيهِ، وَلَا يُوجَدُ شَيْءٌ يُمْكِنُ أَنْ يُقَارَنَ بِهَذَا أَدْنَى مُقَارَنَةٍ لَا فِي الدِّيَانَةِ الْيَهُودِيَّةِ وَلَا فِي الدِّيَانَةِ الْـمَسِيحِيَّةِ»[1].

ـ وَأَمَّا مَا نَسَبُوهُ لِعَلِيٍّ ﷺ مِنْ أَنَّهُ أَسْقَطَ آيَةَ الْـمُتْعَةِ...؛ فَهَذَا افْتِرَاءٌ

١- ((تاريخ القرآن)) للكردي (ص: ٦٨، ٦٩).

وَكَذِبٌ، وَآيَةُ الْـمُتْعَةِ مَوْجُودَةٌ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ، وَهِيَ قَوْلُهُ ـ تَعَالَى ـ : ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [النساء:٢٤].

ـ فَمَا سَبَقَ مِن افْتِرَاءَاتٍ لَا تَكَادُ تَنْتَهِي حَوْلَ كِتَابِ اللهِ عز وجل لإِثْبَاتِ مَا يَتَبَنَّوْنَهُ مِنْ عَقَائِدَ بَاطِلَةٍ، فَهَذِهِ آيَةُ الْـمُتْعَةِ الَّتِي يَزْعُمُونَ أَنَّ عَلِيًّا حَذَفَهَا وَهِيَ بَيْنَ أَيْدِينَا إِلَى الْيَوْمِ، فَإِنْ كَانَ ثَمَّةَ آيَةٌ أُخْرَى فَلْيُخْرِجُوهَا لَنَا. وَعَلِيٌّ رضي الله عنه أَحَدُ عَنَاصِرِ الْإِجْمَاعِ عَلَى الْـمُصْحَفِ الْإِمَامِ؛ إِذْ يَذْكُرُ ابْنُ أَبِي دَاوُدَ أَنَّهُ قَالَ حِينَ أَحْرَقَ عُثْمَانُ الْـمَصَاحِفَ: «لَوْ لَـمْ يَصْنَعْهُ؛ لَصَنَعْتُهُ»[1].

ـ وَإِلَى عَلِيٍّ تَنْتَهِي قِرَاءَةُ أَرْبَعَةٍ مِنَ السَّبْعَةِ، وَهُمْ :

١ ـ أَبُو عَمْرِو بْنُ الْعَلَاءِ، عَنْ نَصْرِ بْنِ عَاصِمٍ، وَيَحْيَى بْنِ يَعْمُرَ، وَهُمَا قَرَءَا عَلَى أَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ، وَهُوَ قَرَأَ عَلَى أَمِيرِ الْـمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ[2].

٢ ـ عَاصِمُ بْنُ أَبِي النَّجُودِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، وَهُوَ قَرَأَ مُبَاشَرَةً عَلَى عَلِيٍّ[3]، وَقِرَاءَةُ عَاصِمٍ مِنْ طَرِيقِ حَفْصِ بْنِ سُلَيْمَانَ ابْنِ الْـمُغِيرَةِ هِيَ الشَّائِعَةُ الْآنَ فِي أَكْثَرِ بِلَادِ الْـمَشْرِقِ.

٣ ـ حَمْزَةُ الزَّيَّاتُ، عَنْ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ، وَهُوَ قَرَأَ عَلَى مُحَمَّدٍ الْبَاقِرِ، وَهُوَ قَرَأَ عَلَى عَلِيٍّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ، وَهُوَ قَرَأَ عَلَى أَبِيهِ الْحَسَنَ الَّذِي قَرَأَ عَلَى

١- ((المصاحف)) (١/ ١٢).

٢- ((النشر)) (١/ ١٣٣).

٣- السابق: (١/ ١٥٥).

أَبِيهِ عَلِيٍّ ـ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـ [١].

٤ ـ الْكِسَائِيُّ، وَقَدْ قَرَأَ عَلَى حَمْزَةَ بِسَنَدِهِ الْـمُتَقَدِّمِ [٢].

ـ وَرُبَّمَا كَانَ سَنَدُ قِرَاءَةِ حَمْزَةَ هُوَ أَهَمُّ مَا يَلْفِتُ النَّظَرَ فِي هَذِهِ الْأَسَانِيدِ؛ ذَلِكَ أَنَّهُ يَنْتَظِمُ سِلْسِلَةَ الرُّوَاةِ الْأَئِمَّةِ الطَّاهِرِينَ مِنْ آلِ الْبَيْتِ، بِحَيْثُ نَسْتَطِيعُ فِي ضَوْءِ ذَلِكَ أَيْضًا أَنْ نَطْمَئِنَّ إِلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الْأَبْرَارِ مِنْ آلِ الْبَيْتِ لَـمْ يَخْرُجُوا عَلَى إِجْمَاعِ الْـمُسْلِمِينَ عَلَى الْـمُصْحَفِ الْإِمَامِ، وَآيَةُ رِضَاهُمْ بِهِ إِقْرَاؤُهُمُ النَّاسَ بِمُحْتَوَاهُ دُونَ زِيَادَةٍ أَوْ نَقْصٍ، أَوِ ادِّعَاءٍ يَمَسُّ كَمَال هَذَا الْأَثَرِ الْخَالِدِ مِنْ وَحْيِ السَّمَاءِ.

ـ وَقَدْ وَجَدْنَا الْإِمَامَ عَلِيًّا حَرِيصًا كُلَّ الْحِرْصِ عَلَى سَلَامَةِ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ فِي رَسْمِ عُثْمَانَ، زَاجِرًا كُلَّ مَنْ يُرِيدُ الْـمَسَاسَ بِهَذَا الرَّسْمِ، وَذَلِكَ فِيمَا ذَكَرَهُ ابْنُ خَالَوَيْهِ بِصَدَدِ قِرَاءَتِهِ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ: «وَطَلْعٍ مَنْضُودٍ» بِالْعَيْنِ بَدَلِ الْحَاءِ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا الْقِرَاءَةُ الْعَامَّةُ: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٩]، قَالَ: «قَرَأَهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ عَلَى الْـمِنْبَرِ، فَقِيلَ لَهُ: «أَفَلَا تُغَيِّرُهُ فِي الْـمُصْحَفِ ؟»، قَالَ: «مَا يَنْبَغِي لِلْقُرْآنِ أَنْ يُهَاجَ» أَيْ: يُغَيَّرَ» [٣].

١- السابق: (١/ ١٦٥).

٢- السابق: (١/ ١٧٢).

٣- ((مختصر البديع)) (ص: ١٥١).

ـ فَأَيُّ حِرْصٍ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا الْحِرْصِ عَلَى أَنْ يَظَلَّ رَسْمُ الْـمُصْحَفِ كَمَا هُوَ سَلِيمًا أَنْ يَمَسَّهُ أَدْنَى تَغْيِيرٍ، وَلَوْ بِقَلْبِ الْعَيْنِ حَاءً، أَوِ الْحَاءِ عَيْنًا، فَلَيْسَ الْـمُهِمُّ فِي دِينِ عَلِيٍّ أَنْ يَتِمَّ التَّغْيِيرُ عَلَى حَسَبِ قِرَاءَتِهِ، وَلَكِنِ الْـمُهِمُّ أَلَّا يَسُنَّ لِلنَّاسِ هَذِهِ السُّنَّةَ الَّتِي تُعَدُّ سَابِقَةً خَطِيرَةً، تُشَجِّعُهُمْ فِيمَا بَعْدُ عَلَى إِحْدَاثِ مَا يَرَوْنَ ضَرُورَتَهُ مِنْ تَعَدِّيَاتٍ قَدْ تَحْكُمُهَا الْأَهْوَاءُ وَتُوحِي بِهَا، فَيَتَعَرَّضُ النَّصُّ الْـمُنَزَّلُ لِأَخْطَارِ التَّغْيِيرِ وَالتَّزْيِيفِ، وَلَيْسَ عَلِيٌّ بِالَّذِي تَفُوتُهُ هَذِهِ النُّقْطَةُ الْخَطِيرَةُ، فَإِنَّ مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً تَحَمَّلَ وِزْرَهَا وَوِزْرَ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَقَدْ أَثَابَهُ اللهُ عَلَى هَذِهِ السُّنَّةِ الْحَسَنَةِ حِينَ مَنَعَهُمْ مِنْ إِحْدَاثِ التَّعْدِيلِ، فَصَانَ كِتَابَ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

ـ وَقَدْ كَانَ أَمْرُ الْحَدِيثِ عَمَّا نُسِبَ فِي التَّارِيخِ إِلَى عَلِيٍّ مِنْ أَنَّ لَهُ مُصْحَفًا هَيِّنًا لَا يَكَادُ يَبْلُغُ بِنَا مَا بَلَغَهُ الْحَدِيثُ عَنْ مُصْحَفِ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَوْ أُبَيٍّ لَوْلَا اعْتِبَارَاتٍ سِيَاسِيَّةٍ وَتَارِيخِيَّةٍ قَدِ ارْتَبَطَتْ بِالْحَدِيثِ مَعَهُ، وَزَادَ الْغُلَاةُ مِنَ الْـمُشْكِلَةَ اشْتِعَالًا بِمَا أَلْصَقُوهُ بِهَذَا الْـمُصْحَفِ مِنْ رِوَايَاتٍ، وَمَا حَاكُوا حَوْلَهُ مِنْ أَقَاصِيصَ افْتَرَقَ النَّاسُ فِي أَمْرِهَا، وَلَيْسَ الِافْتِرَاقُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْـمَوَاضِعِ بِالْأَمْرِ الْهَيِّنِ؛ إِذْ هُوَ مُتَّصِلٌ بِمَزَالِقَ عَقَدِيَّةٍ خَطِيرَةٍ، وَقَدْ يَسْتَدْرِجُ أَحَدُ الْـمَزَالِقِ حَيْثُ يُرْدِيهِ، فَهُمَا طَرَفَانِ: إِلْحَادٌ وَزَيْغٌ، أَوْ إِيمَانٌ وَاسْتِقَامَةٌ، وَلَا وَسَطَ بَيْنَهُمَا فَإِنَّ أَمْرَ الْآخِرَةِ لَا يَعْرِفُ أَنْصَافَ

الْحُلُولِ،وقد سبق بيانُ موقفه ﷺ من الجمعين ورضاه عنهما أتم الرضى وأبلغه وأحسنه.

ـ وَالْـمُسْتَشْرِقُونَ لَـمْ يَهْدَؤُوا فِي مُحَاوَلَةِ إِيجَادِ بَعْضِ الْأَدِلَّةِ؛ لِيَدْعَمُوا بِهَا الْـمَزَاعِمَ الَّتِي اصْطَادُوهَا مِنْ كُتُبِ بعض الفرق، لِلْإِيهَامِ أَنَّ فِي الْقُرْآنِ نَقْصًا وَعَلَى رَأْسِ هَؤُلَاءِ الْـمُسْتَشْرِقِينَ «جِرجِس سَال»، وَمِنْ أَدِلَّتِهِ الْـمَزْعُومَةِ:

١ ـ قَوْلُ الرَّسُولِ ﷺ : «رَحِمَ اللهُ فُلَانًا أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا آيَةً أَسْقَطْتُهَا مِنْ سُورَةِ كَذَا وَكَذَا ـ وَفِي رِوَايَةٍ: «أُنْسِيتُهَا» ـ كُنْتُ نَسِيتُهَا»[1].

٢ ـ قَوْلُهُ ـ تَعَالَى ـ : ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: ٦].

٣ ـ ضَيَاعُ بَعْضِ الْأَدَوَاتِ الَّتِي كُتِبَ عَلَيْهَا الْقُرْآنُ.

٤ ـ سُقُوطُ بَعْضِ الْآيَاتِ لَفْظًا وَبَقَاؤُهَا حُكْمًا[2].

ـ أَمَّا مَسْأَلَةُ النِّسْيَانِ فَالْإِشْكَالُ فِيهَا سَهْلٌ، فَالْحَدِيثُ لَا شَكَّ فِي صِحَّتِهِ، بَلْ هُوَ فِي الْبُخَارِيِّ كَمَا سَلَفَ.

ـ وَقَدْ وَضَّحَ ابْنُ حَجَرٍ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ هَذَا النَّوْعَ وَحَلَّ الْإِشْكَالَ،

١- ((فتح الباري)) (٩/ ٨٤، ٨٥).

٢- ((أسرار القرآن)) لـجرجس سال (ص: ٢٣)، و((مقدمة القرآن)) لـبلاشير (ص: ١٦، ١٧).

فَقَالَ: «النِّسْيَانُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ لِشَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ يَكُونُ عَلَى قِسْمَيْنِ:

ـ أَحَدُهُمَا: نِسْيَانُهُ الَّذِي يَتَذَكَّرُهُ عَنْ قُرْبٍ، وَذَلِكَ قَائِمٌ بِالطِّبَاعِ الْبَشَرِيَّةِ، وَعَلَيْهِ يَدُلُّ قَوْلِهِ ﷺ فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي السَّهْوِ: «**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ**»[1].

ـ وَالثَّانِي: أَنْ يَرْفَعَهُ اللهُ عَنْ قَلْبِهِ عَلَى إِرَادَةِ نَسْخِ تِلَاوَتِهِ، وَهُوَ الْمُشَارُ إِلَيْهِ بِالِاسْتِثْنَاءِ فِي قَوْلِهِ ـ تَعَالَى ـ: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ [الأعلى: ٦، ٧]، وَهُوَ الْمُشَارُ إِلَيْهِ فِي النُّقْطَةِ الرَّابِعَةِ السَّابِقَةِ.

وَأَمَّا الْقِسْمُ الْأَوَّلُ؛ فَعَارِضٌ سَرِيعُ الزَّوَالِ لِظَاهِرِ قَوْلِهِ ـ تَعَالَى ـ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجر: ٩].

وَأَمَّا الثَّانِي؛ فَدَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ ـ تَعَالَى ـ: ﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦]، عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ بِضَمِّ أَوَّلِهِ مِنْ غَيْرِ هَمْزَةٍ».

---

١ - ((فتح الباري)) (٩/ ٨٦).

ـ فَالنِّسْيَانُ عَارِضٌ بَشَرِيٌّ يَجُوزُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ فِيمَا لَيْسَ طَرِيقُهُ الْبَلَاغُ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ وَالشَّرِيعَةِ، وَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ وَالشَّرِيعَةِ مِمَّا هُوَ وَاجِبُ الْبَلَاغِ، فَلَا يَجُوزُ بِشَرْطَيْنِ:

ـ أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ بَعْدَ مَا يَقَعُ مِنْهُ تَبْلِيغُهُ.

ـ وَالْآخَرُ: أَنَّهُ لَا يَسْتَمِرُّ عَلَى نِسْيَانِهِ بَلْ يَحْصُلُ لَهُ تَذَكُّرُهُ إِمَّا بِنَفْسِهِ وَإِمَّا بِغَيْرِهِ[1].

* أَمَّا اسْتِدْلَالُ هَؤُلَاءِ النَّاسِ عَلَى الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ بِوُجُودِ مُصْحَفٍ خَاصٍّ لِعَلِيٍّ وَزَوْجِهِ فَاطِمَةَ ـ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ ـ :

ـ فَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الصَّحَابَةَ كَانَ لَهُمْ مَصَاحِفُ خَاصَّةٌ بِهِمْ، رُبَّمَا فَسَّرُوا فِيهَا وَكَتَبُوا أَشْيَاءَ لِلتَّوْضِيحِ وَفِيهَا زِيَادَاتٌ، وَرُبَّمَا وَضَعُوا فِيهَا قِرَاءَاتٍ غَيْرَ مُتَوَاتِرَةٍ.

ـ وَلَا شَكَّ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْقِرَاءَةُ بِهَذِهِ الْمَصَاحِفِ لِمُخَالَفَتِهَا مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ ـ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ ـ .

ـ فَكَوْنُ عَلِيٍّ لَهُ مُصْحَفٌ وَزَوْجِهِ فَاطِمَةَ مَعَ وُجُودِ الْمُخَالَفَاتِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمُصْحَفِ الْإِمَامِ، لَيْسَ دَلِيلًا كَافِيًا عَلَى وُجُودِ النَّقْصِ وَالزِّيَادَةِ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ؛ لِأَنَّ الْحُجَّةَ فِي الْكِتَابِ نَفْسِهِ عَلَى غَيْرِهِ لَا الْعَكْسَ.

---

١ - ((فتح الباري)) (٩/ ٨٦).

* أَمَّا اسْتِدْلَالُـهُمْ عَلَى الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِعَمَلِ الْـحَجَّاجِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ؛ لِإِثْبَاتِ خِلَافَةِ بَنِي أُمَيَّةَ، وَإِبْطَالِ خِلَافَةِ وَلَدِ عَلِيٍّ وَالْعَبَّاسِ ـ عَلَى حَدِّ زَعْمِهِمْ ـ :

* فَالْـجَوَابُ:

ـ إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ لَا لَهُمْ؛ إِذْ إِنَّ اللهَ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ قَدْ حَفِظَ كِتَابَهُ الْعَزِيزَ بِأَنْ وَفَّقَهُمْ لِلْإِعْجَامِ؛ حَتَّى لَا يَسْتَطِيعَ أَحَدٌ أَنْ يُغَيِّرَ فِيهِ أَوْ يُبَدِّلَ، وَهُوَ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ أَبُو عَمْرٍو الدَّانِيُّ فِي كِتَابِهِ: «الْـمُحْكَم فِي نَقْطِ الْـمَصَاحِفِ»، فَقَالَ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ : «اعْلَمْ أَيَّدَكَ اللهُ بِتَوْفِيقِهِ أَنَّ الَّذِي دَعَا السَّلَفَ ـ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ ـ إِلَى نَقْطِ الْـمَصَاحِفِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ خَالِيَةً مِنْ ذَلِكَ وَعَارِيَةً مِنْهُ وَقْتَ رَسْمِهَا، وَحِينَ تَوْجِيهِهَا إِلَى الْأَمْصَارِ، لِلْمَعْنَى الَّذِي بَيَّنَّاهُ، وَالْوَجْهِ الَّذِي شَرَحْنَاهُ، مَا شَاهَدُوهُ مِنْ أَهْلِ عَصْرِهِمْ مَعَ قُرْبِ زَمَنِ الْفَصَاحَةِ وَمُشَاهَدَةِ أَهْلِهَا مِنْ فَسَادِ أَلْسِنَتِهِمْ، وَاخْتِلَافِ أَلْفَاظِهِمْ، وَتَغَيُّرِ طِبَاعِهِمْ، وَدُخُولِ اللَّحْنِ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَوَاصِّ النَّاسِ وَعَوَامِّهِمْ، وَمَا خَافُوهُ مَعَ مُرُورِ الْأَيَّامِ، وَتَطَاوُلِ الزَّمَانِ مِنْ تَزَيُّدِ ذَلِكَ، وَتَضَاعُفِهِ فِيمَنْ يَأْتِي بَعْدُ، مِمَّنْ هُوَ ـ لَا شَكَّ ـ فِي الْعِلْمِ وَالْفَصَاحَةِ وَالْفَهْمِ وَالدِّرَاسَةِ دُونَ مَنْ شَاهَدُوهُ مِمَّنْ عَرَضَ لَهُ الْفَسَادُ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ اللَّحْنُ، لِكَيْ يَرْجِعَ إِلَى نُقَطِهَا، وَيُصَارَ إِلَى شَكْلِهَا، عِنْدَ دُخُولِ الشُّكُوكِ وَعَدَمِ

الْـمَعْرِفَةِ وَيَتَحَقَّقُ بِذَلِكَ إِعْرَابُ الْكَلِمِ، وَتُدْرَكُ بِهِ كَيْفِيَّةُ الْأَلْفَاظِ...»[١].

ـ وَقَدْ كَانَ فِي عَصْرِ الْحَجَّاجِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ الَّذِينَ لَا يُمْكِنُ أَبَدًا أَنْ يَسْمَحُوا بِأَيِّ تَغْيِيرٍ أَوْ تَحْرِيفٍ فِي كِتَابِ اللهِ ﷻ، وَالْحَجَّاجُ عَلَى مَا عُرِفَ عَنْهُ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَشَدِّ الْخَائِفِينَ عَلَى الْقُرْآنِ وَالْحَرِيصِينَ عَلَيْهِ، فَلَا يُمْكِنُ أَبَدًا أَنْ يَخْطُرَ بِبَالِ أَحَدٍ أَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَعْبَثَ بِكِتَابِ اللهِ ﷻ، وَلَوْ فَعَلَ؛ لَتَنَبَّهَ الْعُلَمَاءُ فِي عَصْرِهِ وَلَـمَا سَكَتُوا، وَهُنَاكَ أُمُورٌ تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، مِنْهَا:

١ ـ كَوْنُ الْحَجَّاجِ مِنْ شِيعَةِ عُثْمَانَ، وَكَانَ يُؤَاخِذُ كُلَّ مَنْ قَصَّرَ فِي نُصْرَتِهِ يَوْمَ الدَّارِ، فَكَيْفَ لِـمَنْ هَذَا حَالُهُ أَنْ يَطْعَنَ فِي عُثْمَانَ وَمُصْحَفِهِ وَيُغَيِّرَهُ.

٢ ـ أَنَّ الْـمُصْحَفَ الْعُثْمَانِيَّ انْتَشَرَ فِي الْآفَاقِ، وَكَثُرَتْ نُسَخُهُ فِي عَهْدِ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ حَتَّى أَنَّهُ لَوْ أَرَادَ أَحَدٌ إِحْصَاءَهَا لَـمَا اسْتَطَاعَ، فَكَيْفَ بِعَدَدِهَا فِي عَهْدِ الْخِلَافَةِ الْأُمَوِيَّةِ ؟! فَلَا شَكَّ أَنَّهُ بَلَغَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، كَمَا أَنَّ الْحَجَّاجَ مَا كَانَ إِلَّا وَالِيًا لِوِلَايَةٍ مِنْ وِلَايَاتِ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْـمُتَرَامِيَةِ الْأَطْرَافِ، وَالْـمُتَبَاعِدَةِ النَّوَاحِي، فَإِذَا اسْتَطَاعَ تَغْيِيرَ

١ - ((المحكم في نقط المصاحف)) لأبي عمرو الداني، طبعة دار الفكر، ط: (٢)، سنة (١٤٠٧هـ).

الْـمَصَاحِفِ فِي وِلَايَتِهِ؛ فَأَنَّى لَهُ أَنْ يَصِلَ لِلْمَصَاحِفِ فِي الْوِلَايَاتِ الْأُخْرَى وَهِيَ بِالْآلَافِ.

ـ وَالتَّارِيخُ لَـمْ يَذْكُرْ تَنَاقُضًا بَيْنَ الْـمَصَاحِفِ فِي الْعِرَاقِ، وَبَيْنَ الْـمَصَاحِفِ فِي غَيْرِهَا.

وَالْـمَعْرُوفُ أَنَّ الْحِفْظَ لِهَذَا الْكِتَابِ الْعَظِيمِ كَمَا كَانَ حِفْظًا فِي الْـمَصَاحِفِ؛ كَانَ حِفْظًا فِي الصُّدُورِ، فَإِذَا اسْتَطَاعَ الْحَجَّاجُ أَنْ يَصِلَ لِـحِفْظِ السُّطُورِ؛ فَأَنَّي لَهُ أَنْ يَصِلَ لِـحِفْظِ صُدُورِ الْآلَافِ مِنَ الْـمُسْلِمِينَ.

٣ ـ وَالْـمَعْرُوفُ كَذَلِكَ أَنَّ الدَّوْلَةَ الْعَبَّاسِيَّةَ قَامَتْ عَلَى أَنْقَاضِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ وَقَدْ غَيَّرُوا كَثِيرًا مِنْ سِيَاسَاتِ بَنِي أُمَيَّةَ فِي إِدَارَةِ شُئُونِ الدَّوْلَةِ، وَلَـمْ يَدَّخِرُوا وُسْعًا فِي تَبْيِينِ مَثَالِبِ بَنِي أُمَيَّةَ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَى الرَّعِيَّةِ بِإِبْرَازِ الْعَدَالَةِ وَالْإِنْصَافِ وَالدِّفَاعِ عَنِ الْحَقِّ.

ـ فَلَوْ وَجَدَ الْعَبَّاسِيُّونَ شَيْئًا مِنْ هَذَا التَّغْيِيرِ فِي الْـمُصْحَفِ الشَّرِيفِ؛ لَكَانَتْ مِنْ أَعْظَمِ الْفُرَصِ الْـمُوَاتِيَةِ لِبَنِي الْعَبَّاسِ؛ لِيُظْهِرُوا ذَلِكَ بِاعْتِبَارِهِ مَثْلَبًا كَبِيرًا فِي حَقِّ بَنِي أُمَيَّةَ، وَإِضْفَاءٍ لِلشَّرِيعَةِ وَالْعَدْلِ وَالْحَقِّ عَلَى حُكْمِهِمْ.